

الفوائد

للإمام
شمس الدين محمد بن أبي بكر
ابن قيم الجوزية

مكتبة الرياض الحديثة

القول بك

للشيخ الامام العلامة محي السنة وقامع البدعة

شمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف

بابن قيم الجوزية المتوفى

سنة ٧٥١





قال الشيخ الامام محيى السنة قلع البدعة ابو عبد الله الشهير بابن قيم الجوزية
رحمه الله ورضي عنه

قاعدة جلية

اذا أردت الانتفاع بالقرآن فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه والتى سمعت
واحضر حضور من يخاطبه به من تكلم به سبحانه منه اليه (١) فانه خطاب منه لك
على لسان رسوله : قال تعالى (ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع
وهو شهيد) وذلك ان تمام التأثير لما كان موقوفا على مؤثر مقتض ومحل قابل
وشرط لحصول الاثر وانتفاء المانع الذي يمنع منه تضمنت الآية بيان ذلك كله
بأوجز لفظ وأبينه وأدله على المراد : فقلوه (ان في ذلك لذكرى) اشارة الى ما
تقدم من أول السورة الي ههنا : وهذا هو المؤثر : وقلوه (لمن كان له قلب)
فهذا هو المحل القابل : والمراد به القلب الحى الذى يعقل عن الله كما قال تعالى
(ان هو الا ذكر وقرآن مبين لينذر من كان حيا) أى حى القلب : وقلوه
(أو ألقى السمع) أى وجه سمعه وأصغى حاسة سمعه الى ما يقال له : وهذا
شرط التأثير بالكلام : وقلوه (وهو شهيد) اي شاهد القلب حاضرا غير غائب *
قال ابن قتيبة استمع كتاب الله وهو شاهد القلب والفهم ليس بقابل ولا ساه
وهو اشارة الى المانع من حصول التأثير وهو سهو القلب وغيبته عن تعقل ما يقال
له والنظر فيه وتأمله : فاذا حصل المؤثر وهو القرآن والمحل القابل وهو القلب
الحى ووجد الشرط وهو الاصفاء وانتفى المانع وهو اشتغال القلب وذهوله عن
معنى الخطاب وانصرافه عنه الى شيء آخر حصل الاثر وهو الانتفاع والتذكر *

(١) الضمير الاول فى لفظة منه عائد الى من تكلم : والضمير الثانى فى لفظة اليه عائد
الى من يخاطبه

(فان قيل) اذا كان التأثير انما يتم بمجموع هذه فما وجه دخول أداة أو فى قوله (أو التى السمع) والموضع موضع واو الجمع لا موضع أو التى هى لا أحد الشئين * قيل هذا سؤال جيد والجواب عنه ان يقال خرج الكلام بأو باعتبار حال المخاطب المدعو فان من الناس من يكون حى القلب واعيه تام الفطرة فاذا ذكر بقلبه وجل بفكره دله قلبه وعقله على صحة القرآن وانه الحق وشهد قلبه بما أخبر به القرآن فكان ورود القرآن على قلبه نوراً على نور الفطرة وهذا وصف الذين قيل فيهم (ويرى الذين أوتوا العلم الذى أنزل اليك من ربك هو الحق) وقال فى حقهم (الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء) فهذا نور الفطرة على نور الوحي . وهذا حال صاحب القلب الحى الواعى : قال ابن القيم وقد ذكرنا ما تضمنت هذه الآية من الأسرار والعبر فى كتاب اجتماع الجيوش الاسلامية على غزو المعطلة والجمية * فصاحب القلب يجمع بين قلبه وبين معاني القرآن فيجدها كأنها قد كتبت فيه فهو يقرأها عن ظهر قلب : ومن الناس من لا يكون تام الاستعداد واعى القلب كامل الحياة فيحتاج الى شاهد يميز له بين الحق والباطل ولم تبلغ حياة قلبه ونوره وزكاه فطرته مبلغ صاحب القلب الحى الواعى فطريق حصول هدايته ان يفرغ سمعه للكلام وقلبه لتأمله والتفكر فيه وتعقل معانيه فيعلم حينئذ انه الحق : فالأول حال من رأى بعينه ما دعى اليه وأخبر به : والثانى حال من علم صدق الخبر وتيقنه وقال يكفينى خبره فهو فى مقام الايمان : والاول فى مقام الاحسان هذا قد وصل الى علم اليقين وترقى قلبه منه الى منزلة عين اليقين : وذلك معه التصديق الجازم الذى خرج به من الكفر ودخل به فى الاسلام : فعين اليقين نوغان نوع فى الدنيا ونوع فى الآخرة : فالحاصل فى الدنيا نسبته الى القلب كنسبة الشاهد

الى العين : وما أخبرت به الرسل من الغيب يعاين في الآخرة بالبصار وفي
لدينا بالبصائر فهو عين يقين في المرتبتين *

فصل

وقد جمعت هذه السورة من أصول الايمان ما يكفى ويشفى ويفنى عن
كلام أهل الكلام ومعقول أهل المعقول فأما تضمنت تقرير المبدأ والمعاد
والتوحيد والنبوة والايمان بالملائكة وانقسام الناس الى هالك شقى وفائز سعيد
وأوصاف هؤلاء وهؤلاء : وتضمنت اثبات صفات الكمال لله وتنزيهه عما يضاد
كمله من النقائص والعيوب وذكر فيها القيامتين الصغرى والكبرى : والعالمين
الأكبر وهو عالم الآخرة والأصغر وهو عالم الدنيا : وذكر فيها خلق الانسان
ووفاته واعادته وحاله عند وفاته ويوم معاده واحاطته سبحانه به من كل وجه
حتى علمه بوساوس نفسه وإقامة الحفظة عليه بحصون عليه كل لفظة يتكلم بها
وانه يوانيه يوم القيامة ومعه سائق يسوقه اليه وشاهد يشهد عليه فاذا أحضره
السائق قال (هذا مالدى عتيد) أي هذا الذى أمرت باحضاره قد أحضرته
فيقال عند احضاره (ألقيا في جهنم كل كفار عتيد) : كما يحضر الجاني الى حضرة
السلطان فيقال هذا فلان قد أحضرته فيقول اذهبوا به الى السجن وعاقبوه
بما يستحقه *

وتأمل كيف دلت السورة صريحاً على أن الله سبحانه يعيد هذا الجسد
بعينه الذي أطاع وعصى فينعمه ويعذبه كما ينعم الروح التي آمنت بعينها ويعذب
التي كفرت بعينها لا انه سبحانه يخلق روحاً أخرى غير هذه فينعمها ويعذبها
كما قاله من لم يعرف المعاد الذي أخبرت به الرسل حيث زعم ان الله سبحانه
يخلق بدنًا غير هذا البدن من كل وجه عليه يقع النعيم والعذاب والروح عنده
عرض من أعراض البدن فيخلق روحاً غير هذه الروح وبدناً غير هذا البدن

وهنا غير ما اتفقت عليه الرسل ودل عليه القرآن والسنة وسائر كتب الله تعالى وهذا في الحقيقة انكار للمعاد وموافقة لقول من أنكروا من المكذبين فانهم لم ينكروا قدرة الله علي خلق أجسام أخر غير هذه الأجسام يعذبها وينعمها كيف وهم يشهدون النوع الانساني يخلق شيئاً بعد شيء، فكل وقت يخلق الله سبحانه أجساماً وأرواحاً غير الأجسام التي فيت فكيف يتعجبون من شيء يشاهدونه عياناً وانما تعجبوا من عودهم بأعيانهم بعد أن مزقهم البلي وصاروا عظاماً ورفاناً فتعجبوا ان يكونوا هم بأعيانهم مبعوثين للجزاء : ولهذا (قالوا أنذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أننا لملعونون) وقالوا (ذلك رجع بعيد) ولو كان الجزاء إنما هو لأجسام غير هذه لم يكن ذلك بعثاً ولا رجعاً بل يكون ابتداء ولم يكن لقوله (قد علمنا ما تنقص الأرض منهم) كبير معني فانه سبحانه جعل هذا جواباً لسؤال مقدر وهو انه يميز تلك الاجزاء التي اختلطت بالأرض واستخالت الي العناصر بحيث لا تتميز فاخبر سبحانه انه قد علم ما تنقصه الأرض من لحومهم وعظامهم واشعارهم وانه كما هو عالم بتلك الاجزاء فهو قادر على تحصيلها وجمعها بعد تفرقها وتأليفها خلقاً جديداً وهو سبحانه يقرر المعاد بذكر كل علمه وكل قدرته وكل حكمته فان شبه المنكرين له كلها تعود الى ثلاثة أنواع * أحدها اختلاط اجزائهم بأجزاء الارض علي وجه لا يتميز ولا يحصل معها تميز شخص عن شخص * الثاني ان القدرة لا تتعلق بذلك * الثالث ان ذلك أمر لا فائدة فيه أو انما الحكمة اقتضت دوام هذا النوع الانساني شيئاً بعد شيء هكذا أبداً كلما مات جيل خلفه جيل آخر فاما أن يميت النوع الانساني كله ثم يحييه بعد ذلك فلا حكمة في ذلك فجاءت براهين المعاد في القرآن مبنية على ثلاثة أصول أحدها تقرير كمال علم الرب سبحانه كما قال في جواب من قال (من يحجي العظام وهي رميم قل يحياها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم) وقال (وان الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل ان ربك هو الخلاق العليم) وقال (قد علمنا

مانتقص الأرض منهم) * والثاني تقرير كمال قدرته كقوله (أوليس الذي خلق
السموات والأرض بقادر علي أن يخلق مثلهم) وقوله (يلي قادرين على أن نسوي
بنانه) وقوله (ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير)
ويجمع سبحانه بين الأمرين كما في قوله (أوليس الذي خلق السموات والأرض
بقادر علي أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم) * الثالث كمال حكته كقوله
(وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعيين) وقوله (وما خلقنا السماء
والأرض وما بينهما باطلا) وقوله (أيجسب الانسان أن يترك سدى) وقوله
(أغسبتم أنما خلقناكم عبثاً وانكم الينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق) وقوله
(أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات
سواء بحياهم ومماتهم ساء ما يحكمون) ولهذا كان الصواب أن المعاد معلوم بالعقل
مع الشرع وان كمال الرب تعالي وكمال اسمائه وصفاته تقتضيه وتوجبه وأنه منزّه
عما يقوله منكروه كما ينزه كماله عن سائر العيوب والنقائص : ثم أخبر سبحانه أن
المنكرين لذلك لما كذبوا بالحق اختلط عليهم أمرهم (فهم في أمر مريب) مختلط
لا يحصلون منه على شيء ثم دعاهم الي النظر في العالم العلوى وبنائه وازتفاعه
واستوائه وحسنه والتثامه ثم الى العالم السفلى وهو الأرض وكيف بسطها وهياها
بالسط لما يراد منها وثبتها بالجبال وأودع فيها المنافع وأنبت فيها من كل صنف
حسن من أصناف النبات على اختلاف أشكاله وألوانه ومقاديره ومنافعه وصفاته
وأن ذلك تبصرة اذا تأملها العبد المنيب وتبصر بها تذكروا ما دل عليه مما أخبر
به الرسل من التوحيد والمعاد فالناظر فيها يتبصر أولاً ثم يتذكر ثانياً وان هذا
لا يحصل الا لعبد منيب الي الله بقلبه وجوارحه : ثم دعاهم الى التفكير في مادة
أرزاقهم وأقواتهم وملابسهم ومراكبهم وجنائهم وهو الماء الذي أنزله من السماء
وبارك فيه حتي أنبت به جنات مخمضة الثمار والفواكه ما بين أبيض وأسود وأحمر
وأصفر وحلو وحامض وبين ذلك مع اختلاف مناعها وتنوع أجناسها وأنبت به

الحبوب كلها علي تنوعها واختلاف منافعها وصفاتها واشكالها ومقاديرها : ثم أفرد النخل لما فيه من موضع العبرة والدلالة التي لا تخفى علي التأمل (وأحيا به الارض بعد موتها) ثم قال (كذلك الخروج) أي مثل هذا الاخراج من الارض الفواكه والثمار والاقوات والحبوب خروجهكم من الارض بعد ماغيتم فيها : وقد ذكرنا هذا القياس وأمثاله من المقاييس الواقعة في القرآن في كتابنا المعالم وبيننا بعض ما فيها من الاسرار والعبر ثم انتقل سبحانه الي تقرير النبوة باحسن تقرير وأوجز لفظ وأبعده عن كل شبهة وشك فاجبر أنه ارسل الى قوم نوح وعاد وحمود وقوم لوط وقوم فرعون رسلا فكذبوهم فاهلكهم بأنواع الهلاك وصدق فيهم وعيده الذي أوعدهم به رسله ان لم يؤمنوا وهذا تقرير لنبوتهم ولنبوة من أخبر بذلك عنهم من غير أن يتعلم ذلك من معلم ولا قرأه في كتاب بل أخبر به إخباراً مفصلاً مطابقاً لما عند أهل الكتاب : ولا يرد على هذا الاسؤال البهت والمكابرة على جحد الضروريات بانه لم يكن شيء من ذلك أو أن حوادث الدهر ونكباته أصابتهم كما أصابت غيرهم وصاحب هذا السؤال يعلم من نفسه أنه باهت مباهت جاحد لما شهد به العيان وتناقلته القرون قرناً بعد قرن فأنكاره بمنزلة انكار وجود المشهورين من الملوك والعلماء والبلاد النائية : ثم عاد سبحانه الي تقرير المعاد بقوله (أفعمينا بالخلق الأول) يقال لكل من عجز عن شيء عبي به وعيى فلان بهذا الأمر قال الشاعر

عيوا بأمرهم كما * عيت ببيضتها الحمامة

ومنه قوله تعالى (ولم يعي بخلقهن) قال ابن عباس يريد افعمجنا : وكذلك قال مقاتل : قالت هذا تفسير بلازم اللفظة وحقيقتها أعم من ذلك فان العرب تقول أعياني أن اعرف كذا وعيت به اذا لم تهتد لوجهه ولم تقدر على معرفته وتحصيله فتقول أعياني دواؤك اذا لم تهتد له ولم تقف عليه : ولازم هذا المعنى المعجز عنه : والييت الذي استشهدوا به شاهد لهذا المعنى فان الحمامة لم تعجز عن

ييضتها ولكن أعيائها اذا أرادت أن تبيض أين ترمى بالبيضة فهي تدور وتجول حتى ترمى بها فاذا باضت أعيائها أين تحفظها وتودعها حتي لاتنال فهي تنقلها من مكان الى مكان ونحوه أين تجعل مقرها كما هو حال من عي بأمره فلم يدر من أين يقصده ومن أين يأتيه ونيس المراد بالاعياء في هذه الآية التعب كما يظنه من لم يعرف تفسير القرآن بل هذا المعنى هو الذي نفاه سبحانه عن نفسه في آخر السورة بقوله (وما مسنا من لغوب) ثم أخبر سبحانه أنهم (في لبس من خلق جديد) أى أنهم التبس عليهم اغادة الخلق خلقاً جديداً ثم نبههم على ما هو من أعظم آيات قدرته وشواهد ربوبيته وأدلة المعاد وهو خلق الانسان فانه من أعظم الادلة علي التوحيد والمعاد : وأى دليل أوضح من تركيب هذه الصورة الآدمية بأعضائها وقواها وصفاتها وما فيها من اللحم والعظم والعروق والأعصاب والرباطات والمنافذ والآلات والعلوم والارادات والصناعات كل ذلك من نطفة ماء : فلو أنصف العبد ربه لا كتنفى بفكره في نفسه واستدل بوجوده على جميع ما أخبر به الرسل عن الله واسمائه وصفاته ثم أخبر سبحانه عن احاطة علمه به حتى علم وساوس نفسه ثم أخبر عن قرب به اليه بالعلم والاحاطة وان ذلك أدني اليه من العرق الذي هو داخل بدنه فهو أقرب اليه بالقدرة عليه والعلم به من ذلك العرق : وقال شيخنا المراد بقول نحن أى ملائكتنا كما قال (فاذا قرأنا فاتبع قرآنه) أى اذا قرأ عليك رسولنا جبريل : قال ويدل عليه قوله (اذ يتلقى المتلقين) فقيد القرب المذكور بتلقى الملكين ولو كان المراد به قرب الذات لم ينقيد بوقت تلقى الملكين فلا حجة في الآية لحلولي ولا معطل : ثم أخبر سبحانه أن علي يمينه وشماله ملكين يكتبان أعماله وأقواله ونبه باحصاء الاقوال وكتابتها على كتابة الاعمال التي هي أقل وقوعاً وأعظم أثراً من الاقوال وهي غايات الاقوال ونهايتها : ثم أخبر عن القيامة الصغرى وهي سكرة الموت وانها تحيى بالحق وهو لقاءه سبحانه والقُدوم عليه وعرض الروح عليه والثواب والعقاب الذي تعجل

لها قبل القيامة الكبرى: ثم ذكر القيامة الكبرى بقول (ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد) ثم أخبر عن أحوال الخلق في هذا اليوم وان كل أحد يأتي الله سبحانه ذلك اليوم ومعه سائق يسوقه وشهيد يشهد عليه وهذا غير شهادة جوارحه وغير شهادة الأرض التي كان عليها له وعليه وغير شهادة رسوله والمؤمنين فان الله سبحانه يستشهد على العبد الحفظة والأنبياء والأمكنة التي عملوا عليها الخير والشر والجلود التي عصوه بها ولا يحكم بينهم بمجرد علمه وهو أعدل العادلين وأحكم الحاكمين *

ولهذا أخبر نبيه أنه يحكم بين الناس بما سمعه من اقرارهم وشهادة البيعة لا بمجرد علمه فكيف يسوغ لحاكم أن يحكم بمجرد علمه من غير بيعة ولا اقرار: ثم أخبر سبحانه ان الانسان في غفلة من هذا الشأن الذي هو حقيق بأن لا يغفل عنه وان لا يزال على ذكره وباله : وقال (في غفلة من هذا) ولم يقل عنه كما قال (وانهم لفي شك منه مريب) ولم يقل في شك فيه وجاء هذا في المصدر وان لم يجيء في الفعل فلا يقال غفلت منه ولا شككت منه كأن غفلته وشكه ابتداء منه فهو مبدأ غفلته وشكه : وهذا أبلغ من أن يقال في غفلة عنه وشك فيه فانه جعل ما ينبغي أن يكون مبدأ التذكرة واليقين ومنشأها مبدأ للغفلة والشك : ثم أخبر أن غطاء الغفلة والذهول يكشف عنه ذلك اليوم كما يكشف غطاء النوم عن القلب فيستيقظ : وعن العين فتفتح : فنسبة كشف هذا الغطاء عن العبد عند المعانة كنسبة كشف غطاء النوم عنه عند الانتباه ثم أخبر سبحانه أن قرينه وهو الذي قرن به في الدنيا من الملائكة يكتب عمله وقوله يقول لما يحضره هذا الذي كنت وكلتني به في الدنيا قد أحضرته وأتيتك به هذا قول مجاهد : وقال ابن قتيبة المعنى هذا ما كتبه عليه وأحصيته من قوله وعمله حاضر عندي : والتحقيق ان الآية تنظم الأمرين أي هذا الشخص الذي وكلت به وهذا عمله الذي أحصيته عليه فحينئذ يقال (أقميا في جهنم) وهذا اما أن يكون خطاباً للسائق والشهيد :

أو خطاباً للملك الموكل بعذابه وإن كان واحداً وهو مذهب معروف من مذاهب العرب في خطابها أو تكون الالف منقلبة عن نون التأكيد الخفيفة ثم اجري الوصل مجري الوقف ثم ذكر صفات هذا الملقى فذكر له ست صفات * أحدها أنه كفار نعم الله وحقوقه : كفار بدينه وتوحيده واسمائه وصفاته : كفار برسوله وملائكته : كفار بكتبه ولقائه * الثانية أنه معاند للحق بدفعه جحداً وعناداً * الثالثة أنه مناع للخير وهذا يعم منعه للخير الذي هو احسان الى نفسه من الطاعات والقرب الى الله والخير الذي هو احسان الى الناس فليس فيه خير لنفسه ولا لبنى جنسه كما هو حال أكثر الخلق * الرابعة أنه مع منعه للخير معتد على الناس ظلوم غشوم معتد عليهم بيده ولسانه * الخامسة أنه مزيب أى صاحب ريب وشك ومع هذا فهو آت لكل ريبة يقال فلان مريب اذا كان صاحب ريبة * السادسة أنه مع ذلك مشرك بالله قد اتخذ مع الله الها آخر يعبد به ويحبه ويغضب له ويرضى له ويحلف باسمه وينذر له ويوالي فيه ويعادى فيه فيختصم هو وقرينه من الشياطين ويحيل الامر عليه وانه هو الذى أطغاه وأضله فيقول قرينه لم يكن لي قوة أن أضله وأطغيه ولكن كان في ضلال بعيد اختاره لنفسه وآثره على الحق كما قال ابليس لاهل النار (وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي) وعلي هذا فالقرين هنا هو شيطانه يختصم ان عند الله : وقالت طائفة بل قرينه ههنا هو الملك فيدعى عليه انه زاد عليه فيما كتبه عليه وطمع وان لم يفعل ذلك كله وانه أعجله بالكتابة عن التوبة ولم يمهله حتى يتوب فيقول الملك ما زدت في الكتابة على ما عمل ولا أعجلته عن التوبة (ولكن كان في ضلال بعيد) فيقول الرب تعالى (لا تختصموا لدي) وقد أخبر سبحانه عن اختصاص الكفار والشياطين بين يديه في سورة الصافات والأعراف : وأخبر عن اختصاص الناس بين يديه في سورة الزمر : وأخبر عن اختصاص أهل النار فيها في سورة الشعراء وسورة ص : ثم أخبر سبحانه أنه لا يبدل القول لديه فقليل المراد بذلك قوله (لا ملأن جهنم من الجنة والناس

أجمعين) ووعد لاهل الايمان بالجنة وان هذا لا يبدل ولا يخلف : قال ابن عباس يريد ما لو عدي خلف لاهل طاعتي ولا اهل معصيتي : قال مجاهد قد قضيت ما أنا قاض وهذا أصح القوانين في الآية : وفيها قول آخر ان المعنى ما يغير القول عندى بالكذب والتليس كما يغير عند الملوك والحكام فيكون المراد بالقول قول المختصمين وهو اختيار الفراء وابن قتيبة : قال الفراء المعنى ما يكذب عندى لعلمى بالغيب : وقال ابن قتيبة اى ما يحرف القول عندى ولا يزداد فيه ولا ينقص منه : قال لانه قال القول عندى ولم يقل قولي وهذا كما يقال لا يكذب عندى : فعلي القول الاول يكون قوله (وما انا بظلام للعبيد) من تمام قوله (ما يبدل القول لدى) فى المعنى أى ما قلته ووعدت به لا بد من فعله : ومع هذا فهو عدل لا ظلم فيه ولا جور : وعلى الثاني يكون قد وصف نفسه بأمرين : أحدهما ان كمال علمه واطلاعه يمنع من تبديل القول بين يديه وترويج الباطل عليه وكمال عدله وغناء يمنع من ظلمه لعبيده : ثم أخبر عن سعة جهنم وانها كلما التى فيها (تقول هل من مزيد) وأخطأ من قال ان ذلك للنفى اى ليس من مزيد والحديث الصحيح يرد هذا التأويل : ثم أخبر عن تقريب الجنة من المتقين وان أهلها هم الذين اتصفوا بهذه الصفات الاربع : (أحداها) ان يكون أوابا أي رجاءا الى الله من معصيته الى طاعته ومن الغفلة عنه الى ذكره : قال عبيد بن عمير الاواب الذي يتذكر ذنوبه ثم يستغفر منها : وقال مجاهد هو الذي اذا ذكر ذنبه فى الخلاء استغفر منه : وقال سعيد بن المسيب هو الذى يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب * (الثانية) ان يكون حفيظا قال ابن عباس لما ائتمنه الله عليه واقرضه : وقال قتادة حافظ لما استودعه الله من حقه ونعمته : ولما كانت النفس لها قوتان قوة الطلب وقوة الإمساك كان الأواب مستعملا لقوة الطلب فى رجوعه الى الله ومرضاته وطاعته : والحفيظ مستعملا لقوة الحفظ فى الإمساك عن معاصيه ونواهيه فالحفيظ الممسك نفسه عما حرم عليه والأواب المقبل على الله بطاعته * (الثالثة)

قوله (من خشى الرحمن بالغيب) يتضمن الاقرار بوجوده وربوبيته وقدرته وعلمه واطلاعه على تفاصيل أحوال العبد ويتضمن الاقرار بكتبته ورساله وأمره ونهيه ويتضمن الاقرار بوعده ووعيده ولقائه فلا تصح خشية الرحمن بالغيب الا بعد هذا **اسمه** * (الرابعة) قوله (وجاء بقلب منيب) قال ابن عباس راجع عن معاصي الله مقبل على طاعة الله : وحقيقة الانابة عكوف القلب على طاعة الله ومحبة والاقبال عليه : ثم ذكر سبحانه جزاء من قامت به هذه الأوصاف بقوله (ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد) ثم خوفهم بان يصيبهم من الملاك ما أصاب من قبلهم وانهم كانوا أشد منهم بطشا ولم يدفع عنهم الملاك شدة بطشهم وانهم عند الملاك تقلبوا وطافوا في البلاد وهل يجدون محيصاً ومنجى من عذاب الله : قال قتادة حاص أعداء الله فوجدوا أمر الله لهم مدركا . وقال الزجاج طوفوا وفتشوا فلم يرو محيصاً من الموت : وحقيقة ذلك انهم طلبوا المهرب من الموت فلم يجدوه : ثم أخبر سبحانه ان في هذا الذي ذكر (ذكرى لمن كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد) ثم أخبر انه خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ولم يمه من تعب ولا اعياء تكذيب لاعدائه من اليهود حيث قالوا انه استراح في اليوم السابع ثم أمر نبيه بالناسي به سبحانه في الصبر على ما يقول اعداؤه فيه كما انه سبحانه صبر على قول اليهود انه استراح ولا أحد أصبر علي أذى يسمعه منه ثم أمره بما يستعين به علي الصبر وهو التسبيح بحمد ربه قبل طلوع الشمس وقبل غروبها وبالليل وأدبار السجود : فقيل هو الوتر وقيل الركعتان بعد المغرب . والاول قول ابن عباس : والثاني قول عمر وعلي وأبي هريرة والحسن بن علي واحدي الرواة عن ابن عباس : وعن ابن عباس رواية ثالثة انه التسبيح باللسان أدبار السجود المكتوبات . ثم ختم السورة بذكر المعاد ونداء المادى برجوع الأرواح الي أجسادها للحشر وأخبر ان هذا النداء من مكان قريب يسمعه كل أحد يوم يسمعون الصيحة بالحق

بالبعث ولقاء الله يوم تشقق الارض عنهم كما تشقق عن النبات فيخرجون سرعاً من غير مهلة ولا ببطء ذلك حشر يسير عليه سبحانه : ثم أخبر سبحانه انه عالم بما يقول اعداؤه وذلك يتضمن مجازاته لهم بقولهم اذ لم يخف عليه وهو سبحانه يذكر علمه وقدرته لتحقيق الجزاء ثم أخبره انه ليس بمسلط عليهم ولا قهار ولم يبعث ليجبرهم على الاسلام ويكرهم عليه وأمره أن يذكر بكلامه من يخاف وعيده . فهو الذي ينتفع بالتذكير وأما من لا يؤمن ببقائه ولا يخاف وعيده ولا يرجو ثوابه فلا ينتفع بالتذكير *

فائدة

قول النبي صلى الله عليه وسلم لعمر « وما يدريك ان الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » (١) أشكل علي كثير من الناس معناه فان ظاهره

(١) هذه قطعة من حديث في الصحيحين وفيه قصة ولفظه عن علي رضي الله عنه قال « بعثني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أما والزبير والمقداد بن الاسود قال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظمينة ومعها كتاب فخذوه منها فانطلقنا فعادى بنا خيلنا ضي انتبهنا الى الروضة فاذا نحن بالظمينة فقلنا اخرجني الكتاب فقالت مامعي في كتاب فقلنا لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب فاخرجته من عقاصها فأتينا به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة الى ناس من المشركين من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا حاطب ما هذا قال يا رسول الله لا تمجّل علي اني كنت امرأ ماصقاً في قريش ولم أكن من أنفسها وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون بها أهلهم وأموالهم فاحببت اذ قاتني ذلك من النسب فيهم ان اخذ عندهم يذا يحمون بها فرائتي وما فعلت ذلك كفراً ولا ار تداد اولاً رضا بالكفر بعد الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وآله

إباحة كل الأعمال لهم وتخييرهم فيما شاؤوا منها وذلك ممتنع : فقالت طائفة منهم ابن الجوزي ليس المراد من قوله « اعملوا » الاستقبال وإنما هو للماضى : وتقديره أي عمل كان لكم فقد غفرته : قال ويدل على ذلك شيان : أحدهما أنه لو كان للمستقبل كان جوابه قوله : فسأغفر لكم : والثاني أنه كان يكون اطلاقاً في الذنوب ولا وجه لذلك : وحقيقة هذا الجواب أني قد غفرت لكم بهذه الغزوة ماسلف من ذنوبكم لكنه ضعيف من وجبين أحدهما أن لفظ اعملوا يأباه فإنه للاستقبال دون الماضى : وقوله « قد غفرت لكم » لا يوجب أن يكون اعملوا مثله فإن قوله « قد غفرت » تحقيق لوقوع المغفرة في المستقبل كقوله (أي أمر الله) (وجاء ربك) ونظائره * الثاني أن نفس الحديث يردّه فإن سببه قصة حاظب

وسلم لقد صدقكم فقال عمر يا رسول الله دعني اضرب عنق هذا المنافق فقال انه قد شهد بدراً وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» ورواه البخاري، في غير موضع من صحيحه ورواه أيضاً الامام احمد بن حنبل : وقوله في الحديث « روضة خاخ » بخاتين معجنتين موضع بين الحرمين وهو من حمي المدينة : والظلمة المرأة : وقوله « فاخرجته من عقاصها » جمع عقيصة وهي الضفيرة من شعر الرأس : وقد ذكر يحيى بن سلام في تفسيره أن لفظ الكتاب : أما بعد يامعشر قريش فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جاءكم بحيش كالليل يسير كالسيل فوالله لو جاءكم وحده لنصره الله وأنجز له وعده فانظروا لانفسكم والسلام : كذا حكاها السهيلي : وقوله « انه قد شهد بدراً » ظاهره أن العلة في ترك قتله كونه من شهد بدراً ولولا ذلك لكان مستحقاً للقتل وهي من أدلة من يقول أن الجاسوس يقتل ولو كان من المسلمين : وقوله « لعل الله » قد صرح العلماء بأن الترجي المذكور في كلام الله وكلام رسوله للوقوع : وقد وقع عند الامام احمد وابن داود وابن أبي شيبة في حديث ابن هريرة بالجزم ولفظه « ان الله اطلع على أهل بدر » الحديث * والله أعلم

وتجسسه علي النبي ﷺ وذلك ذنب واقع بعد غزوة بدر لاقبلها (١) وهو سبب الحديث فهو مراد منه قطعاً فالذي نظن في ذلك والله أعلم ان هذا خطاب لقوم قد علم الله سبحانه أنهم لا يفارقون دينهم بل يموتون على الاسلام وانهم قد يقارفون بعض ما يقارفه غيرهم من الذنوب ولكن لا يتركهم سبحانه مصرين عليها بل يوفقهم لتوبة نصوح واستغفار وحسنات تمحو أثر ذلك ويكون تخصيصهم بهذا دون غيرهم لانه قد تحقق ذلك فيهم وأنهم مغفور لهم ولا يمنع ذلك كون المغفرة حصلت بأسباب تقوم بهم كما لا يقتضي ذلك أن يعطوا الفرائض وثوقاً بالمغفرة فلو كانت قد حصلت بدون الاستمرار علي القيام بالأوامر لما احتاجوا بعد ذلك الى صلاة ولا صيام ولا حج ولا زكاة ولا جهاد وهذا محال : ومن أوجب الواجبات التوبة بعد الذنب فزمان المغفرة لا يوجب تعطيل أسباب المغفرة ونظير هذا قوله في الحديث الآخر « أذنب عبد ذنباً فقال أي رب أذنبت ذنباً فاغفره لي فغفر له ثم مكث ما شاء الله أن يمكث ثم أذنب ذنباً آخر فقال أي رب أصبت ذنباً فاغفر لي فغفر له ثم مكث ما شاء الله أن يمكث ثم أذنب ذنباً آخر فقال رب أصبت ذنباً فاغفره لي فقال الله علم عبدي ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ به قد غفرت لعبدي فليعمل ما شاء » فليس في هذا اطلاق واذن منه سبحانه له في المحرمات والجرائم وانما يدل على أنه يغفر له مادام كذلك اذا أذنب تاب *

(١) لان هذه القصة كانت بعد بدر بست سنين وهو يدل علي أن المراد ما سيأتي ولو كان لماضي لما حسن الاستدلال به في قصة حاطب لانه صلى الله عليه وآله وسلم خاطب به عمرأ منكراً عليه ما قال في أمر حاطب وقد أجاب بعضهم بجواب آخر: حاصله أن صيغة الامر في قوله « اعملوا » للتعريف والتكريم فالمراد عدم المؤاخذه بما يصدر منهم بعد ذلك وأنهم خصوا بذلك لما حصل لهم من الحال العظيمة التي اقتضت محو ذنوبهم السالنة وتأهلوا لان يغفر الله لهم الذنوب اللاحقة ان وقت : قال الحافظ في الفتح وانفقوا أن البشارة المذكورة فيما يتعلق بأحكام الآخرة لا بأحكام الدنيا من اقامة الحدود وغيرها : والله أعلم

واختصاص هذا العبد بهذا لانه قد علم انه لا يصبر على ذنب وانما كلما اذنب تاب حكم يعم كل من كانت حاله حاله لكن ذلك العبد مقطوع له بذلك كما قطع به لاهل بدر: وكذلك كل من بشره رسول الله ﷺ بالجنة أو أخبره بأنه مغفور له لم يفهم منه هو ولا غيره من الصحابة اطلاق الذنوب والمعاصي له ومساعدته بترك الواجبات بل كان هؤلاء أشد اجتهادا وحذرا وخوفا بعد البشارة منهم قبلها كالعشرة المشهود لهم بالجنة : وقد كان الصديق شديد الحذر والمحاذة وكذلك عمر فافهم علموا أن البشارة المطلقة مقيدة بشروطها والاستمرار عليها الى الموت ومقيدة بانتفاء موانعها ولم يفهم أحد منهم من ذلك الاطلاق الاذن فيما شاؤا من الأعمال *

فائدة جلية

قوله تعالى (هو الذي جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور) أخبر سبحانه أنه جعل الارض ذلولا منقادا للوطء عليها وحفرها وشقها والبناء عليها ولم يجعلها مستعصبة ممتنعة على من اراد ذلك منها: وأخبر سبحانه أنه جعلها مهاداً و فراشاً وبساطاً وقراراً وكفناً : وأخبر أنه دحاها وطحاها وأخرج منها ماءها ومرعاها : وثبتها بالجبال : ونهج فيها الفجاج والطرق : وأجرى فيها الأنهار والعيون : وبارك فيها وقدر فيها أقواتها : ومن بركتها ان الحيوانات كلها وأرزاقها وأقواتها تخرج منها : ومن بركتها انها تحمل الأذى تودع فيها الحب فتخرجه لك أضعاف أضعاف ما كان: ومن بركتها انها تحمل الأذى على ظهرها وتخرج لك من بطنها أحسن الأشياء. وأنفعها فتوارى منه كل قبيح وتخرج له كل مایح : ومن بركتها أنها تستر قبائح العبد وفضلات بدنه وتوارىها وتضمه وتؤويه : وتخرج له طعامه وشرايه فهي أحمل شيء للأذى وأعوده بالنفع فلا كان من التراب خير منه وأبعد من الأذى وأقرب الى الخير *

(٣٢ - فوائد)

والمقصود انه سبحانه جعل لنا الارض كالجمل الذلول الذي كيفما يقاد يتقاد وحسن التعبير بمناكبها عن طرقها ونجاحها لما تقدم من وصفها بكونها ذلولاً فالماشي عليها يظأ علي مناكبها وهو أعلى شئ فيها ولهذا فسرت المناكب بالجبال كمنابك الانسان وهي أعاليه . قالوا وذلك تنبيه علي أن المشي في سهولها أيسر . وقالت طائفة بل المناكب الجوانب والنواحي ومنه مناكب الانسان لجوانبه . والذي يظهر ان المراد بالمناكب الأعالي . وهذا الوجه الذي يمشي عليه الحيوان هو العالی من الأرض دون الوجه المقابل له فان سطح الكرة اعلاها والماشي انما يقع في سطحها: وحسن التعبير عنه بالمناكب لما تقدم من وصفها بأنها ذلول . ثم أمرهم أن يأكلوا من رزقه الذي أودعه فيها فذلها لهم ووطأها وفتق فيها السبل والطرق التي يمشون فيها وأودعها رزقهم فذكر تهينة المسكن للارتفاع والتقلب فيه بالذهاب والجمي . والاكل مما أودع فيه لساكن ثم نبه بقوله (واليه النشور) على انافي هذا المسكن غير مستوطنين ولا مقيمين بل دخلناه عابري سبيل فلا يحسن ان نتخذه وطناً ومستقراً وإنما دخلناه لتزود منه الى دار القرار فهو منزل عبور لا مستقر جبور ومعبر . وممر لا وطن ومستقر: فتضمنت الآية الدلالة على ربوبيته ووحدانيته وقدرته وحكمته واطفه والتذكير بنعمه واحسانه والتحذير من الركون الى الدنيا واتخاذها وطناً ومستقراً بل نسرع فيها السير الى داره وجنته فله ما في ضمن هذه الآية من معرفته وتوحيده والتذكير بنعمه والحث على السير اليه والاستعداد للقاءه والقدوم عليه والاعلام بأنه سبحانه يطوى هذه الدار كأن لم تكن وانه يحبي أهلها بعد ما أماتهم واليه النشور *

فائدة

للانسان قوتان قوة علمية نظرية: وقوة عملية ارادية : وسعاداته التامة موقوفة على استكمال قوته العلمية والارادية : واستكمال القوة العلمية انما يكون بمعرفة

فاطره وبارئته ومعرفة أسمائه وصفاته ومعرفة الطريق التي توصل اليه ومعرفة آفاتهما ومعرفة نفسه ومعرفة عيوبها: فهذه المعارف الخمسة يحصل كمال قوته العلمية: وأعلم الناس أعرفهم بها وأفقههم فيها: واستكمال القوة العملية الارادية لا تحصل الا بمراعاة حقوقه سبحانه على العبد والقيام بها اخلاصاً وصدقاً ونصحاً واحساناً ومتابعة وشهوداً لمنته عليه وتقصيره هو في اداء حقه فهو مستحي من مواجهته بتلك الخدمة لعلمه انها دون ما يستحقه عليه ودون دون ذلك وانه لا سبيل له الي استكمال هاتين القوتين الا بمعاونته فهو مضطر الى ان يهديه الصراط المستقيم الذي هدى اليه أوليائه وخاصته وان يحجبه الخروج عن ذلك الصراط اما بفساد في قوته العلمية فيقع في الضلال واما في قوته العملية فيوجب له الغضب *

فكمال الانسان وسعادته لا تتم الا بمجموع هذه الأمور وقد تضمنتها سورة الفاتحة وانتظمها اكمل انتظام: فان قوله (الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين) يتضمن الاصل الاول وهو معرفة الرب تعالى ومعرفة اسمائه وصفاته وأفعاله: والأسماء المذكورة في هذه السورة هي أصول الأسماء الحسنى وهي اسم الله والرب والرحمن: فاسم الله متضمن لصفات الألوهية واسم الرب متضمن لصفات الربوبية: واسم الرحمن متضمن لصفات الاحسان والجود والبر: ومعاني أسمائه تدور على هذا: وقوله (اياك نعبدواياك نستعين) يتضمن معرفة الطريق الموصلة اليه وانها ليست بالأعبادة وحده بما يحبه ويرضاه: واستعانته على عبادته: وقوله (اهدنا الصراط المستقيم) يتضمن بيان ان العبد لا سبيل له الى سعادته الا باستقامته على الصراط المستقيم وانه لا سبيل له الى الاستقامة الا بهداية ربه له كما لا سبيل له الى عبادته الا بمعاونته فلا سبيل له الى الاستقامة على الصراط الا بهدايته: وقوله (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) يتضمن بيان طرفي الانحراف عن الصراط المستقيم وان الانحراف الى احد الطرفين انحراف الى الضلال الذي هو فساد العلم والاعتقاد والانحراف الى الطرف الآخر انحراف الى الغضب الذي سببه فساد القصد والعمل

فأول السورة رحمة وأوسطها هداية وآخرها نعمة : وحظ العبد من النعمة على قدر حظه من الهداية وحظه منها على قدر حظه من الرحمة فعاد الأمر كله الى نعمته ورحمته : والنعمة والرحمة من لوازم ربوبيته فلا يكون الا رحيماً ومنعماً وذلك من موجبات الهيته فهو الاله الحق وان جده الجاحدون وعدل به المشركون : فمن تحقق بمعاني الفاتحة علماً ومعرفة وعملاً وحالاً فقد فاز من كماله بأوفر نصيب وصارت عبوديته عبودية الخاصة الذين ارتفعت درجاتهم عن عوام المتعبدين والله المستعان *

فائدة

الرب تعالى يدعو عباده في القرآن الى معرفته من طريقين : احدهما النظر في مفعولاته : والثاني التفكير في آياته وتدبرها فتلك آياته المشهودة وهذه آياته المسموعة المعقولة * فالنوع الأول كقوله (ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس) الى آخرها : وقوله (ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولى الالباب) وهو كثير في القرآن * والثاني كقوله (أفلا يتدبرون القرآن) وقوله : (أفلم يدبروا القول) وقوله (كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته) وهو كثير أيضاً *

فأما المفعولات فانها دالة على الأفعال والأفعال دالة على الصفات فان المفعول يدل على فاعل فعله وذلك يستلزم وجوده وقدرته ومشيته وعلمه لاستحالة صدور الفعل الاختياري من معدوم أو موجود لا قدرة له ولا حياة ولا علم ولا ارادة : ثم ماني المفعولات من التخصيصات المتنوعة دال على ارادة الناعل وان فعله ليس بالطبع بحيث يكون واحداً غير متكرر . وما فيها من المصالح والحكم والغايات المحمودة دال على حكمته تعالى : وما فيها من النفع والاحسان والخير دال على رحمته : وما فيها من البطش والانتقام والعقوبة دال

على غضبه : وما فيها من الأكرام والتقريب والعناية دال على محبته . وما فيها من الإهانة والابعاد والخذلان دال على بغضه ومقته : وما فيها من ابتداء الشيء في غاية النقص والضعف ثم سوقه الى تمامه ونهايته دال على وقوع المعاد : وما فيها من أحوال النبات والحيوان وتصرف المياه دليل على إمكان المعاد : وما فيها من ظهور آثار الرحمة والنعمة على خلقه دليل على صحة النبوات : وما فيها من الكمالات التي لو عدمتها كانت ناقصة دليل على أن معطى تلك الكمالات أحق بها ففعلولاه من أدل شيء على صفاته وصدق ما أخبرت به رساله عنه : فالمصنوعات شاهدة تصدق الآيات المسموعات منبهة على الاستدلال بالآيات المصنوعات قال تعالى (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتي يتبين لهم انه الحق) أي ان القرآن حق فاخبر انه لا بد أن يريهم من آياته المشهودة ما يبين لهم ان آياته المتلوة حق ثم أخبر بكفاية شهادته على صحة خبره بما أقام من الدلائل والبراهين علي صدق رسوله . فأياته شاهدة بصدقه وهو شاهد بصدق رسوله بآياته فهو الشاهد والمشهد له : وهو الدليل والمدلول عليه : فهو الدليل بنفسه على نفسه كما قال بعض العارفين : كيف أطلب الدليل على من هو دليل لي علي كل شيء فأني دليل طلبته عليه فوجوده أظهر منه . ولهذا قال الرسل لقومهم (أفى الله شك) فهو أعرف من كل معروف وأبين من كل دليل : فلا شيء عرفت به في الحقيقة وان كان عرف بها في النظر والاستدلال بأفعاله واحكامه عليه .

فائدة

في المسند وصحيح أبي حاتم من حديث عبد الله بن مسعود « قال قال رسول الله ﷺ ما أصاب عبدا هم ولا حزن فقال اللهم اني عبدك ابن عبدك ابن أمتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت

به في علم الغيب عندك ان تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني
 وذهاب همي وغمي الا اذهب الله همي وغمي وأبدله مكانه فرحاً قالوا يا رسول
 الله أفلا تتعلمين قال بلي ينبغي لمن سمعن ان يتعلمن « فتضمن هذا الحديث
 العظيم أموراً من المعرفة والتوحيد والعبودية : منها أن الداعي به صدر
 سؤاله بقوله اني عبدك ابن عبدك ابن أمك وهذا يتناول من فوقه
 من آبائه وأمهاته الى ابويه آدم وحواء وفي ذلك تملق له واستخذاء (١) بين
 يديه واعتراف بأنه مملوكه وآباؤه مما يليكه : وان العبد ليس له غير باب سيده
 وفضله واحسانه وان سيده ان اهمله وتخلي عنه هلك ولم يؤثروا احد ولم يعطف
 عليه بل يضيع أعظم ضيعة: فتحت هذا الاعتراف اني لاغنى بي عنك طرفه عين
 وليس لي من أعوذ به والوذ به غير سيدي الذي انا عبده : وفي ضمن ذلك الاعتراف
 بأنه مريبوب مدبر مأمور منهى عما يتصرف بحكم العبودية لاجمك الاختيار لنفسه
 فليس هذا شأن العبد بل شأن الملوك والأحرار : واما العبيد فتصرفهم على محض
 العبودية فهو لاء عبيد الطاعة المضافون اليه سبحانه في قوله (ان عبادي ليس لك
 عليهم سلطان) وقوله (وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا) ومن
 عداهم عبيد القهر والربوبية فاضافتهم اليه كاضافة سائر البيوت الى ملكه واضافة
 أولئك كاضافة البيت الحرام اليه واضافة ناقته اليه وداره التي هي الجنة اليه :
 واضافة عبودية رسوله اليه بقوله (وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا)
 (سبحانه الذي أسرى بعبد) (وانه لما قام عبد الله يدعوه) وفي التحقيق بمعنى
 قوله اني عبدك التزام عبوديته من الذل والخضوع والانابة وامثال امر سيده
 واجتناب نهيه ودوام الاقتدار اليه والالجا اليه والاستعانة به والتوكل عليه وعياد
 العبد به ولياذه به وان لا يتعلق قلبه بغيره محبة وخوفا ورجاء : وفيه ايضاً اني
 عبد من جميع الوجوه صغيراً وكبيراً حياً وميتاً مطيعاً وعاصياً معافى ومبتلي بالروح
 والقلب واللسان والجوارح : وفيه ايضاً ان مالى ونفسي ملك لك فان العبد وما

يملك لسيده: وفيه ايضاً انك أنت الذي مننت على بكل ما انا فيه من نعمة: فذلك كله من انعامك على عبدك: وفيه أيضاً اني لا أتصرف فيما خولتني من مالى ونفسي الا بأمرك كالا يتصرف العبد الا باذن سيده واني لا املك لنفسي ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً * فان صح له شهود ذلك فقد قال اني عبدك حقيقة: ثم قال ناصيتي بيدك اى انت المتصرف في تصرفي كيف تشاء لست انا المتصرف في نفسي وكيف يكون له في نفسه تصرف من نفسه يديره ووسيده وناصيته بيده وقلبه بين أصبعين من أصابعه وموته وحياته وسعادته وشقاوته وعافيته وبلاؤه كله اليه سبحانه ليس الى العبد منه شيء بل هو في قبضة سيده اضعف من مملوك ضعيف حقير ناصيته بيد سلطان قاهر مالك له تحت تصرفه وقهره بل الأمر فوق ذلك: ومتى شهد العبد ان ناصيته ونواصي العباد كلها بيد الله وحده يصرفهم كيف يشاء لم يخفهم بعد ذلك ولم يرجهم ولم ينزلهم منزلة المالكين بل منزلة عبيد مقهورين مربوبين المتصرف فيهم سوام والمدير لهم غيرهم فمن شهد نفسه بهذا المشهد صار فقره وضرورته الى ربه وصفا لازماً له ومتى شهد الناس كذلك لم يفتقر اليهم ولم يعلق أماله ورجاء بهم فاستقام توحيده وتوكله وعبوديته: ولهذا قال هود لقومه (اني توكلت على الله ربي وربكم مامن دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم) وقوله «ماض في حكمك عدل في قضاؤك» تضمن هذا الكلام أمرين: أحدهما مضى حكمه في عبده: والثاني يتضمن حمده وعدله وهو سبحانه له الملك وله الحمد وهذا معنى قول نبيه هود (ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها) ثم قال (ان ربي على صراط مستقيم) أى مع كونه مالكا قاهرا متصرفا في عبادته نواصيهم بيده فهو على صراط مستقيم: وهو العدل الذي يتصرف به فيهم فهو على صراط مستقيم في قوله وفعله وقضائه وقدره وأمره ونهيه وثوابه وعقابه: فخبره كله صدق وقضاؤه كله عدل وأمره كله مصلحة والذي نهى عنه كله مفسدة وثوابه لمن يستحق الثواب بفضلته ورحمته وعقابه لمن يستحق العقاب بعدله وحكمته: وفرق بين

الحكم والقضاء. وجعل المضاء للحكم والعدل للقضاء. فان حكمه سبحانه يتناول حكمه الديني الشرعي وحكمه الكوني القدرى : والنوعان نائذان في العبدماضيان فيه وهو مقهور تحت الحكمين قد مضيا فيه ونفذا فيه شاء أم أبى لكن الحكم الكوني لا يمكنه مخالفته : وأما الديني الشرعي فقد يخالفه *

ولما كان القضاء هو الاتمام والاكمال وذلك انما يكون بعد مضيه ونفذه قال «عدل في قضاؤك» أي الحكم الذي أكلته وآتمته ونفذته في عبدك عدل منك فيه : وأما الحكم فهو ما يحكم به سبحانه وقد يشاء تنفيذه وقد لا ينقذه فان كان حكما دينيا فهو ماض في العبد وان كان كونيا فان نفذه سبحانه مضى فيه وان لم ينفذه اندفع عنه فهو سبحانه يقضى ما يقضى به وغيره قد يقضى بقضاء. ويقدر أمرا ولا يستطيع تنفيذه وهو سبحانه يقضى ويمضى فله القضاء والامضاء. وقوله «عدل في قضاؤك» يتضمن جميع أفضيته في عبده من كل الوجوه من صحة وسقم وغنى وفقر. ولذة وألم وحياة وموت وعقوبة وتجاوز وغير ذلك . قال تعالى (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) وقال (وان تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فان الانسان كفور) فكل ما يقضى على العبد فهو عدل فيه *

{فان قيل} فالعصية عندكم بقضائه وقدره فما وجه العدل في قضائه فان العدل في العقوبة عليها ظاهر * قيل هذا سؤال له شأن ومن أجله زعمت طائفة ان العدل هو المقدور والظلم ممتنع لذاته قالوا لان الظلم هو التصرف في ملك الغير والله له كل شيء. فلا يكون تصرفه في خلقه الا عدلا: وقالت طائفة بل العدل انه لا يعاقب على ما قضاه وقدره فلما حسن منه العقوبة على الذنب علم انه ليس بقضائه وقدره فيكون العدل هو جزاؤه على الذنب بالعقوبة والذم إما في الدنيا وإما في الآخرة وصعب على هؤلاء الجمع بين العدل وبين القدر فرعوا ان من أثبت القدر لم يمكنه ان يقول بالعدل ومن قال بالعدل لم يمكنه أن يقول بالقدر كما صعب عليهم الجمع بين التوحيد وإثبات الصفات فرعوا انه لا يمكنهم اثبات التوحيد الا بانكار الصفات فنصار توحيدهم تعطيلًا

وعدهم تكذيباً بالقدر * وأما أهل السنة فهم مثبتون للأمرين والظلم عندهم هو وضع الشيء في غير موضعه كتعذيب المطيع ومن لا ذنب له وهذا قد نزه الله نفسه عنه في غير موضع من كتابه وهو سبحانه وإن أضل من شاء وقضى بالمعصية والغى على من شاء فذلك محض العدل فيه لانه وضع الاضلال والخذلان في موضعه اللائق به : كيف ومن أسمائه الحسنى العدل الذى كل أفعاله وأحكامه سداد وصواب وحق وهو سبحانه قد أوضح السبل وأرسل الرسل وأنزل الكتب وأزاح العلل ومكن من أسباب الهداية والطاعة بالاسماع والابصار والعقول : وهذا عدله ووفق من شاء بمزيد عناية وأراد من نفسه أن يعينه ويوفقه فهذا فضله : وخذل من ليس بأهل لتوفيقه وفضله وخلي بينه وبين نفسه ولم يرد سبحانه من نفسه أن يوفقه فقطع عنه فضله ولم يحرمه عدله : وهذا نوعان : أحدهما ما يكون جزاء منه للعبد على اعراضه عنه وإيثار عدوه فى الطاعة والموافقة عليه وتناسى ذكره وشكره فهو أهل أن يخذله ويتخلى عنه : والثاني أن لا يشاء له ذلك ابتداء لما يعلم منه أنه لا يعرف قدر نعمة الهداية ولا يشكره عليه ولا يثنى عليه بها ولا يحبه فلا يشاؤها له لعدم صلاحية محله : قال تعالى (وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين) وقال (ولو علم الله فيهم خيراً لاسمعهم) فإذا قضى على هذه النفوس بالضللال والمعصية كان ذلك محض العدل كما إذا قضى على الحية بأن تقتل وعلى العقرب . وعلى الكلب العقور كان ذلك عدلاً فيه وإن كان مخلوقاً على هذه الصفة : وقد استوفينا الكلام فى هذا فى كتابنا الكبير فى القضاء والقدر *

والمقصود أن قوله عليه السلام «ماض فى حكمك عدل فى قضاؤك» رد على الطائفتين القدرية الذين ينكرون عموم أقضية الله فى عبده ويخرجون أفعال العباد عن كونها بقضائه وقدره ويردون القضاء الى الأمر والنهى : وعلى الجبرية الذين يقولون كل مقدور عدل فلا يبقى لقوله «عدل فى قضاؤك» فائدة فإن العدل عندهم كل ما يمكن (م ٤ — فوائد)

فعله والظلم هو المحال لذاته فكأنه قال ماض ونافذ في قضاءك : وهذا هو الأول بعينه : وقوله « أسألك بكل اسم » الى آخره توسل اليه باسمائه كلها ما علم العبد منها وما لم يعلم : وهذه أحب الوسائل اليه فانها وسيلة بصفاته وأفعاله التي هي مدلول اسمائه : وقوله « ان تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري » الربيع المطر الذي يحيي الأرض شبه القرآن به حياة القلوب به وكذلك شبهه الله بالمطر وجمع بين الماء الذي تحصل به الحياة والنور الذي تحصل به الاضاءة والاشراق كما جمع بينهما سبحانه في قوله (أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبداً راييا ومما توقدون عليه في النار ابتغاء حلية) : وفي قوله (مثاهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم) ثم قال (أو كصيب من السماء) : وفي قوله (الله نور السموات والأرض مثل نوره) الآيات : ثم قال (ألم تر أن الله يزجى سحاباً ثم يؤلف بينه) الآية : فتضمن الدعاء أن يحيي قلبه بربيع القرآن وان ينور به صدره فتجتمع له الحياة والنور : قال تعالى (أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها) *

ولما كان الصدر أوسع من القلب كان النور الحاصل له يسرى منه الى القلب لانه قد حصل لما هو أوسع منه : ولما كانت حياة البدن والجوارح كلها بحياة القلب تسرى الحياة منه الى الصدر ثم الى الجوارح سأل الحياة له بالربيع الذي هو مادتها : ولما كان الحزن والهم والغم يضاد حياة القلب واستنارته سأل أن يكون ذهابها بالقرآن فانها أحزني أن لا تعود وأما اذا ذهبت بغير القرآن من صحة أو دنيا أو جاه أو زوجة أو ولد فانها تعود بذهاب ذلك : والمكروه الوارد علي القلب ان كان من أمر ماض أحدث الحزن وان كان من مستقبل أحدث الهم وان كان من أمر حاضر أحدث الغم والله أعلم *

فائدة

أنزله الموجودات وأظهرها وأنورها وأشرفها وأعلاها ذاتاً وقدرأ وأوسعها
عرش الرحمن جل جلاله : ولذلك صلح لاستوائه عليه : وكل ما كان أقرب الى
العرش كان أنور وأنزه وأشرف مما بعد عنه : ولهذا كانت جنة الفردوس أعلى
الجنان وأشرفها وأنورها وأجلها لقربها من العرش اذ هو سقفها وكل ما بعد
عنه كان أظلم وأضيق : ولهذا كان أسفل سافلين شر الأمكنة وأضيقتها وأبعدها
من كل خير : وخلق الله القلوب وجعلها محلا لمعرفة ومحبه واراادته فهي عرش
المثل الأعلى الذى هو معرفته ومحبه واراادته : قال تعالى (للذين لا يؤمنون
بالآخرة مثل السوء والله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم) : وقال تعالى (وهو
الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى فى السموات
والأرض وهو العزيز الحكيم) وقال تعالى (ليس كمثله شيء) فهذا من المثل
الأعلى وهو مستوعلي قلب المؤمن فهو عرشه وان لم يكن أظهر الأشياء وأنزهها
وأطيبها وأبعدها من كل دنس وخبث لم يصلح لاستواء المثل الأعلى عليه معرفة
ومحبة وأرادة فاستوى عليه مثل الدنيا الأسفل ومحبتها واراادتها والتعلق بها
فضاق وأظلم وبعد من كماله وفلاحه حتى تعود القلوب على قلبين . قلب هو عرش
الرحمن ففيه النور والحياة والفرح والسرور والبهجة وذخائر الخير . وقلب هو
عرش الشيطان فهناك الضيق والظلمة والموت والحزن والغم والهم فهو حزين على
ما مضى مهموم بما يستقبل مغموم فى الحال . وقد روى الترمذى وغيره عن النبي
ﷺ انه قال « اذا دخل النور القلب انفسح وانشرح قالوا فما علامة ذلك يا رسول
الله قال الانابة الى دار الخلود والتجاني عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل
نزوله » والنور الذى يدخل القلب انما هو من آثار المثل الأعلى فلذلك ينفسح
وينشرح واذا لم يكن فيه معرفة الله ومحبه فحظه الظلمة والضيق *

فائدة

تأمل خطاب القرآن تجد ملكا له الملك كله وله الحمد كله : أزمة الأمور كلها بيده ومصدرها منه ومردّها اليه مستويا على سرير ملكه لا تخفى عليه خافية في أقطار مملكته عالما بما في نفوس عبيده مطلعا على أسرارهم وعلايتهم منفردا بتدبير المملكة يسمع ويرى ويعطى ويمنع ويثيب ويعاقب ويكرم ويهين ويخلق ويرزق ويميت ويحيي ويقدر ويقضي ويدبر الأمور نازلة من عنده دقيقها وجليلها وصاعدة اليه لا تحرك في ذرة الا باذنه ولا تسقط ورقة الا بعلمه : فتأمل كيف تجده يثني على نفسه ويمجد نفسه ويحمد نفسه وينصح عباده ويدلهم على ما فيه سعادتهم وفلاحهم ويرغبهم فيه ويحذرهم مما فيه هلاكهم ويتعرف اليهم بأسمائه وصفاته ويتجلب اليهم بنعمه وآلائه فيذكركم بنعمه عليهم ويأمرهم بما يستوجبون به تمامها ويحذرهم من نقمه ويذكركم بما أعد لهم من الكرامة ان اطاعوه وما أعد لهم من العقوبة ان عصوه ويخبرهم بصنعه في أوليائه وأعدائه وكيف كانت عاقبة هؤلاء وهؤلاء : ويثني على أوليائه بصالح أعمالهم وأحسن أوصافهم ويذم أعداءه بسوء أعمالهم وقبيح صفاتهم : ويضرب الأمثال وينوع الأدلة والبراهين وينجيب عن شبه أعدائه أحسن الأجوبة ويصدق الصادق ويكذب الكاذب ويقول الحق ويهدي السبيل : ويدعو الي دار السلام ويذكر أوصافها وحسنها ونعيمها ويحذر من دار البوار ويذكر عذابها وقبحها وآلامها : ويذكر عباده فقرهم اليه وشدة حاجتهم اليه من كل وجه وأنهم لا غنى لهم عنه طرفه عين ويذكر غناه عنهم وعن جميع الموجودات : وانه الغني بنفسه عن كل ماسواه وكل ماسواه فقير اليه بنفسه وانه لا ينال احد ذرة من الخير فما فوقها الا بفضلہ ورحمته ولا ذرة من الشر فما فوقها الا بعدله وحكمته ويشهد من خطابه عتابه لاحبابه الطف عتاب وانه مع ذلك مقيل عثراتهم وغافر زلاتهم ومقيم أعذارهم ومصلح فسادهم والدافع

عنهم والمحامي عنهم والناصر لهم والكفيل بمصالحهم والمنجى لهم من كل كرب والموفى لهم بوعده وأنه وليهم الذي لاولى لهم سواء فهو مولاهم الحق ونصيرهم علي عدوهم فذم المولى ونعم النصير : فإذا شهدت القلوب من القرآن ملكاً عظيماً رحباً جواداً جميلاً هذا شأنه فكيف لا تحبه وتنافس في القرب منه وتتفق أنفاسها في التودد إليه ويكون أحب إليها من كل ماسواه ورضاه أثر عندها من رضا كل ماسواه: وكيف لا تلجج بذكره ويصير حبه والشوق إليه والآنس به هو غذائها وقوتها ودواؤها بحيث أن فقدت ذلك فسدت وهلكت ولم تنفع بجياتها *

فائدة

قبول المحل لما يوضع فيه مشروط بتفريغه من ضده وهذا كما أنه في الذوات والأعيان فكذلك هو في الاعتقادات والآراء: فإذا كان القلب ممتلئاً بالباطل اعتقاداً ومحبة لم يبق فيه لاعتقاد الحق ومحبة موضع كما أن اللسان إذا اشتغل بالكلمة بما لا ينفع لم يتمكن صاحبه من النطق بما ينفعه إلا إذا فرغ لسانه من النطق بالباطل: وكذلك الجوارح إذا اشتغلت بغير الطاعة لم يمكن شغلها بالطاعة إلا إذا فرغها من ضدها: فكذلك القلب المشغول بمحبة غير الله وإرادته والشوق إليه والآنس به لا يمكن شغله بمحبة الله وإرادته وحبه والشوق إلى لقائه إلا بتفريغه من تعلقه بغيره: ولا حركة للسان بذكره والجوارح بخدمته إلا إذا فرغها من ذكر غيره وخدمته فإذا امتلأ القلب بالشغل بالمخلوق والعلوم التي لا تنفع لم يبق فيها موضع للشغل بالله ومعرفة أسمائه وصفاته وأحكامه: وسر ذلك أن اصغاء القلب كاصغاء الأذن فإذا صغى إلى غير حديث الله لم يبق فيه اصغاء ولا فهم لحديثه: كما إذا مال إلى غير محبة الله لم يبق فيه ميل إلى محبته فإذا نطق القلب بغير ذكره لم يبق فيه محل للنطق بذكره كاللسان: ولهذا في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال «لأن يمتدُّ جوف أحدكم قيحاً حتى يريه خير له من أن يمتلئ»

شعراً « فين أن الجوف يمتليء بالشعر فكذلك يمتليء بالشبه والشكوك والخيالات والتقدير التي لا وجود لها والعلوم التي لا تنفع والمفاكيات والمضحكات والحكايات ونحوها : وإذا اختلأ القلب بذلك جاءته حقائق القرآن والعلم الذي به كماله وسعادته فلم يجد فيه فراغاً لها ولا قبولاً فتعدته وجاوزته الي محل سواء كما اذا بذلت النصيحة لقلب ملآن من ضدها لا منفذ لها فيه فانه لا يقبلها ولا تلج فيه لكن تمر مجازاة لا مستوطنة ولذلك قيل

نزه فؤادك من سوانا تلقنا * فجنابنا حل لكل منزه
والصبر طلمس لكنز وصالنا * من حل ذا الطلمس فاز بكنزه
وبالله التوفيق *

فائدة

قوله تعالى (الها كم التكاثر) الى آخرها أخصت هذه السورة للوعد والوعيد والتهديد وكفى بها موعظة لمن عقلها: فقوله تعالى (الها كم) أي شغلكم علي وجه لا تعذرون فيه فان الالهاء عن الشيء هو الاشتغال عنه فان كان يقصد فهو محل التكيف وان كان بغير قصد كقوله ﷺ في الخيصة « انها ألفتني آتفا عن صلاتي » كان صاحبه معذوراً وهو نوع من النسيان : وفي الحديث « فلما ﷺ عن الصبي » أي ذهل عنه : ويقال لها بالشيء أي اشتغل به ولها عنه اذا انصرف عنه : واللبو للقلب واللب الجوارح ولهذا يجمع بينهما : ولهذا كان قوله (الها كم التكاثر) ابلغ في الظم من شغلكم فان العامل قد يستعمل جوارحه بما يعمل وقلبه غير لاه به: فاللهو هو ذهول واعراض: والتكاثر تقاعل من الكثرة أي مكاثرة بعضهم لبعض: واعرض عن ذكر التكاثر به ارادة لاطلاقه وعمومه وان كل ما يكاثر به العبد غيره سوى طاعة الله ورسوله وما يعود عليه بنفع معاده فهو داخل في هذا التكاثر: فالتكاثر في كل شيء من مال او جاه او رياسة او نسوة او حديث او

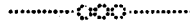
علم : ولا سيما اذا لم يحتج اليه : والتكاثر في الكتب والتصانيف وكثرة المسائل وتفرعها وتوليدها : والتكاثر ان يطلب الرجل ان يكون اكثر من غيره وهذا مذموم الا فيما يقرب الى الله فالتكاثر فيه منافسة في الخيرات ومساابقة اليها : وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن الشخير انه « انتهى الى النبي ﷺ وهو يقرأ ألهاكم التكاثر قال يقول ابن آدم مالى مالى وهل لك من مالا الا ما تصدقت فأمضيت أو أكلت فافيت او لبست فابليت » *

تذمية

من لم ينتفع بعينه لم ينتفع بأذنه : للعبد ستر بينه وبين الله وستر بينه وبين الناس فمن هتك الستر الذى بينه وبين الله هتك الله الستر الذى بينه وبين الناس : للعبد رب هو ملاقيه وبيت هو ساكنه فينبغى له ان يسترضي ربه قبل لقائه ويعمر بيته قبل انتقاله اليه * أضاعة الوقت اشد من الموت لان أضاعة الوقت تقطعك عن الله والدار الآخرة والموت يقطعك عن الدنيا واهلها * الدنيا من أولها الى آخرها لا تساوى غم ساعة فكيف بغم العمر * محبوب اليوم يعقب المكروه غداً ومكروه اليوم يعقب المحبوب غداً * أعظم الريح في الدنيا ان تشغل نفسك كل وقت بما هو أولى بها وأنفع لها في معادها كيف يكون عاقلاً من باع الجنة بما فيها بشهوة ساعة * يخرج العارف من الدنيا ولم يقض وطره من شئين بكأوه على نفسه وثناؤه على ربه * الخلق اذا خفته استوحشت منه وهربت منه والرب تعالى اذا خفته أنست به وقربت اليه * لو نفع العلم بلا عمل لما ذم الله سبحانه أجهل اهل الكتاب ولو نفع العمل بلا اخلاص لما ذم المنافقين * دافع الخطرة فان لم تفعل صارت فكرة فدافع الفكرة فان لم تفعل صارت شهوة فخار بها فان لم تفعل صارت عزيمة وهمة فان لم تدافعها صارت فعلاً فان لم تتداركها صارت عادة فيصعب عليك الانتقال عنها والتقوى ثلاث مراتب : احداها حمية القلب والجوارح عن الآثام

والحرمات : الثانية حميتها عن المكروهات : الثالثة الحمية عن الفضول وملايغى :
فالأولى تعطى العبد حياته : والثانية تفيده صحته وقوته : والثالثة تكسبه سروره
وفرحة وبهجته *

غموض الحق حين تذب عنه * يقلل ناصر الخصم الحق
تضل عن الدقيق فهو م قوم * فتقضى للمجل علي المبدق



بالله أبلغ ما أسعى وأدركه * لا بني ولا بشفيغ لى من الناس
إذا أيسر وكاد اليأس يقطعني * جاء الرجامسرعامن جانب اليأس
من خلقه الله للجنة لم تزل هداياها تأتيه من المكروه ومن خلقه للنار لم تزل
هداياها تأتيه من الشهوات لما طلب آدم الخلود فى الجنة من جانب الشجرة عوقب
بالخروج منها ولما طلب يوسف الخروج من السجن من جهة صاحب الرؤيا لبث
فيه بضع سنين * إذا جرى علي العبد مقدور يكرهه فله فيه ستة مشاهد أحدها
مشهد التوحيد وإن الله هو الذى قدره وشاءه وخلقته وما شاء الله كان وما لم يشاء
لم يكن : الثاني مشهد العدل وأنه ماض فيه حكمه عدل فيه قضاءه : الثالث مشهد
الرحمة وإن رحمته فى هذا المقديرز غالبه لفضبه وانتقامه ورحمته حشوه : الرابع مشهد
الحكمة وإن حكمته سبحانه اقتضت ذلك لم يقدره سدى ولا قضاء عبثا : الخامس
مشهد الحمد وإن له سبحانه الحمد التام علي ذلك من جميع وجوهه : السادس مشهد
العبودية وأنه عبد محض من كل وجه تجرى عليه أحكام سيده وأفضيته بحكم كونه
ملكه وعبده فيصرفه تحت أحكامه القدريّة كما يصرفه تحت أحكامه الدينية فهو
محل لجريان هذه الأحكام عليه *

قلة التوفيق وفساد الرأى : وخفاء الحق وفساد القلب : وخمول الذكر : وإضاعة
الوقت : ونفرة الخلق والوحشة بين العبد وبين ربه : ومنع أجابة الدعاء : وقسوة القلب
ومحى البركة فى الرزق والعمر : وحرمان العلم ولباس النذل وإهانة العدو وضيق

الصدر : والابتلاء بقرناء السوء الذين يفسدون القلب ويضيعون الوقت : وطول
الهم والغم : وضنك المعيشة وكسف البال تتولد من المعصية والغفلة عن ذكر الله
كما يتولد الزرع عن الماء والاحراق عن النار: وأضداد هذه تتولد عن الطاعة *

فصل

طوبى لمن أنصف ربه فآقر له بالجهل في علمه والآفات في عمله والعيوب في
نفسه والتفريط في حقه والظلم في معاملته * فان آخذ به ذنوبه رأى عدله وان لم
يؤاخذ به رأى فضله وان عمل حسنة رآها من منته وصدقته عليه فان قبلها فمنة
وصدقة ثانية وان ردها فلكون مثلها لا يصلح ان يواجه به : وان عمل سيئة رآها
من تخليه عنه وخذلانه له وامسك عصمته عنه وذلك من عدله فيه فيرى في ذلك
ققره الى ربه وظلمه في نفسه فان غفرها له فبمحض احسانه وجوده وكرمه *
ونكتة المسألة وسرها انه لا يري ربه الا بحسنا ولا يرى نفسه الا مسيئاً أو مفرطاً
أو مقصراً فيرى كل ما يسره من فضل ربه عليه واحسانه اليه وكل ما يسوءه من
ذنوبه وعدل الله فيه : المحبون اذا خربت منازل أحبائهم قالوا سقيا لسكنائها:
وكذلك المحب اذا أنت عليه الأعوام تحت التراب ذكر حينئذ حسن
طاعته له في الدنيا وتودده اليه وتجدد رحمته وسقياه لمن كان ساكناً في
تلك الأجسام البالية *

فائدة

الغيرة غيرتان غيرة على الشيء وغيرة من الشيء فالغيرة على المحبوب حرصك
عليه والغيرة من المكروه ان يزاحمك عليه: فالغيرة على المحبوب لاتم الا بالغيرة
من المزاحم وهذه تحمد حيث يكون المحبوب تقبح المشاركة في حبه كالتحلق واما
من تحسن المشاركة في حبه كالرسول والعالم بل الحبيب القريب سبحانه فلا
(م • - فوائد)

يتصور غيرة المزاحمة عليه بل هو حسد: والغيرة المحمودة في حقه أن يغار المحب على محبته له أن يصرفها الى غيره أو يغار عليها أن يطلع عليها الغير فيفسدها عليه أو يغار على أعماله أن يكون فيها شئ. لغير محبوبه أو يغار عليها أن يشوبها مايكره محبوبه من رياء أو إعجاب أو محبة لا شراف غيره عليها أو غيبته عن شهود منته عليه فيها وبالجملة فغيرته تقتضى أن تكون أحواله وأعماله وأفعاله كلها لله : وكذلك يغار على أوقاته أن يذهب منها وقت في غير رضى محبوبه فهذه الغيرة من جهة العبد وهى غيرة من المزاحم له المعوق القاطع له عن مرضاة محبوبه : وأما غيرة محبوبه عليه فهى كراهية أن ينصرف قلبه عن محبته الى محبة غيره بحيث يشاركه في حبه ولهذا كانت غيرة الله أن يأتى العبد ما حرم عليه ولاجل غيرته سبحانه حرم الفاحشة مظهر منها وما بطن لأن الخلق عبيده وإماؤه فهو يغار على أماته كما يغار السيد على جواريه والله المثل الأعلى . ويغار على عبيده أن تكون محبتهم لغيره بحيث يحملهم تلك المحبة على عشق الصور ونيل الفاحشة منها *

من عظم وقار الله في قلبه أن يعصيه وقره الله في قلوب الخلق أن يذلوه * إذا علقت شروش (١) المعرفة في أرض القلب نبقت فيه شجرة المحبة فإذا تمكنت وقويت أثمرت الطاعة فلا تزال الشجرة تؤتي أكلها كل حين باذن ربها * اول منازل القوم اذكروا الله ذكر آ كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا: وأوسطها هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور: وآخرها نجيتهم يوم يلقونه سلام : أرض الفطرة رحبة قابلة لما يغرس فيها فان غرست شجرة الايمان والتقوى أورثت حلاوة الابد وان غرست شجرة الجبل والهوى فكل الثمر مر . ارجع الى الله واطلبه من عينك وسمعه وقلبك ولسانك ولا تشرد عنه من هذه الأربعة فما رجع من رجع اليه بتوفيقه الا منها وما شرد من شرد عنه لمخذلانه الا منها فالموفق يسمع ويبصر ويتكلم ويبطش بمولاه والمخذول يصدر ذلك عنه بنفسه وهواه *

(١) هكذا الاصل ولم أجده في المعاجم : وهو في عرف اهل الشام اصل الشئ وجدره .

مثال تولد الطاعة ونموها وتزايدها كمثال نواة غرستها فصارت شجرة ثم
أثمرت فأكلت ثمرها وغرست نواها فكلما أثمر منها شيء جنبت ثمره وغربت
نواه وكذلك تداعى المعاصي فاي تدبر اللبيب هذا المثال : فمن ثواب الحسنة الحسنة
بعدها ومن عقوبة السيئة السيئة بعدها * ليس العجب من مملوك يتذلل لله ويتعبد
له ولا يمل من خدمته مع حاجته وفقره اليه إنما العجب من مالك يتعجب الى مملوكه
بصنوف انعامه ويتودد اليه بأنواع احسانه مع غناه عنه

كفى بك عزاً انك له عبد * وكفى بك فخراً انه لك رب

فصل

اياك والمعاصي فانها ازلت عز (اسجدوا) وأخرجت اقطاع (اسكن)
يالها لحظة أثمرت حرارة القلقى الف سنة ما زال يكتب بدم الندم سطور الحزن
في القصص ويرسلها مع أنفاس الأسف حتى جاءه توقيع فتاب عليه : فرح ابليس
بنزول آدم من الجنة وما علم أن هبوط الغائص في اللجة خلف الدر صعود : كم
بين قوله لا آدم (اني جاعل في الارض خليفة) وقوله لك (اذهب فمن تبعك
منهم) ما جرى علي آدم هو المراد من وجوده لو لم تذبوا : يا آدم لا تجزع من
قولى لك (اخرج منها) فلك ولصالح ذريتك خلقتها : يا آدم كنت تدخل على
دخول الملوك علي الملوك واليوم تدخل على دخول العبيد علي الملوك : يا آدم لا
تجزع من كأس زال كانت سبب كيسك فقد استخرج منك داء العجب والبست
خلعة العبودية وعسي أن تكرهوا : يا آدم لم أخرج اقطاعك الي غيرك إنما
نحيتك عنه لا كل عمارته لك وليبعث الي العمال نفقة تتجافى جنوبهم : تالله ما
نفعه عند معصيته عز (اسجدوا) ولا شرف (وعلم آدم) ولا خصيصة (لما
خلقت بيدي) ولا فخر (ونفخت فيه من روحي) وإنما انتفع بذل (ربنا ظلمنا
أنفسنا) لما لبس درع التوحيد على بدن الشكر وقع سهم العدو منه في غير مقتل

فجرحه فوضع عليه جبار الانكسار فعاد كما كان فقام الجريح كأن لم يكن به قلبية (١) *

فصل

نحائب النجاة مهياة للمراد وأقدام المطرود موثوقة بالقيود : هبت عواصف
الأقدار في بيداء الاكوان فتقلب الوجود ونجم الخير فلما ركدت الريح اذا أبو
طالب غريق في لجة الهلاك : وسلمان (٢) علي ساحل السلامة : والوليد بن

(١) القلبية بفتح الفاف واللام الألف والعلة

(٢) هو الفارسي ويمرّف سلمان الخير مولي رسول الله صلى الله عليه وسلم .
وسبب اسلامه ما ذكره العلامة ابن الاثير في أسد الغابة وغيره عن ابن عباس . قال
حدثني سلمان قال كنت رجلا من أهل فارس من اصهبان من جى ابن رجل من
دهاقينها وكنت أحب الخلق اليه فاجلسني في البيت كالجواري فاجتهدت في الفارسية
وفي رواية في الجوسية فكنت في النار التي توقد فلامتخبو وكان ابي صاحب ضيعة
وكان له بناء يعالجه فقال لي يوما يا بني قد شغلني ما ترى فانطلق الي الضيعة ولا
تحتبس فتشغلني عن كل ضيعة بهي بك نخرجت لذلك فررت بككنيسة النصارى
وهم يصلون قلت اليهم وأعجبني أمرهم وقلت هذا والله خير من ديننا فافقت عندهم
حتى غابت الشمس لا انا انبت الضيعة ولا رحمت اليه فاستبطاني وبعث رسلا في
طلبي وقد قلت للنصارى حين أعجبني أمرهم أين أصل هذا الدين قالوا بالشام
فرجعت الى والدي فقال يا بني بعث اليك رسلا فقلت مررت بقوم يصلون في
كنيسة فأعجبني ما رأيت من أمرهم وعلمت أن دينهم خير من ديننا فقال يا بني
دينك ودين آبائك خير من دينهم فقلت كلا والله نخافني وقيدني فبعثت الى
النصارى وأعلمتهم ما وافقني من أمرهم وسألتهم اعلامي من يريد الشام ففعلوا
فالقيت الحديد من رجلي وخرجت معهم حتي أنبت الشام فسألتهم عن عالمهم
فقالوا الاسقف فأبته فأخبرته وقلت اكون معك اخذمك واصلى معك قال اقم
فكنيت مع رجل سمى في دمه كان يأمرهم بالصدقة فاذا أعطوه أمسك لنفسه

حتى جمع سبع قلال مملوءة ذهباً وورقاً فتوفي فاخبرتهم بحجته فزبروني فدلتهم علي ما له فصلبوه ولم يغيروه ورجعوه وأجلسوا مكانه رجلاً فاضلاً في دينه زهداً ورغبة في الآخرة وصلاً فالتقى الله حبه في قلبي حتى حضرته الوفاة فقلت أوصني فذكر رجلاً بالموصل وكنا علي أمر واحد حتى هلك فأبنت الموصل فلقبت الرجل فاخبرته بحجري وان فلانا أمرني باتيانك فقال أقم فوجدته علي سبيله وأمره حتى حضرته الوفاة فقلت له أوصني فقال ما اعرف أحداً علي ما نحن عليه الا رجلاً بعمورية فأبنته بعمورية فاخبرته بحجري فأمرني بالمقام وثاب لي شيء واتخذت غنيمة وبقيرات فحضرته الوفاة فقلت الي من توصي بي فقال لا أعلم أحدا اليوم علي مثل ما كنا عليه ولكن قد أظلك نبي يبعث بدين ابراهيم الحنيفية مهاجرة بارض ذات نخل وبه آيات وعلامات لا تخفى بين منكبيه خاتم النبوة يأكل الهديّة ولا يأكل الصدقة فان استطعت فتخلص اليه فتوفي فمر بي رجل من العرب من كلب فقلت اصحبكم واعطيتكم بقراتي وغنمي هذه وتحملوني الي بلادكم فخلوني الي وادى القرى فباعوني من رجل من اليهود فرأيت النخل فعلمت أنه البلد الذي وصف لي فأقمت عند الذي اشتراني وقدم عليه رجل من بني قريظة فاشتراني منه وقدم بي المدينة فمرقتها بصفتها فأقمت معه أعمل في نخله وبعث الله نبيه صلى الله عليه وسلم وغفلت عن ذلك حتى قدم المدينة فنزل في بني عمرو بن عوف فاني لقي رأس نخلة اذ أقبل ابن عم لصاحبي فقال اي فلان قاتل الله نبي قبيلة مررت بهم آفا وهم مجتمعون علي رجل قدم عليهم من مكة يزعم أنه نبي فوالله ما هو الا ان سمعته فاخذني القر ورجفت بي النخلة حتى كدت أن اسقط ونزلت سريعا فقلت ما هذا الخبر فلسكنني صاحبي لكة وقال وما أنت وذاك أقبل علي شأنك فاقبلت علي عملي حتى أمسيت فجمعت شيئاً فأبنته به وهو بقاء عند أصحابه فقلت اجتمع عندي اردت أن أتصدق به فبلغني انك رجل صالح وممك رجال من أصحابك ذوو حاجة فرأيتكم أحق به فوضعت بين يديه فكف يده وقال لأصحابه كلوا فأكلوا ففقت هذه واحدة ورجعت ونحو الي المدينة فجمعت شيئاً فأبنته به فقلت أحببت كرامتك فأهديت لك هدية وليست بصدقة فد يده فأكل وأكل أصحابه فقلت هاتان اثنتان ورجعت فأبنته وقد تم جنازة في بقيع الشرفد وحوله أصحابه فسلمت ونحو انظر الي

الغيرة (١) يقدم قومه في التيه : وصهيب قد قدم بقافلة الروم (٢) : والنجاشي في أرض

الحاتم في ظهره فلم ما أردت فالقي رداهم نرأيت الحاتم فقبلته وبكيت فأجلستني بين يديه فحدثته بشأني كله كما حدثتك يا بن عباس فاعجبه ذلك وأحب أن يسمعه أصحابه ففاتني معه بدر وأحد بالرق فقال لي كاتب يا سلمان عن نفسك فلم أزل بصاحبي حتى كاتبته علي أن أغرس له ثلثمائة ودية وعلى أربعين أوقية من ذهب فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم اعينوا إياكم بالنخل فاعانوني بالحمس والبشر حتى اجتمع لي فقال لي نقر لها ولا تضع منها شيئاً حتى أضعه يدي ففعلت فاعاتني أصحابي حتى فرغت فأنيته فكست آتية بالنخلة فيضعها ويسوى عليها تراباً فانصرف والذي بعثه بالحق فرامات منها واحدة وبقي الذهب فيينا هو قاعد إذ أتاه رجل من أصحابه بمثل البيضة من ذهب فلو وزنت بأحد لكنت أثقل منه * وقد ورد في مناقبه أحاديث كثيرة منها أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال إن الجنة تشاق إلى ثلاثة على وعمار وسلمان . وقالت عائشة رضي الله عنها كان لسلمان مجلس من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالليل حتي كاد يغلبنا على رسول الله : وسئل على رضي الله عنه عن سلمان فقال علم العلم الأول والعلم الآخر وهو بحر لا ينزف وهو منا أهل البيت . توفي سنة ست وثلاثين عاش سلمان رضي الله عنه ثلاثمائة وخمسين سنة فكان من المعمرين . والله أعلم (١) هو بن الوليد بن المغيرة أخو خالد بن الوليد ولما أسلم حبسه أخواله فكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يدعو له في الفتوح كما ثبت في الصحيح « اللهم أنج الوليد بن الوليد والمستضعفين من المؤمنين ثم املت من أمرهم وخلق بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم : ويقال إنه مشي على رجله لما هرب وطلبوه فلم يدركوه ويقال إنه مات يثر أبي عتبة قبل أن يدخل المدينة .

(٢) هو صهيب بن سنان بن مالك كناه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بابي مجمي وسمى بالرومي لأن الروم سبوه صغيراً وكان أبوه وعمه عاملين لكسري على الابل وكانت منازلهم على دجلة عند الموصل فأغار عليهم الروم فأخذت صهيلاً وهو صغير فنشأ بالروم فصار ألكن فاباغته منهم كلب ثم قدموا به مكة فاشتراه عبد الله

الحبشة (١) يقول لييك اللهم لييك : وبلال ينادى الصلاة خير من النوم (٢):

ابن جدعان فاعتقه فأقام معه الى أن هلك ولما بعث رسول الله ﷺ وكان من السابقين الاولين الى الاسلام وكان من المستضعفين بمكة الذين عذبوا في الله عز وجل . وشهد صهيب بدرًا واحدا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « السباق أربعة أناسبق العرب وصهيب سابق الروم وسلمان سابق فارس وبلال سابق الحبش . والله أعلم (١) النجاشي لقب علي من ملك الحبشة واسمه أصحمة بن أبحر النجاشي: واسمه بالعربية عطية أسلم على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يهاجر اليه وكان رداً للمسلمين نافعا . وقصته مشهورة في احسانه الى المسلمين الذين هاجروا اليه في صدر الاسلام وقد صلى عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه جماعة يوم مات وقال صلى الله عليه وآله وسلم قد مات اليوم عبد صالح يقال له أصحمة . وعن عائشة لما مات النجاشي كنا نتحدث أنه لا يزال يرى علي قبره نور . والله أعلم

(٢) هو مؤذن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اشراء أبو بكر الصديق رضي الله عنه من المشركين لما كانوا يذنونه على التوحيد وكان لبعض بني جمح مولد من مولدهم واسم أمه حممة وكان أمية بن خلف يخرجـه اذا حمت الظهيرة فيطرحه علي ظهره في بطحاء مكة ثم يأمر بالصخرة العظيمة تلي صدره ثم يقول لا يزال علي ذلك حتى يموت أو يكفر بمحمد فيقول وهو في ذلك أحد أحد فمر به أبو بكر فاشتراه منه بعبد له أسود جلد . ومات رضي الله عنه بالشام في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه . فانظر أيها المتأمل الي من هذا حاله ولم يقصد الا وجه الله تعالى وصبر على هذا العذاب الاليم وليكن لك قدوة وأسوة في المجاهدة في الدين والذب عنه ولا تغتر بما حصل من بعض المارقين الملحدين لشهوة نفسية وحب جاء واشتهار بين الناس ليقال فيه ما يقال اللهم احفظنا من زلات القلم ووساوس الشيطان وغلبة النفس الامارة بالسوء والاغترار بالعلم وحب المحمدة.

وأبو جهل في رقدة المخالفة: لما قضى في القدم بسابقة سلمان عرج به دليل التوفيق عن طريق آباته في التمجس فأقبل يناظر أباه في دين الشرك فلما علاه بالحجة لم يكن له جواب الا القيد وهذا جواب يتداوله أهل الباطل من يوم حرفوه وبه أجاب فرعون موسى (لئن اتخذت الها غيري) وبه أجاب الجهمية الامام احمد لما عرضوه علي السياط: وبه أجاب أهل البدع شيخ الاسلام حين استودعوه السجن (وها نحن علي الاثر) تنزل به ضيف (ولنبلونكم) فقال باكرامه مرتبة «سلمان منا أهل البيت» فسمع ان ركبا على نية السفر فسرق نفسه من أبيه ولا قطع فركب راحلة العزم يرجو ادراك مطلب السعادة فغاص في بحر البحث ليقع بدرة الوجود فوقف نفسه على خدمة الادلاء وقوف الادلاء فلما أحس الرهبان بانقراض دولتهم سلموا اليه اعلام الاعلام على نبوة نبينا وقالوا ان زمانه قد أظلم فاحذر ان تضل فرحل مع رفقة لم يرفقوا به (فشروه بضمن بخس دراهم معدودة) فابتاعه يهودى بالمدينة فلما رأي الحرة توقد حراً شوقه ولم يعلم رب المنزل بوجد النازل فينا هو يكابد ساعات الانتظار قدم البشير بقدم البشير وسلمان في رأس مخلة وكاد القلق يلقيه لولا ان الحزم أمسكه كما جري يوم (إن كادت تبسدى به لولاً ان ربطنا علي قلبها) فعجل النزول لتلقى ركب البشارة ولسان حاله يقول:

خليلي من نجد قفا بي على الربا * فقد هب من تلك الديار نسيم

فصاح به سيده مالك انصرف الي شغلك فقال

كيف انصرافي ولي في داركم شغل

ثم أخذ لسان حاله يترنم لو سمع الأطروش (١)

خليلي لا والله ما انا منكما * اذا علم من آل ليلى بداليا

(١) قال الازهرى رجل أطروش: قال ولا أدري اعرب أم دخيل:

فلما لقي الرسول عارض نسخة الرهبان بكتاب الاصل فوافقه يا محمد انت
 تريد أبا طالب ونحن نريد سلمان: ابو طالب اذا سئل عن اسمه قال عبد مناف
 واذا انتسب افتخر بالآباء واذا ذكرت الأموال عبد الابل: وسلمان اذا
 سئل عن اسمه قال عبد الله: وعن نسبه قال ابن الاسلام: وعن ماله قال الفقر
 وعن حانوته قال المسجد: وعن كسبه قال الصبر وعن لباسه قال التقوى والتواضع:
 وعن وساده قال السهر وعن فخره قال سلمان منا: وعن قصده قال يريدون وجهه
 وعن سيره قال الى الجنة: وعن دليله في الطريق قال إمام الخلق وهادي الائمة *

اذا نحن ادلجنا وانت امامنا * كفى بالمطايا طيب ذكر الكحاديا
 وان نحن اضلنا الطريق ولم نجد * دليلا كفانا نور وجهك هاديا

الذنوب جراحات ورب جرح وقع في مقتل * لو خرج عقلك من سلطان
 هواك عادت الدولة له * دخلت دار الهوى فقامت بعمرك * اذا عرضت
 نظرة لا تحل فاعلم انها مسعر حرب فاستتر منها بحجاب (قل المؤمنين) فقد
 سلمت من الاثر وكفى الله المؤمنين القتال * بحر الهوي اذا مد اغرق واخوف
 المنافذ على السابح فتح البصر في الماء *

ما أحد أكرم من مفرد * في قبره أعماله تونه
 منعها في القبر في روضة * ليس كهبد قبره محبسه

علي قدر فضل المرء تأتي خطوبه * ويعرف عند الصبر فيما يصيبه
 ومن قلّ فيما يتقيه اضطباره * فقد قلّ مما يرتجيه نصيبه

كم قطع زرع قبل التمام فما ظن الزرع المستحصد: اشتر نفسك فالسوق
 قائمة والتمن موجود: لا بد من سنة الغفلة ورقاد الهوي ولكن كن خفيف النوم
 فخراس البلد يصيحون دنا الصباح: نور العقل يضيء في ليل الهوى فتلوح
 جادة الصواب فيتلمح البصير في ذلك النور عواقب الأمور: اخرج بالعزم من هذا
 (٦٢ - فوائد)

الفناء (١) الضيق المحشو بالآفات الى ذلك الفناء الرجب الذي فيه ما لا عين رأت فهناك لا يتعذر مطلوب ولا يفقد محبوب * يابثاً نفسه بهوى من حبه ضناً ووصله أذى: وحسنه الى فنا لقد بعث انفس الأشياء بضمن بخس كأنك لم تعرف قدر السلعة ولا خسة الثمن حتي اذا قدمت يوم التغاين تبين لك الغبن في عقد التبايع : لا اله الا الله سلعة الله مشتريها وثمرها الجنة والدلال الرسول ترضي ببيعها بحجز. يسير مما لا يساوى كله جناح بعوضة

اذا كان شيء لا يساوي جميعه * جناح بعوض عند من صرت عبده ويملك جزء منه كلك ما الذي * يكون علي ذا الحال قدرك عنده وبعث به نفسا قد استامها بما * لديه من الحسنى وقد زال وده

يا نخنت العزم اين انت والطريق طريق تعب فيه آدم : وناح لاجله نوح : ورمى في النار الخليل : واضجع للذبح اسماعيل : وبيع يوسف بضمن بخس ولبث في السجن بضع سنين : ونشر بالمنشار زكريا : وذبح السيد المحصور يحيى : وقاسي الضر أيوب : وزاد علي المقدار بكاء دواود : وسار مع الوحش عيسى : وعالج الفقر وأنواع الأذى محمد صلوات الله عليه ترها انت باللهو واللعب

فيادارها بالحزن ان مزارها * قريب ولكن دون ذلك أهوال الحرب قائمة وأنت اعزل في النظارة (٢) فان حركت ركابك فلا هزيمة * من لم يباشر حر الهجير في طلاب المجد لم يقل في ظلال الشرف

تقول سليمى لو أقمت بارضنا * ولم تدراني للمقام اطوف قيل لبعض العباد الى كم تتعب نفسك فقال راحتها أريد * يامكرما بحيلة

(١) الفناء بكسر الفاء المتسع امام الدار وجمع على أفنية (٢) اي تنزهه في الرياض والبساتين

الايان بعد حلة العافية وهو يخلقهما في مخالفة الخالق لاتنكر السلب (١) يستحق من استعمل نعمة المنعم فيما يكره ان يسلبها * عرائس الموجودات قد تزينت للناظرين ليلوهم ايهم يؤثرهن علي عرائس الآخرة فمن عرف قدر التفاوت آثر ما ينبغي اثاره

وحسان الكون لما أن بدت * اقبلت نحوى وقالت لي الى
فتعاميت كأن لم أرها * عند ما ابصرت مقصودي لدي

كواكب هم العارفين في بروج عزائمهم سيارة ايس فيها زحل * يامن
انحرف عن جادتهم كن في أواخر الركب ونم اذا نمت علي الطريق فالأمر يراعى
الساقه * قيل للحسن سبقنا القوم على خيل دهم ونحن علي حمر معقرة فقال ان
كنت علي طريقهم فما أسرع اللاحق بهم *

فائدة

من فقد أنسه بالله بين الناس ووجده في الوحدة فهو صادق ضعيف : ومن
وجده بين الناس وفقده في الخلوة فهو معلول : ومن فقدته بين الناس وفي الخلوة
فهو ميت مطرود : ومن وجده في الخلوة وفي الناس فهو المحب الصادق القوى في حاله :
ومن كان فتحه في الخلوة لم يكن مزيده إلا منها : ومن كان فتحه بين الناس
ونصحهم وارشادهم كان مزيده معهم : ومن كان فتحه في وقوفه مع مراد الله حيث
أقامه وفي أي شيء استعمله كان مزيده في خلوته ومع الناس : فأشرف الأحوال
أن لا تختار لنفسك حالة سوى ما يختاره لك ويقيمك فيه فكن مع مراده منك
ولا تكن مع مرادك منه * مصاييح القلوب الطاهرة في أصل الفطرة منيرة قبل

(١) السلب مفعول تنكر وجهة يستحق تعليل للجملة قبلها وفاعل يستحق من
استعمل وقوله أن يسلبها مفعول يستحق *

الشرائع يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسه نار * وحد قس (١) وما رأيي الرسول
وكفر ابن أبي وقد صلى معه في المسجد * مع الصبر ري ولا ماء، وكم من عطشان
في اللجة * سبق العلم بنسبة موسى وإيمان آسية فسيق تابوته الي بيتها نجاء طفل
منفرد عن أم الى امرأة خالية عن ولد : فله كم في هذه القصة من عبرة : كم ذبح
فرعون في طلب موسى من ولد ولسان القدر يقول لا نريسه الا في حرك *

(١) كان قس بن ساعدة مؤمناً بالله مبشراً برسوله يضرب به المثل في الفصاحة
والخطابة فيقال أبلغ من قس وهو بضم القاف وتشديد السين المهملة . وما روي
أنه لما قدم وفد بكر علي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سألهم عن رجل كان فيهم
نازلاً يقال له قس بن ساعدة الايادي قالوا هلك فقال رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم لقد رأيته جكاظ يحطّب علي جبل له أورق وهو يقول أيها الناس اجتمعوا
واسمعوا وعوا من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت ليل موضوع
وسقف مرفوع ونجوم تغور وبحر يمور أما بعد فإن في السماء لخبراً وإن في الأرض
لغيراً مالي أرى الناس يموتون ولا يرجعون أرضوا بالاقامة فأقأوا أم تركوا كما هم
فتناموا أقسم بالله قس قسماً حقا فما حنت ولا أتم إن لله ديناً هو أرضى من ديننا
هذا الذي نحن عليه ثم قال أياناً ما أحفظها فقال رجل من الانصار أنا شاهد
يا رسول الله بأبي أنت وأمي قال فأنشدنا قل سمعته يقول :

في الذاهبين الاولين من القرون لنا بصائر
لما رأيت موارد * للوت لبس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها * نمضي الأصغر والأكابر
لا يرجع الماضي ولا * يبقى من الباقيين غابر
أيقنت أني لا محـ_____الة حيث صار القوم صائر

وفي رواية بعد أن أخبر النبي صلى الله عليه وسلم قال رحم الله قساً إنى لأرجو
أن يبعثه الله أمة وحده *

كان ذوالبجادين (١) يتيماً في الصغر فكفله عمه فنازعه نفسه الى اتباع الرسول
فهم بالنهوض فإذا ببقية المرض مانعة فقعد ينتظر العم فلما تكلمت صحته نفذ
الصبر فناده ضمير الوجد :

الي كم حبسها تشكو المضيقا * أثرها ربما وجدت طريقا
فقال يا عم طال انتظاري لاسلامك وما أرى منك نشاطاً فقال والله أن
أسلمت لا تنزعن كل ما أعطيتك فصاح لسان الشوق نظرة من محمد أحب الي
من الدنيا وما فيها

ولوقيل للمجنون ليلى ووصلها * تريد أم الدنيا وما في طواياها
لقل تراب من غبار نعالها * ألد الى نفسي وأشفى لبلواها
فلما تجرد للسير الي الرسول جرده عمه من الثياب فناولته الأم بجادا فتقطعه
لسفر الوصل نصفين أترز بأحدهما وارتندي بالآخر فلما نادى صائح الجهاد قنع
أن يكون في سانة الانجاب والمحب لا يرى طول الطريق لان المقصود يعينه
ألا ببلغ الله الحمى من يريده * وبلغ أكناف الحمى من يريدها
فلما قضى نجه نزل الرسول يمهده لحدده وجعل يقول اللهم اني أمسيت عنه
راضياً فارض عنه فصاح ابن مسعود يا ليتني كنت صاحب القبر *

فيا مخنث العزم أقل ما في الرقعة البيدق فلما نهض تفرزن (٢) * رأى بعض

(١) اسمه عبد الله بن عبد نهم وسبب تسميته بذلك أنه لما أراد المصير الي
رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعت أمه بجاداً لها قطعتين فارتدي بأحدهما واثترز
بالاخرى فسماه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذلك : والبيجاد الكساء
(٢) الفرزن هو بمنزلة الوزير للسلطان . والبيدق بالذال المعجمة وقيل بالدال
المهله وهو بمنزلة المساكر وكلاهما من آلات الشطرنج معروف عند أهل اللعب
به : ومنه قولهم تفرزن البيدق صار فرزاناً . والمعنى ظاهر أن الانسان اذا نهض
وجد في التحصيل ادرك معالي الامور وساد

الحكماء يردونا يسقى عليه فقال لو هملج هذا لركب * أقدام العزم بالسلوك اندفع
من بين أيديها سد القواطع : القواطع محن يتسبين بها الصادق من الكاذب فإذا
خضتها انقلبت أعوانا لك توصلك الى المقصود *

فصل

الدنيا كامرأة بغى لا تثبت مع زوج انما نخطب الأزواج ليستحسنوا عليها
فلا ترضي بالديانة

ميزت بين جمالها وفعالها * فاذا الملاحاة بالقباحة لا تنفى
حلقت لنا ان لا نخون عهدنا * فكانها حلقت لنا ان لا تنفى

السير في طلبها سير في أرض مسبعة. والسباحة فيها سباحة في غدير التماسيح: المفروح
به منها هو عين المحزون عليه: آلامها متولدة من لذاتها وأحزانها من أفراحها *
ما رب كانت في الشباب لأهلها * عذابا فصارت في المشيب عذابا
طائر الطبع يرى الحبة وعين العقل ترى الشرك غير أن عين الهوى عميا
وعين الرضا عن كل عيب كائلة * كما أن عين السخط تبدى المساويا

تزخرفت الشهوات لأعين الطباع ففض عنها الذين يؤمنون بالغيب ووقع
تابعوها في بيداء الحسرات ف (أو لئلك على هدى من ربهم وأو لئلك هم المفلحون)
وهؤلاء يقال لهم (كانوا وتمنعوا قليلا انكم مجرمون) : لما عرف الموفقون قدر
الحياة الدنيا وقلة المقام فيها أما وافيها الهوى طلبا لحياة الأبد لما استيقظوا من
نوم الغفلة استرجعوا بالجد ما انتهبه العدو منهم في زمن البطالة فلما طالت عليهم
الطريق تلمحوا المقصد فقرب عليهم البعيد وكلما أدرت لهم الحياة حلى لهم تذكر
(هذا يومكم الذي كنتم توعدون) *

وركب سروا والليل ملق رواقه * على كل مغبر المطالع قام
حدوا عز مات ضاعت الأرض بينها * فصار سرام في ظهور العزائم

تريهم نجوم الليل ما يتبعونه * على عاتق الشعري وهام النعائم
إذا طردت في معرك الجد قصفوا * رماح العطايا في صدور المكارم

فصل

من أعجب الأشياء أن تعرفه ثم لا تحبه : وأن تسمع داعيه ثم تتأخر عن
الاجابة : وأن تعرف قدر الريح في معاملته ثم تعامل غيرَه : وأن تعرف قدر
غضبه ثم تتعرض له : وأن تذوق ألم الوحشة في معصيته ثم لا تطالب الأنس
بطاعته . وأن تذوق عصرة القلب عند الخوض في غير حديثه والحديث عنه ثم
لا تشتاق الى انشراح الصدر بذكره ومناجاته : وأن تذوق العذاب عند تعلق
القلب بغيره ولا تهرب منه الى نعيم الاقبال عليه والانابة اليه : وأعجب من
هذا علمك انك لا بد لك منه وانك أحوج شيء اليه وأنت عنه معرض وفيما
يبعدك عنه راغب *

فائدة

ما أخذ العبد ما حرم عليه الا من جهتين : احدهما سوء ظنه بربه وانه لو
أطاعه وآثره لم يعطه خيرا منه حاللا . والثانية ان يكون عالما بذلك وان من ترك
الله شيئا أعاضه خيرا منه ولكن تغلب شهوته صبره وهواه عقله فالأول من
ضعف علمه والثاني من ضعف عقله وبصيرته * قال يحيى بن معاذ من جمع الله
عليه قلبه في الدنيا لم يردده * قلت اذا اجتمع عليه قلبه وصدمت ضرورته وفاقته
وقوي رجاؤه فلا يكاد يرد دعاؤه *

فصل

لما رأى المتيقظون سطوة الدنيا بأهلها وخداع الامل لاربابه وتملك الشيطان
وقياد النفوس رأوا الدولة للنفس الامارة لجأوا الى حصن التضرع والالتجاء كما

يأوي العبد المذعور الى حرم سيده : شهوات الدنيا كلعب الخيال ونظر الجاهل مقصور على الظاهر فاما ذوالعقل فيرى ما وراء الستر : لاح لهم المشتى فلما مدوا أيدي التناول بان لا بصار البصائر خبط الفخ فطاروا بأجنحة الحذر وصوبوا الى الرحيل الثاني (يا ليت قومي يعلمون) تلمح القوم الوجود فقهه . والمقصود فاجعوا ازحيل قبل الرحيل وشعروا للسير في سواء السبيل فالناس مشتغلون بالفضلات وهم في قطع الغلوات وعصافير الهوي في وثاق الشبكة ينتظرون الذبح . وقم نعلبان في شبكة فقال أحدهما للآخر أين الملتقى بعد هذا . فقال بعد يومين في الدباغة . تالله ما كانت الايام الا مناما فالتقطوا وقد حصلوا على الظفر . مامضى من الدنيا أحلام وما بقى منها أمانى والوقت ضائع بينهما *

كيف يسلم من له زوجة لا رحمه : وولد لا يعنزه : وجار لا يأمنه : وصاحب لا ينصحه : وشريك لا ينصفه : وعدو لا ينم عن معاداته : ونفس أمارة بالسوء ودنيا متزينة : وهوي مرد : وشهوة غالبة له : وغضب قاهر : وشيطان مزين : وضعف مستول عليه فان تولاه الله وجذبه اليه انتهرت له هذه كلها وان تخلى عنه ووكله الى نفسه اجتمعت عليه فكانت الهلكة *

لما أعرض الناس عن تحكيم الكتاب والسنة والمحاكمة اليهما واعتقدوا عدم الاكتفاء بهما وعدلوا الى الآراء والقياس والاستحسان وأقوال الشيوخ عرض لهم من ذلك فساد في فطرهم وظلمة في قلوبهم وكدر في افهامهم ومحق في عتولهم وعتهم هذه الأمور وغلبت عليهم حتي ربي فيها الصغير وهم عليها الكبير فلم يروها منكراً فجاءتهم دولة أخرى قامت فيها البدع مقام السنن والنفس مقام العقل : والهوي مقام الرشد : والضلال مقام الهدى : والمنكر مقام المعروف والجهل مقام العلم : والرياء مقام الاخلاص : والباطل مقام الحق : والكذب مقام الصدق : والمداهنة مقام النصيحة . والظلم مقام العدل فصارت الدولة

والغلبة لهذه الأمور وأهلها هم المشار إليهم وكانت قبل ذلك لاضدادها وكان أهلها هم المشار إليهم *

فاذا رأيت دولة هذه الأمور قد أقبلت وراياتها قد نصبت وجيوشها قد ركبت فبطن الأرض والله خير من ظهرها: وقلل الجبال خير من السهول: ومخالطة الوحش أسلم من مخالطة الناس *

اقشعر الأرض وأظلمت السماء وظهر الفساد في البر والبحر من ظلم الفجرة: وذهبت البركات وقلت الخيرات وهزلت الوحوش وتكدرت الحياة من فسق الظلمة. وبكى ضوء النهار وظلمة الليل من الأعمال الخبيثة والأفعال الفظيعة وشكا الكرام الكاتبون والمعقبات إلى ربهم من كثرة الفواحش وغلبة المنكرات والقبائح وهذا والله منذر بسيل عذاب قد انعقد غمامه ومؤذن ليليل بلاء قد ادلهم ظلامه فاعزلوا عن طريق هذا السبيل بتوبة نصوح ما دامت التوبة ممكنة وبابها مفتوح وكأنكم بالباب وقد أغلق وبالرهن وقد غلق وبالجناح وقد علق (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) *

اشتر نفسك اليوم فإن السوق قائمة والتمن موجود والبضائع رخيصة وسيأتي على تلك السوق والبضائع يوم لا تصل فيها إلى قليل ولا كثير ذلك يوم التغابن يوم بعض الظالم على يديه *

إذا أنت لم ترحل ن زاد من التقى * وأبصرت يوم الحشر من قد نزودا
ندمت علي أن لا تكون كمثلته * وإنك لم ترصد كما كان اصددا

العمل بغير اخلاص ولا اقتداء كالسافر بلا جرابه رملا يثقله ولا ينفعه *
إذا حماحت علي القلب هموم الدنيا واتقالمها وهماونت بأوراده التي هي قوته وحياته
كنت كالسافر الذي يحمل دابته فوق طاقتها ولا يوفيهما علفها فأسرع ما تقف به *

ومشتت العزيمات ينفق عمره * حيران لا ظفر ولا اخفاق
(م ٧ — فوائد)

هل السائق العجلان يملك امره * فما كل سير اليعملات وحيد
 رويدا باخفاف المطى قائما * تداس جباه تحتها وخدود
 من تلمح حلاوة العافية هان عليه مرارة الصبر : الغاية اول في التقدير
 آخر في الوجود مبدأ في نظر العقل متهى في منازل الوصول : الفت عجز العادة
 فلو علت بك همتك ربا المعالي لاحت لك انوار العزائم . انما تفاوت القوم
 بالمهم لا بالصور . تزول همه الكساح دلاه في جب العذرة . بينك وبين الفائزين
 جبل الهوى نزلوا بين يديه ونزلت خلفه فاطو فضل منزل تلحق بالقوم . الدنيا
 مغمار سباق وقد انعقد الغبار وخفي السابق والناس في المضارين فارس وراجل
 واصحاب حمر معقرة .

سوف ترى اذا انجلي الغبار * أفرس تحتك أم حمار
 في الطمع شره والحية أوفق . لص الحرص لا يمشي الا في ظلام الهوى .
 حبة المشتى تحت فيخ التلف فتفكر الذبح وقد هان الصبر . قوة الطمع في بلوغ
 الأمل توجب الاجتهاد في الطلب وشدة الخذر من فوت المأمول . البخيل
 فقير لا يؤجر علي فقره . الصبر علي عطش الضر ولا الشرب من شرعة من .
 نجوع الحرة ولا تأكل نديها . لا تسأل سوي مولاك فسؤال العبد غير سيده
 تشنيع عايه : غرس الخلوة يثمر الأنس . استوحش مما لا يدوم معك واستأنس
 بمن لا يفارقك . عزلة الجاهل فساد واما عزلة العالم فمعا حذاؤها وسقاؤها . اذا
 اجتمع العقل واليقين في بيت العزلة واستحضر الفكر وجرت بينهم مناجاة *
 اناك حديث لا يمل سماعه * شهي الينا نثره ونظامه
 اذا ذكرته النفس زال عناؤها * وزال عن القلب المعني ظلامه

اذا خرجت من عدوك لفظة سفه فلا تلحقها بمثلها تنفحها ونسل الخصام
 نسل مذموم . حيثك لنفسك أثر الجهل بها فلو عرفت حق معرفتها اعنت الخصم
 عليها . اذا اقتدحت نار الانتقام من نار الغضب ابتدأت باحراق القادح . اوثق

غضبك بسلسلة الحلم فانه كلب إن أفلت اتلف . من سبقت له سابقة السعادة
 دل علي الدليل قبل الطلب . اذا اراد القدر شخصاً بذر في أرض
 قلبه بذر التوفيق ثم سقاه بماء الرغبة والرغبة ثم أقام عليه بطوار المراقبة
 واستخدم له حارس العلم فإذا الزرع قائم علي سوقه * اذا طلع نجم
 الهمة في ظلام ليل البطالة وردفه قر العزيمة أشرقت أرض القلب بنور ربها *
 اذا جن الليل تغالب النوم والسهر فالخوف والشوق في مقدم عسكر اليقظة
 والكسل والتواني في كتيبة الغفلة فاذا حمل العزم حمل علي الميمنة وانهمزت
 جنود التفريط فما يطلع الفجر الا وقد قسمت السهمان وبردت الغنيمة لاهابها *
 سفر الليل لا يطيقه الا مضمر المجاعة النجائب في الأول وحاملات الزاد في
 الأخير * لا تسأم من الوقوف علي الباب ولو طردت ولا تقطع الاعتذار ولو
 رددت فان فتح الباب للمقبولين دونك فاهجم هجوم الكذابين وادخل دخول
 الطفيلية وابسط كف (وتصدق علينا) * يا مستفتح باب المعاش بغير اقليل التقوي
 كيف توسع طريق الخطايا وتشكو ضيق الرزق * لو وقفت عند مراد التقوي
 لم يفتك مراد * المعاصي سد في باب الكسب وان العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه *

تالله ما جئتم زائراً * الا وجدت الارض تطوي لي

ولا انتهي عزمي عن بابكم * الا تعثرت باذيالي

الأرواح في الأشباح كالاطيار في الابراج وليس ما أعد للاستفراخ كمن هي .
 للسباق * من أراد من العمال أن يعرف قدره عند السلطان فلينظر ماذا يوليه
 من العمل وبأى شغل يشغله * كن من أبناء الآخرة ولا تكن من أبناء الدنيا
 فان الولد يتبع الأم * الدنيا لا تساوي نقل أقدامك اليها فكيف تعدو خلفها *
 الدنيا جيفة والأسد لا يقع علي الجيف * الدنيا مجاز والآخرة وطن والأوطار
 انما تطلب في الأوطان *

الاجتماع بالاخوان قسمان: احدهما اجتماع علي مؤانسة الطبع وشغل الوقت فهذا

مضرته أرجح من منفعته وأقل ما فيه انه يفسد القلب ويضيع الوقت . الثاني الاجتماع بهم علي التعاون علي أسباب النجاة والتواصي بالحق والصبر فهذا من أعظم الغنيمة وأنفعها ولكن فيه ثلاث آفات: احداها تزين بعضهم لبعض: الثانية الكلام والخلطة أكثر من الحاجة . الثالثة أن يصير ذلك شهوة وعادة ينقطع بها عن المقصود . وبالجملة فالاجتماع والخلطة لقاح اما للنفس الأمارة واما للقلب والنفس المطمئنة والنتيجة مستفادة من اللقاح فمن طاب لقاحه طابت ثمرته وهكذا الأرواح الطيبة لقاحها من الملك والخبيثة لقاحها من الشيطان وقد جعل الله سبحانه بحكمته الطيبات للطيبين والطيبين للطيبات وعكس ذلك *

قاعدة

ليس في الوجود الممكن سبب واحد مستقل بالتأثير بل لا يؤثر سبب البتة الا بانضمام سبب آخر اليه وانتفاء مانع يمنع تأثيره هذا في الأسباب المشهودة بالعينان: وفي الأسباب الغائبة والأسباب المعنوية كتأثير الشمس في الحيوان والنبات فانه موقوف علي أسباب آخر من وجود محل قابل وأسباب آخر تنضم الى ذلك السبب . وكذلك حصول الولد موقوف علي عدة أسباب غير وطء الفحل: وكذلك جميع الأسباب مع مسبباتها فكل ما يخاف ويرجى من المخلوقات فأعلي غاياته أن يكون جزء سبب غير مستقل بالتأثير ولا يستقل بالتأثير وحده دون توقف تأثيره علي غيره الا الله الواحد القهار فلا ينبغي أن يرجى ولا يخاف غيره وهذا برهان قطعي علي أن تعلق الرجاء والخوف بغيره باطل فانه لو فرض ان ذلك سبب مستقل وحده بالتأثير لكانت سببته من غيره لا منه فليس له من نفسه قوة يفعل بها فانه لا حول ولا قوة الا بالله فهو الذي بيده الحول كله والقوة كلها فالحول والقوة التي يرجى لاجلها المخلوق ويخاف انما هما لله وبيده في الحقيقة فكيف يخاف ويرجى من لا حول له ولا قوة بل خوف المخلوق ورجاؤه أحد أسباب الحرمان ونزول المسكروه بمن يرجوه ويخافه فانه على قدر خوفك من

غير الله يسلط عليك وعلي قدر رجائك لغيره يكون الحرمان: وهذا حال الخلق أجمعه وان ذهب عن أكثرهم علما وحالا فما شاء الله كان ولا بد وما لم يشأ لم يكن ولو اتفقت عليه الخليقة *

التوحيد مفزع أعدائه وأوليائه فاما أعداؤه فينجيهم من كرب الدنيا وشدائدها (فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون) . وأما أولياؤه فينجيهم به من كربات الدنيا والآخرة وشدائدها . ولذلك فزع اليه يونس فنجاه الله من تلك الظلمات وفزع اليه اتباع الرسل فنجوا به مما عذب به المشركون في الدنيا وما أعد لهم في الآخرة: ولما فزع اليه فرعون عند معاينة الهلاك وادراك الغرق له لم ينفعه لان الايمان عند المعاينة لا يقبل هذه سنة الله في عباده فنادفت شدائد الدنيا بمثل التوحيد ولذلك كان دعاء الكرب بالتوحيد ودعوة ذي النون التي ما دعاها مكروب الا فرج الله كربه بالتوحيد فلا يلقى في الكرب العظام الا الشرك ولا ينجى منها الا التوحيد فهو مفزع الخليقة وما جئوها وحضنها وغياها وبالله التوفيق *

فائدة

اللذة تابعة للمحبة تقوى بقوتها وتضعف بضعفها فكما كانت الرغبة في المحبوب والشوق اليه أقوى كانت اللذة بالوصول اليه أتم: والمحبة والشوق تابع لمعرفة والعلم به: فكما كان العلم به أتم كانت محبته أكمل فاذا رجع كمال النعيم في الآخرة وكال اللذة الى العلم والحب فمن كان يؤمن بالله واسمائه وصفاته ودينه أعرف كان له أحب وكانت لذته بالوصول اليه ومجاورته والنظر الي وجهه وسماع كلامه أتم: وكل لذة ونعيم وسرور وبهجة بالاضافة الى ذلك كقطرة في بحر فكيف يؤثر من له عقل لذة ضعيفة قصيرة مشوبة بالآلام علي لذة عظيمة دائمة ابدا لا يباد: وكال العبد بحسب هاتين القوتين العلم والحب وافضل العلم بالله وأعلى الحب له وأكمل اللذة بحسبهما والله المستعان *

قاعدة

طالب الله والدار الآخرة لا يستقيم له سيره وطلبه الا بحسين : حبس قلبه في طلبه ومطلوبه . وحبسه عن الالتفات الى غيره وحبس لسانه عما لا يفيد . وحبسه علي ذكر الله وما يزيد في ايمانه ومعرفته . وحبس جوارحه عن المعاصي والشهوات وحبسها على الواجبات والمندوبات فلا يفارق الحبس حتى يلقى ربه فيخلصه من السجن الي أوسع فضاء وأطيبه ومتي لم يصبر على هذين الحبسين وفر منهما الى فضاء الشهوات أعقبه ذلك الحبس الفظيع عند خروجه من الدنيا : فكل خارج من الدنيا اما متخلص من الحبس واما ذاهب الي الحبس وبالله التوفيق *

ودع ابن عون رجلا فقال عليك بتقوى الله فان المتقى ليست عليه وحشة * وقال زيد بن أسلم كان يقال من اتقى الله أحبه الناس وان كرهوا * وقال الثوري لابن أبي ذئب ان اتقيت الله كفأك الناس وان اتقيت الناس لن يغزوا عنك من الله شيئا : وقال سليمان بن داود أوتينا مما أوتي الناس ومما لم يؤتوا وعلمنا مما علم الناس ومما لم يعلموا فلم نجد شيئا أفضل من تقوي الله في السر والعلانية : والعدل في الغضب والرضا : والقصد في الفقر والغنى * وفي الزهد للإمام احمد أثر الهى « مامن مخلوق اعتصم بمخلوق دوني الا قطعت أسباب السموات والأرض دونه فان سألني لم أعطه وان دعاني لم أجبه وان استغفرني لم أغفر له وما من مخلوق اعتصم بي دون خلقي الا ضمنت السموات والأرض رزقه فان سألني أعطيته وان دعاني أجبته وان استغفرني غفرت له »

فائدة جلية

جمع النبي ﷺ بين تقوي الله وحسن الخلق لان تقوي الله يصلح ما بين العبد وبين ربه وحسن الخلق يصلح ما بينه وبين خلقه : فتقوى الله توجب له محبة الله : وحسن الخلق يدعو الناس الى محبته *

فائدة جلية

بين العبد وبين الله والجنة قطرة تقطع بخطوتين خطوة عن نفسه خطوة عن الخلق فيسقط نفسه ويلقيها فيما بينه وبين الناس ويسقط الناس ويلقيهم فيما بينه وبين الله فلا يلتفت الا الى من دله على الله وعلى الطريق الموصلة اليه *
صاح بالصحابة واعظ (اقرب للناس حسابهم) فجذعت للخوف قلوبهم فجرت من الخذر العيون (فسالت أودية بقدرها) تزينت الدنيا لعلّي فقال أنت طالق ثلاثا لا رجعة لي فيك وكانت تكفيه واحدة للسنة لكنه جمع الثلاث لئلا يتصور للهوى جواز المراجعة : ودينه الصحيح وطبعه السليم بأنفان من المحلل كيف وهو أحد رواة حديث « لعن الله المحال » *

ما في هذه الدار موضع خلوة فاتخذته في نفسك لا بد أن تجذبك الجواذب فاعرفها وكن منها على حذر : لا تضرك الشواغل اذا خلوت منها وأنت فيها : نور الحق أضوأ من الشمس فيحق لحفايش البصائر أن تعشو عنه : الطريق الى الله خال من أهل الشك ومن الذين يتبعون الشهوات وهو معمور بأهل اليقين والصبر وهم على الطريق كالأعلام (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون) *

قاعدة

شهادة ان لا اله الا الله عند الموت تأثير عظيم في تكثير السيئات واجباها لانها شهادة من عبد موقن بها عارف بمضمونها قد ماتت منه الشهوات ولانت نفسه المتمردة وانقادت بعد إبانها واستعصائها واقبلت بعد اعراضها وذلت بعد عزها وخرج منها حرصها على الدنيا وفضولها واستخذت بين يدي ربها وفاطرها ومولاهما الحق اذل ما كانت له وارحى ما كانت لعفوه ومغفرته ورحمته وتجرد

منها التوحيد بانقطاع اسباب الشرك وتحقق بطلانه فزال منها تلك المنازعات التي كانت مشغولة بها واجتمع ههنا علي من ايقنت بالقدوم عليه والمصير اليه فوجه العبد وجهه بكليته اليه واقبل بقلبه وروحه وهمه عليه فاستسلم وحده ظاهراً وباطناً واستوى سره وعلا نيته فقال لا اله الا الله مخلصاً من قلبه وقد تخلص قلبه من التعلق بغيره والالتفات الي ماسواه قد خرجت الدنيا كلها من قلبه وشارف القدم على ربه وخذت نيران شهبوته وامتلاً قلبه من الآخرة فصارت نصب عينيه وصارت الدنيا وراء ظهره فكانت تلك الشهادة الخالصة خاتمة عمله فطهرته من ذنوبه وادخلته علي ربه لانه لقي ربه بشهادة صادقة خالصة وافق ظاهرها باطنها وسرها علانياتها فلو حصلت له الشهادة علي هذا الوجه في أيام الصحة لاستوحش من الدنيا واهلها وفر الي الله من الناس وانس به دون ماسواه لكنه شهد بها بقلب مشحون بالشهوات وحب الحياة واسبابها ونفس مملوءة بطلب الحظوظ والالتفات الي غير الله فلو تجردت كتجردها عند الموت لكان لها نبأ آخر وعيش آخر سوى عيشها البهيمي والله المستعان *

ماذا يملك من أمره من ناصيته بيد الله ونفسه بيده وقلبه بين أصبعين من أصابعه يقبله كيف يشاء وحياته بيده وموته بيده وسعادته بيده وشقاوته بيده وحركاته وسكناته وأقواله وأفعاله بأذنه ومشيتته: فلا يتحرك الا بأذنه ولا يفعل الا بمشيئته ان وكله الي نفسه وكله الي عجز وضعفه وتفريط وذنوب وخطيئة وان وكله الي غيره وكله الي من لا يملك له ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً وان تخلي عنه استولى عليه عدوه وجعله اسيراً له فهو لا غني له عنه طريقة عين بل هو مضطر اليه علي مدى الأنفاس في كل ذرة من ذراته باطناً وظاهراً فاقتتامة اليه ومع ذلك فهو متخلف عنه معرض عنه يتبغض اليه بعصيته مع شدة الضرورة اليه من كل وجه قد صار لذكره نسياً واتخذ وراء ظهره يا هذا واليه مرجعه وبين يديه موقفه *

فرغ خاطرك اللهم بما أمرت به ولا تشغله بما ضمن لك فان الرزق والأجل
 قرينان مضمونان فما دام الأجل باقيا كان الرزق آتيا وإذا سد عليك بحكمته طريقا من
 طرقه فتح لك برحمته طريقا أنفع لك منه : فتأمل حال الجنين يأتيه غذاؤه وهو
 الدم من طريق واحدة وهو السرة فلما خرج من بطن الأم وانقطعت تلك الطريق
 فتح له طريقين اثنين وأجرى له فيهما رزقا طيبا والذ من الأول لبنا خالصا سائغا:
 فاذا تمت مدة الرضاع وانقطعت الطريقان بالفطام فتح طرقا أربعة أكمل منها: طعامان
 وشرابان : فالطعامان من الحيوان والنبات . والشرابان من المياه والألبان وما
 يضاف إليهما من المنافع والملاذ فاذا ماتت انقطعت عنه هذه الطرق الأربعة لكنه
 سبحانه فتح له إن كان سعيدا طرقا ثمانية وهي ابواب الجنة الثمانية يدخل من
 أيها شاء فهكذا الرب سبحانه لا يمنع عبده المؤمن شيئا من الدنيا الا ويؤتيه
 أفضل منه وأنفع له وليس ذلك لغير المؤمن فانه بمنعه الحظ الأدنى الخسيس ولا
 يرضي له به ليعطيه الحظ الأعلى النفيس: والعبد لجهله بمصالح نفسه وجهله بكرم
 ربه وحكمته ولطفه لا يعرف التفاوت بين ما منع منه وبين ما ذخر له (١) بل هو
 مولع بحب العاجل وان كان دينيا وبقلة الرغبة في الآجل وان كان عليا ولو
 انصف العبد ربه وأنى له بذلك لعلم أن فضله عليه فيما منعه من الدنيا ولذاتها
 ونعيمها أعظم من فضله عليه فيما آتاه من ذلك فما منعه الا ليعطيه : ولا ابتلاه الا
 ليعافيه ولا امتحنه الا ليصافيه: ولا أمانته الا ليحييه ولا أخرجه الي هذه الدار
 الا ليتأهب منها للقدوم عليه ويسلك الطريق الموصلة اليه فجعل الليل والنهار خلفه
 لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا وأبى الظالمون الا كفورا * والله المستعان *

من عرف نفسه اشتغل باصلاحها عن عيوب الناس : من عرف ربه اشتغل به عن
 هوى نفسه : أنفع العمل أن تغيب فيه عن الناس بالاخلاص وعن نفسك بشهود
 المنة فلا ترى فيه نفسك ولا ترى الخلق *

(١) يقلل ذخره يذخره ذخرا وهو اتمام من الذخر

دخل الناس النار من ثلاثة أبواب : باب شبهة اورثت شكاً في دين الله :
وباب شهوة اورثت تقديم الهوى على طاعته ومرضاته : وباب غضب أورث
العدوان على خلقه *

أصول الخطايا كلها ثلاثة : الكبر وهو الذى أصار ابليس الى ما أضاره :
والحرص وهو الذى أخرج آدم من الجنة : والحسد وهو الذى جرأ أحداً بني آدم
على أخيه : فمن وقى شر هذه الثلاثة فقد وقى الشر فالكفر من الكبر :
والمعاصي من الحرص : والبغى والظلم من الحسد *

جعل الله بحكمته كل جزء من أجزاء ابن آدم ظاهرة وباطنة آلة لشيء.
إذا استعمل فيه فهو كآلة . فالعين آلة للنظر : والاذن آلة للسمع . والأنف آلة
للشم : واللسان للنطق : والفرج للذكاح . واليد للبطش : والرجل للمشي : والقلب
للتوحيد والمعرفة : وأزواج للمحبة . والعقل آلة للتفكر والتدبير لعواقب الأمور
الدنيوية والدينية وإيثار ما ينبغي إيثاره وإهمال ما ينبغي إهماله *

أخسر الناس صفقة من اشتغل عن الله بنفسه بل أخسر منه من اشتغل عن نفسه
بالناس : في السنن من حديث أبي سعيد يرفعه « إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء
كلها تكفر اللسان تقول اتق الله فإنا نحن بك فان استقمتم استقمنا وإن
اعوججت اعوججنا » قوله تكفر اللسان قيل معناه تخضع له (١) وفي الحديث
إن الصحابة لما دخلوا على النجاشي لم يكفروا له أى لم يسجدوا ولم يخضعوا ولذلك
قال له عمرو بن العاص أيها الملك انهم لا يكفرون لك : وإنما خضعت للسان لانه
يريد القلب وترجمانه والواسطة بينه وبين الأعضاء : وقولها إنا نحن بك أي نجاتنا
بك وهلاكنا بك : ولهذا قالت فان استقمتم استقمنا وإن اعوججت اعوججنا *

(١) قال ابن الأثير في النهاية بعد ما أورد الحديث أى تذل وتخضع والتكفير هو أن
ينحني الإنسان ويطأى رأسه قريباً من الركوع كما يفعل من يريد تعظيم صاحبه .

فصل

جمع النبي ﷺ في قوله « فاتقوا الله وأجلوا في الطلب » بين مصالح الدنيا والآخرة ونعيمها ولذاتها إنما ينال بتقوى الله وراحة القلب والبدن وترك الاهتمام والحرص الشديد والتعب والعناد والكد والشقاء في طلب الدنيا إنما ينال بالأجمال في الطلب فمن اتقى الله فاز بلذة الآخرة ونعيمها : ومن أجل في الطلب استراح من نكد الدنيا وهمومها فالله المستعان

قد نادت الدنيا علي نفسها * لو كان في ذا الخلق من يسمع
كم وائق بالعيش أهلكته * وجامع فرقت ما يجمع

فائدة

جمع النبي ﷺ بين المأثم والمغرم (١) فإن المأثم يوجب خسارة الآخرة والمغرم يوجب خسارة الدنيا *

فائدة

قال تعالى (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) علق سبحانه الهداية بالجهاد: فاكل الناس هداية أعظمهم جهادا : وأفرض الجهاد جهاد النفس وجهاد الهوي وجهاد الشيطان وجهاد الدنيا فمن جاهد هذه الاربعة في الله هداه الله سبل رضاه الموصلة الي جنته ومن ترك الجهاد فانه من الهدى بحسب ما عطل من الجهاد * قال الجنيد والذين جاهدوا أهواءهم فينا بالتوبة لنهدينهم سبل الاخلاص ولا يتمكن من جهاد عدوه في الظاهر الا من جاهد هذه الأعداء باطنا فمن نصر عليها نصر على عدوه ومن نصرت عليه نصر عليه عدوه *

فصل

لقى الله سبحانه العداوة بين الشيطان وبين الملك : والعداوة بين العقل وبين الهوى : والعداوة بين النفس الأمارة وبين القلب وابتلى العبد بذلك وجمع له بين هؤلاء وأمد كل حزب بجنود وأعوان فلا تزال الحرب سجالات ودولاً بين الفريقين إلى أن يستولى أحدهما على الآخر ويكون الآخر مقهوراً معه : فإذا كانت النوبة للقلب والعقل والملوك فهناك السرور والنعيم واللذة والبهجة والفرح وقرة العين وطيب الحياة وانسراح الصدر والفوز بالغنائم: وإذا كانت النوبة للنفس والهوى والشيطان فهناك الغموم والهموم والأحزان وأنواع المكروه وضيق الصدر وحبس الملك فما ظنك بملك استولى عليه عدوه فانزله عن سرير ملكه وأسره وحبسه وحال بينه وبين خزائنه وذخائره وخدمه وصيرها له ومع هذا فلا يتحرك الملك لطلب ثأره ولا يستغيث بمن يغيثه ولا يستنجد بمن ينجده وفوق هذا الملك قاهر لا يقهر وغالب لا يغلب وعزيز لا يذل فارسل إليه إن استنصرتني نصرتك وإن استغثت بي اغثتك وإن التجأت إليّ أخذت بثأرك وإن هربت إليّ وأويت إليّ سلطتك عليّ عدوك وجعلته تحت أسرك فإن قال هذا الملك المأسور قد شدّ عدوى وثاقى وأحكم رباطى واستوثق منى بالقيود ومنعني من النهوض اليك والفرار اليك والمسير إليّ بابك فإن أرسلت جنداً من عندك بحمل وثاقى ويفك قيودى ويخرجنى من حبسه أمكننى أن أوافى بابك والا لم يمكننى مفارقة محبسى ولا كسر قيودى فإن قال ذلك احتجاجاً على ذلك السلطان ودفعاً لرسالاته ورضاً بما هو فيه عند عدوه خلاه السلطان الأعظم وحاله وولاه ما تولى : وإن قال ذلك افتقاراً إليه وإظهاراً لعجزه وذله وأنه أضعف وأعجز أن يسير إليه بنفسه ويخرج من حبس عدوه ويتخلص منه بحوله وقوته وأن من تمام نعمته ذلك عليه كما أرسل إليه هذه الرسالة أن يمدّه من جنده

ومالكيه بمن يعينه علي الخلاص ويكسر باب محبسه ويفك قيوده فان فعل به ذلك فقد أتم انعامه عليه وان تخلى عنه فلم يظلمه ولا منعه حقاً هوله وان حمده وحكمته اقتضي منعه وتحليته في محبسه ولا سيما اذا علم أن الحبس حبسه وان هذا العدو الذي حبسه مملوك من ممالكيه وعبد من عبيده ناصيته بيده لا يتصرف الا باذنه ومشيتته فهو غير ملتفت اليه ولا خائف منه ولا معتقد أن له شيئاً من الامر ولا بيده نفع ولا ضرر بل هو ناظر الي مالكيه ومتولى أمره ومن ناصيته بيده قد افردته بالخوف والرجاء والتضرع اليه والالتجاء والرغبة والرهبة فهناك تأتيه جيوش النصر والظفر *

أعلى الهمم في طلب العلم طلب علم الكتاب والسنة والفهم عن الله ورسوله نفس المراد وعلم حدود المنزل * وأخس همم طلاب العلم قصر همته علي تتبع شواذ المسائل وما لم ينزل ولا هو واقع : أو كانت همته معرفة الاختلاف وتتبع أقوال الناس وليس له همة الي معرفة الصحيح من تلك الأقوال وقل أن ينتفع واحد من هؤلاء بعلمه * وأعلى الهمم في باب الارادة أن تكون الهمة متعلقة بحجة الله والوقوف مع مراده الديني الأمرى وأسفلها أن تكون الهمة واقفة مع مراد صاحبها من الله فهو إنما يعبد لمراده منه لا لمراد الله منه فالاول يريد الله ويريد مراده : والثاني يريد من الله وهو فارغ عن إرادته *

علماء السوء جلسوا على باب الجنة يدعون اليها الناس بأقوالهم ويدعونهم الى النار بأفعالهم فكلما قالت أقوالهم للناس هلموا قالت أفعالهم لا تسمعوا منهم فلو كان ما دعوا اليه حقاً كانوا اول المستجيبين له فهم في الصورة أدلاء وفي الحقيقة قطاع الطرق * اذا كان الله وحده حظك ومرادك فالفضل كله تابع لك يزدلف اليك أى أنواعه تبدأ به واذا كان حظك ما تنال منه فالفضل موقوف عنك لانه بيده تابع له فعل من أفعاله فاذا حصل لك حصل لك الفضل بطريق الضمن والتبع : وماذا كان الفضل مقصودك لم يحصل الله بطريق الضمن والتبع فان

كنت قد عرفته وأنست به ثم سقطت الى طلب الفضل حرملك اياه عقوبة لك
ففاتك الله وفاتك الفضل *

فصل

لما خرج رسول الله ﷺ من حصر العدو دخل في حصر النصر فعبثت
أيدي سراياه بالنصر في الأطراف فطار ذكره في الآفاق فصار الخلق معه
ثلاثة أقسام : مؤمن به ومسلم له وخائف منه: ألقى بذر الصبر في مزرعة (فاصبر
كما صبر أولو العزم من الرسل) فاذا أغصان النبات تهتز بخزامي (والحرمت
قصاص) فدخل مكة دخولا ما دخله أحد قبله ولا بعده حوله المهاجرون
والأنصار لا يبين منهم الا الحدق والصحابة على مراتبهم والملائكة فوق
رؤوسهم وجبريل يتردد بينه وبين ربه وقد أباح له حرمه الذي لم يحله لأحد سواه
فلما قايس بين هذا اليوم وبين يوم (واذ ينكر الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك
أو يخرجوك) فاخرجوه ثاني اثنين *

دخل وذقنه تمس قريوس سرجه خضوعاً وذلا لمن ألبسه ثوب هذا العز
الذي رفعت اليه فيه الخليفة رؤوسها ومدت اليه الملوك أعناقها فدخل مكة مالكا
مؤيدا منصورا وعلا كعب بلال فوق الكعبة بعد أن كان يجر في الرضاء على
جر الفتنة فنشر بزاً طوى عن القوم من يوم قوله «أحد أحد» ورفع صوته بالأذان
فأجابته القبائل من كل ناحية فاقبلوا يؤمون الصوت فدخلوا في دين الله أفواجا
وكانوا قبل ذلك يأتون آحادا فلما جلس الرسول على منبر العز وما نزل عنه قط
مدت الملوك أعناقها بالخضوع اليه فمنهم من سلم اليه مفاتيح البلاد ومنهم من سأله
الموادعة والصلح ومنهم من أقر بالجزية والصغار ومنهم من أخذ في الجمع والتأهب
للحرب ولم يدرك أنه لم يزد على جمع الغنائم وسوق الاسارى اليه فلما تكمل نصره
وبلغ الرسالة وأدى الامانة وجاء منشور (انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله
ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما وينصرك

الله نصرأ عزيزاً) وبعده توقيع (اذا جا. نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا) جاءه رسول ربه يخبره بين المقام في الدنيا وبين لقائه فاختر لقاء ربه شوقا اليه فتزينت الجنان ليوم قدوم روحه الكريمة لا كزينة المدينة يوم قدوم الملك : اذا كان عرش الرحمن قد اهتز لموت بعض اتباعه (١) فرحا واستبشارا بقدوم روحه فكيف بقدوم روح سيد الخلائق : فيا منتسبا الى غير هذا الجنب ويا واقفا بغير هذا الباب ستعلم يوم الحشرأى سريرة تكون عليها يوم تبلي السرائر *

فصل

يامغرورا بالاماني لعن ابليس وأهبط من منزل العز بترك سجدة واحدة أمر بها واخرج آدم من الجنة بلقمة تناولها : وحجب القاتل عنها بعد أن رآها عيانا بلاء كف من دم : وأمر بقتل الزاني اشنع القتلات بايللاج قدر الا تملة فيما لا يحل وأمر باساع الظهر سيطا بكلمة قذف او بقطرة من سكر : وابان عضوا من اعضائك بثلاثة دراهم فلا تأمنه ان يحبسك في النار بمعصية واحدة من معاصيه (ولا يخاف عقابها) دخلت امرأة النار في هرة : وان الرجل ليتكلم بالكلمة لا يلقى لها بالا يهوى بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب : وان الرجل يعمل بطاعة الله ستين سنة فاذا كان عند الموت جار في الوصية فيختم له بسوء عمله فيدخل النار : العمر بآخره والعمل بخاتمته : من أحدث قبل السلام بطل ماضيه من صلاته ومن أفطر قبل غروب الشمس ذهب صيامه ضائعا ومن أساء في آخر عمره لقي ربه بذلك الوجه : لو قدمت لقمة وجدتها ولكن يؤذيك الشره : كم جاء الثواب يسعى اليك فوقف بالباب فرده بواب سوف ولعل وعسى : كيف الفلاح

(١) قد اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ الانصاري وهو كبير الاوس : وقد ورد في صحيح البخاري وغيره : واهتزاز العرش له رضى الله عنه منقبة عظيمة له رضى الله عنه :

بين ايمان ناقص وأمل زائد ومرض لا طيب له ولا عائد وهوى مستيقظ وعقل راقد ساهيا في غمرته عمها في سكرته ساجحا في لجة جهله مستوحشا من ربه مستأنسا بخلقها ذكر الناس فا كته وقوته وذكر الله حبسه وموته لله منه جزء يسير من ظاهره وقلبه و يقينه لغيره

لا كان من لسواك فيه بقية * يجد السبيل بها اليه العذل

فصل

كان أول المخلوقات القلم ليكتب المقادير قبل كونها وجعل آدم آخر المخلوقات وفي ذلك حكم * أحدها تمديد الدار قبل الساكن * الثانية أنه الغاية التي خلق لاجلها ما سواه من السموات والأرض والشمس والقمر والبر والبحر: الثالثة ان احذق الصناع يختم عمله باحسنه وغايته كما يبدوه باسائه ومبادئه: الرابعة ان النفوس متطلعة الى النهايات والا واخر دأبنا ولهذا قال موسى للسحرة اولاً (القوا انتم ملقون) فلما رأى الناس فعلهم تطلّعوا الى ما يأتي بعده * الخامسة ان الله سبحانه آخر أفضل الكتب والانبياء والا ثم الى آخر الزمان وجعل الآخرة خيراً من الأولى والنهايات أكمل من البدايات : فكم بين قول الملك للرسول اقرأ فيقول ما أنا بقاري، وبين قوله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم) * السادسة انه سبحانه جمع ما فرقه في العالم في آدم فهو العالم الصغير وفيه ما في العالم الكبير * السابعة انه خلاصة الوجود وثمرته فناسب أن يكون خلقه بعد الموجودات * الثامنة ان من كرامته علي خالقه أنه هيا له مصالحه وحوائجه وآلات معيشته وأسباب حياته فما رفع رأسه الا وذلك كله حاضر عتيق * التاسعة انه سبحانه أراد أن يظهر شرفه وفضله على سائر المخلوقات فقدمها عليه في الخلق ولهذا قالت الملائكة ليخلق ربنا ما شاء فلن يخلق خلقاً اكرم عليه منا فلما خلق آدم وأمرهم بالسجود له ظهر فضله وشرفه عليهم بالعالم والمعرفة فلما وقع في الذنوب ظنت الملائكة أن ذلك الفضل

قد نسخ ولم تطلع على عبودية التوبة السكينة فلما تاب الى ربه وآتى بتلك العبودية علمت الملائكة ان الله في خلقه سرّاً لا يعلمه سواه * العاشرة انه سبحانه لما افتتح خلق هذا العالم بالقلم كان من أحسن المناسبة أن يختمه بخلق الانسان فان القلم آلة العلم والانسان هو العالم : ولهذا أظهر سبحانه فضل آدم على الملائكة بالعلم الذي خص به دونهم: ﴿وتأمل﴾ كيف كتب سبحانه عذر آدم قبل هبوطه الى الأرض ونبه الملائكة على فضله وشرفه ونوّه باسمه قبل ايجاده بقوله (اني جاعل في الأرض خليفة) وتأمل كيف وسمه بالخلافة وتلك ولاية له قبل وجوده وأقام عذره قبل الهبوط بقوله (في الأرض) والمحبة يقيم عذر المحبوب قبل جنايته فلما صورّه ألقاه على باب الجنة أربعين سنة لان دأب المحبة الوقوف على باب الحبيب رمى به في طريق ذلّ (لم يكن شيئاً) لثلاث يعجب يوم (اسجدوا) كان إبليس يمر على جسده فيعجب منه ويقول لأمر قد خلقت ثم يدخل من فيه ويخرج من دبره ويقول لئن سلطت عليك لأهلكنك ولئن سلطت علي لأعصينك ولم يعلم ان هلاكه على يده رأى طيناً مجموعاً فاحتقره فلما صور الطين صورة دبّ فيه داء الحسد فلما نفخ فيه الروح مات الحاسد فلما بسط له بساط العزّ عرضت عليه المخلوقات فاستحضر مدعى (ونحن نسبح) الي حاكم (أنبؤني) وقد أخفى الوكيل عنه بيّنة (وعلم) فنكسوا رؤوس الدعوى على صدور الاقرار فقام منادي التفضيل في أندية الملائكة ينادى (اسجدوا) فطهروا من حدث دِعوي (ونحن) بماء العذرة في آنية (لاعلم لنا) فسجدوا على طهارة التسليم وقام إبليس ناحية لم يسجد لانه خبث وقد تلون بنجاسة الاعتراض وما كانت نجاسته تتلافى بالتطهير لانها عينية فلما تمّ كمال آدم قيل لا بد من خال جمال على وجه (اسجدوا) فجرى القدر بالذنب ليتبين أثر العبودية في الذل يا آدم لو عفى لك عن تلك اللقمة لقال الحاسدون كيف فضل ذو شره لم يصبر على شجرة لولا نزولك ما تصاعدت صعداء الأنفاس ولا نزلت رسائل هل من سائل ولا فاحت

(م ٩ — فوائد)

روائح ولخلاف في الصائم فتبين حينئذ ان ذلك تناول لم يكن عن شره * يا آدم ضحكك في الجنة لك وبكأوك في دار التكليف لنا * ماضر من كسره عزى اذا جبره فضلي انما تليق خلعة العز بيدن الانكسار : أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي : ما زالت تلك الأكلة تعادّه حتي استولى داؤه على أولاده فأرسل اليهم اللطيف الخبير الدواء علي أيدي أطباء الوجود (فاما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا يضل ولا يشقى) فحماهم الطيب بالمناهي وحفظ القوة بالأوامر واستفرغ اخلاطهم الرديئة بالتوبة فجاءت العافية من كل ناحية *

فيا من ضيع القوة ولم يحفظها وخط في مرضه وما احتسى ولا صبر على مرارة الاستفراغ لا تنكر قرب الهلاك فالداء مترام الى الفساد لو ساعد القدر فأعنت الطيب علي نفسك بالحمية من شهوة خسيصة ظفرت بانواع اللذات وأصناف المشتهيات ولكن بخار الشهوة غطى عين البصيرة فظننت ان الحزم بيع الوعد بالنقد يالها بصيرة عمياء جزعت من صبر ساعة واحتملت ذل الأبد سافرت في طلب الدنيا وهي عنها زائلة وقعدت عن السفر الى الآخرة وهي اليها راحلة اذا رأيت الرجل يشتري الخسيس بالنفيس ويبيع العظيم بالحقير فاعلم بانه سفیه *

فصل

لما سلم لآدم أصل العبودية لم يقدح فيه الذنب * ابن آدم لو لقيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لقيتك بقرابها مغفرة * لما علم السيد ان ذنب عبده لم يكن قصداً لمخالفته ولا قدحاً في حكمته علمه كيف يعتذر اليه (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه) * العبد لا يريد بمعصيته مخالفة سيده ولا الجرأة على محارمه ولكن غلبات الطبع وتزيين النفس والشيطان وقهر الهوى والثقة بالعفو ورجاء المغفرة هذا من جانب العبد : وأما من جانب الربوبية فجريان الحكم وإظهار عز الربوبية وذل العبودية وكل الاحتياج وظهور آثار الأسماء الحسني

كالغفور والغفور والتواب والحليم لمن جاء تائباً نادماً والمتقم والعدل وذو البطش الشديد لمن أصر ولزم الحجرة فهو سبحانه يريد أن يرى عبده تفرد به بالكمال ونقص العبد وحاجته إليه ويشهده كمال قدرته وعزته وكمال مغفرته وعفوه ورحمته وكمال بره وستره وحلمه وتجاوزه وصفحه وإن رحمته به أحسان إليه لا معاوضة وإنه إن لم يتغمده برحمته وفضله فهو هالك لا محالة فله كم من تقدير الذنب من حكمة وكم فيه مع تحقيق التوبة للعبد من مصلحة ورحمة: التوبة من الذنب كشرب الدواء للعليل وربّ علة كانت سبب الصحة

لعل عتبك محمود عواقبه * وربما صحت الأجساد بالعلل
لولا تقدير الذنب هلك ابن آدم من العجب * ذنب يذل به أحب إليه من طاعة يدل بها عليه * شمع النور إنما تنزل في شمعدان الانكسار * لا يكرم العبد نفسه بمثل اماتتها ولا يعزها بمثل ذلها ولا يريحها بمثل تعبها كما قيل
سأتعب نفسي أو أصادف راحة * فإن هوان النفس في كرم النفس
ولا يشبعها بمثل جوعها ولا يؤمنها بمثل خوفها ولا يؤنسها بمثل وحشتها من كل ما سوى فاطرها وبارئها ولا يحییها بمثل اماتتها كما قيل
موت النفوس حياتها * من شاء أن يحيا يموت

شراب الهوى حلو ولكنه يورث الشر (١) من تذكر خلق الفخ هان عليه هجران الحبة يا معرقل في شرك الهوى جمزة (٢) عزم وقد خرقت الشبكة لا بد من نفوذ القدر فاجتنب لاسلم * لله ملك السموات والارض واستقرض منك حبة فبخلت بها وخلق سبعة أبحر وأحب منك دمة فقمطت عينك بها * اطلاق البصر ينقش في القلب صورة المنظور والقلب كعبة والمعبود لا يرضى بمزاحمة

(١) هو الفضة ومنه حديث « الحرق والشرق شهادة » هو الذي يشرق بالماء فيموت:

(٢) الجز العدو والاسراع : ويقال هو نوع من السير أشد من العنق

الأصنام : لذات الدنيا كسوداء وقد غلبت عليك والخور العين يعجبين من سوء اختيارك عليهن غير أن زوبعة الهوى اذا ثارت سفت (١) في عين البصيرة فنفيت الجادة : سبحان الله تزينت الجنة للخطاب فجدوا في تحصيل المهر وتعرف رب العزة الي المحيين باسمائه وصفاته فعملوا على اللقاء وأنت مشغول بالجيف

لا كان من لسواك منه قلبه * ولك اللسان مع الوداد الكاذب

المعرفة بساط لا يطاء عليه الا مقرب والمحبة نشيد لا يطرب عليه الا محب مفرم * الحب غدير في صحراء ليست عليه جادة فلماذا قل وارده * المحب يهرب الى العزلة والخلوة بمحبوبه والانس بذكره كهرب الحوت الى الماء والطفل الى أمه *

وأخرج من بين البيوت لعلى * أحدث عنك القلب بالسرخاليا ليس للعابد مستراح الا تحت شجرة طوبى ولا للمحب قرار الا يوم المزيد * اشتغل به في الحياة يكفك ما بعد الموت * يا منقفا بضاعة العمر في مخالفة حبيبته والبعد منه ليس في أعدائك أضر عليك منك

ما تبلغ الأعداء من جاهل * ما يبلغ الجاهل من نفسه

الهمة العلية من استعد صاحبها للقاء الحبيب وقدم التقادم بين يدي الملتقى فاستبشر عند القدوم (و قدما لانفسكم واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه وبشر المؤمنين) * تالله ما عدا عليك العدو الا بعد ان تولى عنك الولي فلا تظن ان الشيطان غلب ولكن الحافظ أعرض * احذر نفسك فما أصابك بلاء قط الا منها ولا تهادنها : فوالله ما أكرمها من لم يهنها : ولا أعزها من لم يذلها : ولا جبرها من لم يكسرها : ولا أراحها من لم يتعبها : ولا أمنها من لم يخوفها : ولا فرحها من لم يحزنها * سبحان الله ظاهره متجمل بلباس التقوى وباطنه باطية (٢)

لحمر الهوى فكلمها طيبت الثوب فاحت رائحة المسكر من تحتها فتباعد منك
الصادقون وأنحاز اليك الفاسقون * يدخل عليك لص الهوى وأنت في زاوية
التعبد فلا يرى منك طرداً له فلا يزال بك حتي يخرجك من المسجد * أصدق
في الطلب وقد جاءتك المعونة * قال رجل لمعروف علمني المحبة فقال المحبة
لا تجيء بالتعليم

هو الشوق مدلولاً على مقتل الفنا * اذا لم يعد صبا باقيا حبيبه

ليس العجب من قوله يحبونه انما العجب من قوله يحبهم * ليس العجب من
فقير مسكين يحب محسناً اليه انما العجب من محسن يحب فقيراً مسكيناً *

فصل

القرآن كلام الله وقد تجلى الله فيه لعباده بصفاته فتارة يتجلي في جلاب
الهيبة والعظمة والجلال فتحضض الأعناق وتنكسر النفوس وتخشع الاصوات
ويذوب الكبير كما يذوب الملح في الماء وتارة يتجلي في صفات الجمال والكمال
وهو كمال الاسماء وجمال الصفات وجمال الافعال الدال على كمال الذات فيستغند
حبه من قلب العبد قوة الحب كلها بحسب ما عرفه من صفات جماله ونعوت كماله
فيصبح فؤاد عبده فارغاً الا من محبته فاذا أراد منه الغير ان يعلق تلك المحبة به
ابى قلبه واحشاؤه ذلك كل الالباء كما قيل

يراد من القلب نسيانكم * وتأبى الطباع على الناقل

فتبقى المحبة له طبعاً لا تكلفاً: واذا تجلى بصفات الرحمة والبر واللفظ والاحسان
انبعثت قوة الرجاء من العبد وانبسط أمله وقوي طمعه وسار الى ربه وحادى الرجاء
يحدو ركاب سيره وكلما قوى الرجاء جد في العمل كما ان الباذر كلما قوي طمعه في المغل
غلق ارضه بالبذر واذا ضعف رجاءه قصر في البذر * واذا تجلى بصفات العدل والانتقام

والغضب والسخط والعقوبة انقمعت النفس الأمارة وبطلت أو ضعفت قواها من الشهوة والغضب والهوى واللعب والحرص على المحرمات وانقبضت أغنة رعوناتها فأحضرت المطية حظها من الخوف والخشية والحذر : وإذا تجلي بصفات الامر والنهي والعهد والوصية وأرسل الرسل وأنزال الكتب وشرع الشرائع انبعث منها قوة الامثال والتنفيذ لأمره والتبليغ لها والتواصي بها وذكرها وتذكرها والتصديق بالخبر والامثال للطلب والاجتناب للنهي * وإذا تجلي بصفة السمع والبصر والعلم انبعث من العبد قوة الحياء فيستحي ربه ان يراه على ما يكره او يسمع منه ما يكره او يخفى في سريره ما يمتقه عليه فتبقى حركاته وأقواله وخواطره موزونة بميزان الشرع غير مهملة ولا مرسلة تحت حكم الطبيعة والهوى * وإذا تجلي بصفات الكفاية والحسب والقيام بمصالح العباد وسوق ارزاقهم اليهم : ودفع المصائب عنهم ونصره لأوليائه وحمايته لهم ومعنيته الخاصة لهم انبعث من العبد قوة التوكل عليه والتفويض اليه والرضاه وما في كل ما يجريه علي عبده وبقيمه فيه مما يرضى به هو سبحانه : والتوكل معنى يلتزم من علم العبد بكفاية الله وحسن اختياره لعبده وثقته به ورضاه بما يفعله به ويختاره له * وإذا تجلي بصفات العز والكبرياء اعطت نفسه المطمئنة ما وصلت اليه من الذل لعظمته والانكسار لعزته والخضوع لكبريائه وخشوع القلب والجوارح له فتعلوه السكينة والوقار في قلبه ولسانه وجوارحه وسمته ويذهب طيشه وقوته وحدته *

وجماع ذلك أنه سبحانه يتعرف الي العبد بصفات آلهيته تارة وبصفات ربوبيته تارة فيوجب له شهود صفات الآلهية المحبة الخاصة والشوق الى لقائه والانس والفرح به والسرور بخدمته والمنافسة في قربه والتودد اليه بطاعته والبهج بذكره والفرار من الخلق اليه ويصير هو وحده همه دون ما سواه * ويوجب له شهود صفات الربوبية التوكل عليه والافتقار اليه والاستعانة به والذل والخضوع والانكسار له وكل ذلك أن يشهد ربوبيته في آلهيته والهيته في ربوبيته وحده في ملكه وعزه في عفوه

وحكمته في قضائه وقدره: ونعمته في بلائه وعطاءه في منعه وبره ولطفه وأحسانه
ورحمته في قيوميته: وعدله في انتقامه وجوده وكرمه في مغفرته وستره ونجاوزه:
ويشهد حكمته ونعمته في أمره ونهيه وعزه في رضاه وغضبه وحلمه في إمهاله وكرمه
في إقباله وغناه في اعراضه *

وانت اذا تدبرت القرآن واجرته من التحريف وأن تقضي عليه بآراء
المتكلمين وافكار المتكلمين أشهدك ملكا قيوما فوق سمواته علي عرشه يدبر
أمر عباده يأمر وينهى ويرسل الرسل وينزل الكتب ويرضى ويفض ويثيب
ويعاقب ويعطى ويمنع ويعز ويذل ويخفض ويرفع يرى من فوق سبع ويسمع
ويعلم السر والعلانية فعال لما يريد موصوف بكل كمال منزّه عن كل عيب لا
تتحرك ذرة فما فوقها الا بأذنه ولا تسقط ورقة الا بعلمه ولا يشفع أحد عنده
الا بأذنه ليس لعباده من دونه ولى ولا شفيع *

فصل

لما بايع الرسول ﷺ أهل العقبة أمر أصحابه بالهجرة الي المدينة فعملت
قريش أن أصحابه قد كثروا وأنهم سيمنعونه فاعملت آراءها في استخراج
الحيل فمنهم من رأى الحبس: ومنهم من رأى النفي ثم اجتمع رأيهم علي القتل
فجاء البريد بالخبر من السماء وأمره أن يفارق المضعج فبات علي مكانه ونهض
الصديق لرفقة السفر فلما فارقا بيوت مكة اشتد الحذر بالصديق فجعل يذكر
الرصد فيسير أمامه وتارة يذكر الطلب فيتأخر وراءه: وتارة عن يمينه وتارة
عن شماله الي أن انتهيا الي الغار فبدأ الصديق بدخوله ليكون وقاية له ان كان
ثم موذ وأنبت الله شجرة لم تكن قبل فأظلت المطلوب واضلت الطالب وجاءت
عنكبوت فحازت وجه الغار فحكت ثوب نسجها علي منوال الستر فاحكمت
الشقة حتى عمى علي القائف المطلب وأرسل حمامتين فاتخذتا هناك عشا جعل

على أبصار الطالبين غشاوة وهذا أبلغ في الاعجاز من مقاومة القوم بالجنود فلما وقف القوم على رؤوسهم وصار كلامهم بسمع الرسول والصديق قال الصديق وقد اشتد به القلق يا رسول الله لو أن أحدهم نظر الي ما تحت قدميه لا بصرنا تحت قدميه فقال رسول الله ﷺ يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما لما رأى الرسول حزنه قد اشتد لكن لا علي نفسه قوي قلبه ببشارة (لا تحزن ان الله معنا) فظهر سر هذا الاقتران في المعية لفظا كما ظهر حكما ومعنى اذ يقال رسول الله وصاحب رسول الله فلما مات ﷺ قيل خليفة رسول الله ثم انقطعت اضافة الخلافة بموته فقيل أمير المؤمنين فاقاما في الغار ثلاثا ثم خرجا منه ولسان القدر يقول لتدخلنها دخولا لم يدخله أحد قبلك ولا ينبغي لاحد من بعدك فلما استقلا علي البيداء لحقهما سراقة بن مالك فلما شارف الظفر أرسل عليه الرسول سهما من سهام الدعاء فساخت قوائمه فرسه في الارض الى بطنها فلما علم أنه لا سبيل له عليهما أخذ يعرض المال علي من قد رد مفاتيح الكنوز ويقدم الزاد الي شعبان « أبيت عند ربي يطعني ويسقيني » كانت تحفة ثاني اثنين مدخرة للصديق دون الجميع فهو الثاني في الاسلام وفي بذل النفس وفي الزهد وفي الصحبة وفي الخلافة وفي العمر: وفي سبب الموت لان الرسول ﷺ مات عن أثر السم وأبو بكر سم فمات: أسلم على يديه من العشرة عثمان وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص: وكان عنده يوم أسلم أربعون ألف درهم فانفقها أحوج ما كان الاسلام اليها فلماذا جلبت نفقته عليه « مانفعي مال مانفعي مال أبي بكر » فهو خير من مؤمن آل فرعون لان ذلك كان يكتم ايمانه والصديق أعلن به: وخير من مؤمن آل ياسين لان ذلك جاهد ساعة والصديق جاهد سنين عابن طائر الفاقة يحوم حول حب الايثار ويصبح (من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا) فألقى له حب المال علي روض الرضا واستلقى علي فراش الفقر فقل الطائر الحب الي حوصلة المضاعفة ثم علا على افنان شجرة الصدق يغرد

بفنون المدح ثم قال في محاريب الاسلام يتلو (وسيجنبها الأتقى الذي يؤتي ماله يتزكى) نطقت بفضله الآيات والاخبار * واجتمع على بيعته المهاجرون والانصار : فيا مبغضيه في قلوبكم من ذكره نار: كلما تليت فضائله علا عليهم الصغار : أتري لم يسمع الروافض الكفار (ثاني اثنين اذ هما في الغار) دعى الي الاسلام فما تلعم ولا أبي : وسار علي المحجة فما زل ولا كبا : وصبر في مدته من مدى العدى علي وقع الشبا : واكثر في الاتفاق فما قلل حتى تحلل بالعبا : تالله لقد زاد علي السبك في كل دينار دينار (ثاني اثنين اذ هما في الغار) من كان قرين النبي في شبابه : من ذا الذي سبق إلي الايمان من أصحابه : من الذي أفتى بحضرته سريعا في جوابه : من أول من صلي معه : من آخر من صلي به من الذي ضاجعه بعد الموت في ترابه : فاعرفوا حق الجار : نهض يوم الردة بفهم واستيقاظ : وأبان من نص الكتاب معنى دق عن حديد الحياظ : فالحب يفرح بفضائله والبغض يفتناظ : حسرة الرافضي أن يفر من مجلس ذكره ولكن أين الفرار : كم وقى الرسول بالمال والنفس : وكان أخص به في حياته وهو ضحيه في الرمس : فضائله جلية وهي خلية عن اللبس : يا عجبا من يغطي عين ضوء الشمس في نصف النهار لقد دخلا غاراً لا يسكنه لاث : فاستوحش الصديق من خوف الحوادث : فقال الرسول ما ظنك باثنين والله الثالث : قزلت السكينة فارتفع خوف الحادث : فزال القلق وطاب عيش الماكث : فقام مؤذن النصر ينادى على رؤوس منائر الامصار (ثاني اثنين اذ هما في الغار) حبه والله رأس الحنيفة وبغضه يدل على خبث الطوية : فهو خير الصحابة والقراة والمحجة على ذلك قوة : لولا صحة امامته ما قيل ابن الحنفية مهلا مهلا فان ذم الروافض قد فار: والله ما احببناه لهوانا : ولا نعتقد في غيره هوانا : ولكن أخذنا بقول علي وكفانا رضيك رسول الله لديننا: أفلا نرضاك لدينانا : تالله لقد أخذت من الروافض بالثار :

(١٠٢ — فوائد)

تالله لقد وجب حق الصديق علينا فنحن نقضي بمداثمه ونقر بما نقر به من السي
عينا فمن كان رافضياً فلا يعد إلينا وليقل لي أعذار *

تذبيہ

اجتنب من يعادى أهل الكتاب والسنة لثلا يعديك خسرا نه : احرز
من عدوين هلك بهما أ كثر الخلق : صاد عن سبيل الله بشبهاته وزخرف قوله *
ومفتون بدنياه ورئاسته * من خلق فيه قوة واستعداد لشيء كانت لذته في
استعمال تلك القوة فيه : فلذة من خلقت فيه قوة واستعداد للجماع استعمال قوته
فيه : ولذة من خلقت فيه قوة الغضب والتوئب استعمال قوته الغضبية في متعلقها :
ومن خلقت فيه قوة الاكل والشرب فلذته باستعمال قوته فيهما : ومن خلقت
فيه قوة العلم والمعرفة فلذته باستعمال قوته وصرفها الى العلم : ومن خلقت فيه قوة
الحب لله والانابة اليه والعكوف بالقلب عليه والشوق اليه والانس به فلذته
ونعيمه استعمال هذه القوة في ذلك . وسائر اللذات دون هذه اللذة مضمحلة
قانية واحمد عاقبتها ان تكون لاله ولا عليه *

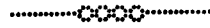
تذبيہ

يا أيها الأعزل احذر فراسة المتقي فانه يرى عورة عملاك من وراء ستر
« اتقوا فراسة المؤمن » (١) سبحانه الله في النفس كبر ابليس وحسد قايل وعغو
عاد وطغيان نمود : وجرة نمود : واستطالة فرعون : وبغى قارون : وقحة هامان

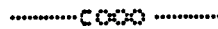
(١) الفراسة بكسر الفاء قال في النهاية يقال بمعنىين أحدهما ما دل ظاهر هذا الحديث
عليه وهو ما يوقمه الله تعالى في قلوب أوليائه فيعلمون أحوال بعض الناس بنوع من الكرامات
واصابة الظن والحسد * والثاني نوع يتعلم بالدلائل والتجارب والخلق والخلق فتعرف به
أحوال الناس : وللناس فيه تصانيف قديمة وحديثة :

يَابِئَا نَفْسَهُ يَبِيعُ الْهُوَانَ لَوَاسِبًا ——— تَرَجَعْتَ ذَا الْبَيْعِ قَبْلَ الْفَوْتِ لَمْ تَخْبِ
وَبِئَا طَيْبَ عَيْشٍ مَا لَهُ خَطَرٌ * بطيف عيش من الآلام منتهب
غَنَيْتَ وَاللَّهُ غَنِيًّا فَاحْشًا وَلَدَى * يوم التغابن تلقى غاية الحرب
وَوَارِدًا صَفْوَ عَيْشٍ كُلَّهُ كَدْرٌ * أمامك الورد حقاً ليس بالكذب
وَحَاطَبُ اللَّيْلِ فِي الظُّلُمَاءِ مُنْتَصِبًا * لكل داهية تدني من العطب
تَرْجُو الشِّفَاءَ بِأَحْدَاقٍ بِهَا مَرَضٌ * فهل سمعت يبرء جاء من عطب
وَمُغْنِيًّا نَفْسَهُ فِي إِثْرِ أَقْبَحِهِمْ * وصفا للطخ جال فيه مستلب
وَوَاهِبًا نَفْسَهُ مِنْ مِثْلِ ذَا سَفَهًا * لو كنت تعرف قدر النفس لم تهب
شَابُ الصَّبَا وَالتَّصَابِي بَعْدَ لَمْ يَشِبْ * وضاع وقتك بين اللهو واللعب
وَشَمْسٌ عَمَرَتْ قَدْ حَانَ الْغُرُوبُ لَهَا * والفاء في الأفق الشرقي لم يغب

وفاز بالوصل من قد جدوا انتشعت * عن أفقه ظلمات الليل والسحب
 كم ذا التخلف والديا قد ارتحلت * ورسل ربك قد وافتك في الطلب
 مافي الديار وقد سارت ركائب من * نهواه للصب من شكر ولا أرب
 فافرش الخد ذياك التراب وقل * ما قاله صاحب الأشواق والحقب
 ما ربع مية محفوقاً يطيف به * غيلان أشهى له من ربك الحرب
 منازل كان يهواها ويأنفها * ايام كان منال الوصل عن كتب
 ولا الحدود ولو آدمين من ضرج * اشهى الى ناظرى من ربك الحرب
 وكلما جليت تلك الربوع له * يهوى اليها هوى الماء في الصبب
 أحبي له الشوق تذكرا لعهودها * فلو دعى القلب للسوان لم يجب
 هذا وكمنزل في الأرض يأنفه * وماله في سواها الدهر من رغب
 مافي الخيام اخو وجدير بحك إن * بثته بعض شان الحب فاعترب
 واسر في غمرات الليل مهتديا * بنفحة الطيب لا بالعود والخطب
 وعاد كل أخى جبن ومعجزة * وحارب النفس لا لتليق في الحرب
 وخذ لنفسك نوراً تستضيء به * يوم اقتسام الورى الانوار بالرتب



ان كان يوجب صبري رحمتي فرضا * بسوء حالى وحل للضنا بدني
 منحتك الروح لا أبغى لها ثمنا * الارضاك ووافقرى الى الثمن



أحن بأطراف النهار صباية * وبالليل يدعوني الهوى فأجيب



واذا لم يكن من العشق بد * فمن العجز عشق غير الجميل



فلو أن ما أسعى لعيش معجل * كفاني منه بعض ما أنا فيه
ولكنما أسعى للملك مخلد * فوا أسفًا إن لم أكن بملاقه
يا من هو من أرباب الخبرة هل عرفت قيمة نفسك انما خلقت الأكران
كلها لك * يا من غذى بلبان البر وقلب بأيدي اللطاف كل الأشياء شجرة
وأنت الثمرة وصورة وأنت المعنى وصدق وأنت الدر ومخيض وأنت الزبد *
منشور اختيارنا لك واضح الخط ولكن استخرجك ضعيف * متي رمت طلبي
فاطلبني عندك اطلبني منك تجدني قريباً ولا تطلبني من غيرك فانا أقرب اليك
منه * لو عرفت قدر نفسك عندنا ما أهنتها بالمعاصي انما أبعدنا ابليس اذ لم
يسجد لك وأنت في صلب أيك فوا عجباً كيف صالحته وتركتنا لو كان في
قلبك محبة لبان أثرها علي جسدك

ولما ادعيت الحب قالت كذبتني * ألسنت أري الأعضاء منك كواسيا
لو تغذي القلب بالحبة لذهبت عنه بطنة الشهوات
ولو كنت عذري الصبا بلم تكن * بطينا وأنساك الهوى كثرة إلا كل
لو صحت محبتك لاستوحشت ممن لا يذكرك بالحبيب : واعجبا لمن يدعى
الحبة ويحتاج الي من يذكره بمحبوبه فلا يذكركه . الا بمذكر أقل ما في الحبة
أنها لا تنسيك تذكر المحبوب

ذكرتك لا آتي نسيك ساعة * وأيسر ما في الذكر ذكر لساني
إذا سافر المحب للقاء محبوبه ركبت جنوده معه فكان الحب في مقدمة
العسكر والرجاء يحدو بالمطى والشوق يسوقها والخوف يجمعها علي الطريق فاذا
شارف قدوم بلد الوصل خرجت تقادم الحبيب باللقاء

فداو سقما بجسم أنت متلفه * وابرد غراما بقلب أنت مضره
ولا تكن علي بعد الديار الي * صبري الضعيف فصبري أنت تعلمه

تلق قلبي فقد أرسلته عجلا * الى لقائك والأشواق تقدمه
 فاذا دخل علي الحبيب افيضت عليه الخلع من كل ناحية ليمتحن أيسكن
 اليها فتكون حظه أم يكون التفاته الى من ألبسه اياها * ملأوا مراكب القلوب
 متاعا لا تنفق الا على الملك فلما هبت رياح السحر اقلعت تلك المراكب فما
 طلع الفجر الا وهي بالميناء * قطعوا بادية الهوي باقدام الجبد فما كان الا القليل
 حتي قدموا من السفر فاعقبهم الراحة في طريق التلقى فدخلوا بلد الوصل وقد
 حازوا ربح الأبد * فرغ القوم قلوبهم من الشواغل فضربت فيها سرادقات
 المحبة فاقاموا العيون تحرس تارة وترش أخرى * سرادق المحبة لا يضرب الا
 في قاع نزه فارغ

نزه فؤادك من سوانا والقنا * فجنابنا جبل لكل منه
 الصبر طلسم لكنز وصاننا * من حل ذا الطلسم فاز بكنزه
 اعرف قدر ما ضاع منك وابك بكاء من يدري مقدار الفات * لو تخيلت
 قرب الأجباب لاقمت المأتم على بعدك * لو استنشقت ريح الأسحار لافاق منك
 قلبك المحمور * من استطال الطريق ضعف مشيه

وما أنت بالمشتاق ان قلت بيننا * طوال الليالي أو بعيد المغاور
 أما علمت أن الصادق اذا هم القى بين عينيه عزمه * اذا نزل آب في القلب
 حل آذار في العين * هان سهر الحراس لما علموا أن أصواتهم بسمع الملك *
 من لاح له حال الآخرة هان عليه فراق الدنيا * اذا لاح للباشق الصيد نسي
 مألوف الكف * يا أقدام الصبر احمل يبق القليل * تذكر حلاوة الوصال يهن
 عليك مر المجاهدة * قد علمت أين المنزل فاحد لها تسر * أعلي المهمهمة من
 استعد صاحبها للقاء الحبيب * قدم التقادم بين يدي الملتقى فاستبشر بالرضا
 عند القدوم وقدموا لانفسهم * الجنة ترضي منك باداء الفرائض والنار تندفع

عنك بترك المعاصي والمحبة لا تقنع منك الا يبذل الروح * لله ما أحلي زمان
تسعى فيه أقدام الطاعة علي ارض الاشتياق * لما سلم القوم النفوس الى راض
الشرعلمها الوفاق في خلاف الطبع فاستقامت مع الطاعة كيف دارت دارت معها *

واني اذا اصطبكت رقاب مطيهم * وثور حاد بالرفاق عجول
اخالف بين الراحتين على الحشا * وأنظر آني ملثم فأميل

فصل

علمت كلبك فهو يترك شهوته في تناول ما صاده احتراماً لتعمتك وخوفاً
من سطوتك وكم علمك معلم الشرع وأنت لا تقبل * حرم صيد الجاهل والممسك لنفسه فما
ظن الجاهل الذي أعماله لهوي نفسه * جمع فيك عقل الملك وشهوة البهيمة وهوي الشيطان
وأنت للغالب عليك من الثلاثة أن غلبت شهوتك وهواك زدت علي مرتبة ملك
وان غلبك هواك وشهوتك نقصت عن مرتبة كلب * لما صاد الكلب لربه
أبيع صيده ولما أمسك علي نفسه حرم ما صاده * مصدر ما في العبد من الخير
والشر والصفات المدحوة والمذمومة من صفة المعطى المانع فهو سبحانه يصرف
عباده بين مقتضى هذين الاسمين فخط العبد الصادق من عبوديته بهما الشكر
عند العطاء والافتقار عند المنع فهو سبحانه يعطيه ليشكره ويمنعه ليفتقر اليه فلا
يزال شكورا فقيرا *

قوله تعالى (وكان الكافر على ربه ظهيراً) هذا من ألطف خطاب القرآن
وأشرف معانيه وان المؤمن دائماً مع الله علي نفسه وهواه وشيطانه وعدوره:
وهذا معنى كونه من حزب الله وجنده وأوليائه فهو مع الله علي عدوه الداخل
فيه والخارج عنه يحاربهم ويعاديهم ويفضهم له سبحانه كما يكون خواص
الملك معه علي حرب اعدائه والبعيدون منه فارغون من ذلك غير مهتمين به

والكافر مع شيطانه ونفسه وهواه علي ربه * وعبارات السلف علي هذا تدور *
ذكر ابن أبي حاتم عن عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير قال عونا للشيطان
علي ربه بالعداوة والشرك * وقال ليث عن مجاهد قال يظاهر الشيطان علي
معصية الله يعينه عليها: وقال زيد بن أسلم ظهيراً أسيء موالياً : والمعني أنه يوالي
عدوه علي معصيته والشرك به فيكون مع عدوه معينا له علي مساخط ربه *

فاللمعة الخاصة التي للمؤمن مع ربه وإلهه قد صارت لهذا الكافر والفاجر
مع الشيطان ومع نفسه وهواه وقربانه ولهذا صدر الآية بقوله (ويعبدون من
دون الله مالا ينفعهم ولا يضرهم) وهذه العبادة هي الموالاة والمحبة والرضا
بمعبودهم المتضمنة لمعيتهم الخاصة فظاهروا اعداء الله علي معاداته ومخالفته ومساخطه
بمخلاف وليه سبحانه فانه معه علي نفسه وشيطانه وهواه : وهذا المعني من كنوز
القرآن لمن فهمه وعقله وبالله التوفيق *

قوله تعالى (والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا)
قال مقاتل اذا وعظوا بالقرآن لم يقعوا عليه صما لم يسمعه وعميانا لم يبصروه
ولكنهم سمعوا وأبصروا وأيقنوا به : وقال ابن عباس لم يكونوا عليها صما
وعميانا بل كانوا خائفين خاشعين: وقال الكلبي يخرجون عليها سمعا وبصرا: وقال
الفراء واذا تلي عليهم القرآن لم يقعدوا على حالهم الاولي كأنهم لم يسمعه
فذلك الخرور (١) : وسمعت العرب تقول قعد يشتني كقولك قام يشتني
واقبل يشتني والمعني على ما ذكر لم يصيروا عندها صما وعميانا * وقال الزجاج
المعني اذا تليت عليهم خروا سجدا وبكيا سامعين مبصرين كما أمروا به *
وقال ابن قتيبة أي لم يتغافلوا عنها كأنهم صم لم يسمعوها وعي لم يروها (قلت)
هنا أمران ذكر الخرور وتسليط النبي عليه وهل هو خرور القلب أو خرور البدن

للسجود وهل لمعنى لم يكن خرودهم عن صميم وعمه فليهم عليها خروور بالقلب خضوعاً أو بالبدن سجوداً أو ليس هناك خروور وعبر به عن القعود *

أصول المعاصي كلها كبارها وصغارها ثلاثة : تعلق القلب بغير الله : وطاعة القوة الغضبية : والقوة الشهوانية وهى الشرك والظلم والفواحش فغاية التعلق بغير الله شرك وإن يدعى معه اله آخر : وغاية طاعة القوة الغضبية القتل : وغاية طاعة القوة الشهوانية الزنا ولهذا جمع الله سبحانه بين الثلاثة فى قوله (والذين لا يدعون مع الله الهاً آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون) وهذه الثلاثة يدعو بعضها الى بعض فالشرك يدعو الى الظلم والفواحش كما أن الاخلاص والتوحيد يصرفهما عن صاحبه قال تعالى (كذلك انصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين) فالسوء العشق والفحشاء الزنا : وكذلك الظلم يدعو الى الشرك والفاحشة فان الشرك أظلم الظلم كما أن أعدل العدل التوحيد : فالعدل قرين التوحيد والظلم قرين الشرك ولهذا يجمع سبحانه بينهما : أما الاول فى قوله (شهد الله أنه لا آله الا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط) وأما الثانى فكقوله تعالى (ان الشرك لظلم عظيم) والفاحشة تدعو الى الشرك والظلم ولا سيما اذا قويت ارادتها ولم تحصل الا بنوع من الظلم والاستعانة بالسحر والشيطان : وقد جمع سبحانه بين الزنا والشرك فى قوله (الزانى لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين) فهذه الثلاثة يجرب بعضها الى بعض ويأمر بعضها ببعض ولهذا كلما كان القلب أضعف توحيداً وأعظم شركاً كان أكثر فاحشة وأعظم تعلقاً بالصور وعشقا لها : ونظير هذا قوله تعالى (وما أوتيتم من شئ فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون . والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون) فاخبر أن ما عند الله خير لمن آمن به وتوكل عليه وهذا هو التوحيد : ثم قال (والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش) فهذا اجتناب داعى القوة الشهوانية ثم قال (م ١١ — فوائد)

(واذا ما غضبوا هم يغفرون) فهذا مخالفة القوة الغضبية فجمع بين التوحيد والعفة والعدل التي هي جماع الخير كله.

فائدة

هجر القرآن أنواع : أحدها هجر سماعه والايان به والاصغاء اليه * والثاني هجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه وان قرأه وآمن به * والثالث هجر تحكيمه والتحاكم اليه في أصول الدين وفروعه واعتقاده أنه لا يفيد اليقين وأن أدلته لفظية لا تحصل العلم والرابع هجر تدبيره وتفهمه ومعرفة ما أراد المتكلم به منه * والخامس هجر الاستشفاء والتداوي به في جميع أمراض القلوب وأدائها فيطلب شفاء ذاته من غيره وبهيجر التداوي به وكل هذا داخل في قوله (وقال الرسول يارب ان قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا) وان كان بعض المهجر أهون من بعض : وكذلك الحرج الذي في الصدور منه فانه تارة يكون حرجا من إنزاله وكونه حقا من عند الله وتارة يكون من جهة التكلم به أو كونه مخلوقا من بعض مخلوقاته اهم غيره أن تكلم به وتارة يكون من جهة كفايته وعدمها وأنه لا يكفي العباد بل هم محتاجون معه الى العقولات والاثيسة أو الآراء أو السياسات: وتارة يكون من جهة دلالة وما أريد به حقائقه المفهومة منه عند الخطاب أو أريد به تأويلها واخراجها عن حقائقها الي تأويلات مستكرهة مشتركة: وتارة يكون من جهة كون تلك الحقائق وان كانت مرادة فهي ثابتة في نفس الامر أو اهم انها مرادة لضرب من المصلحة : فكل هؤلاء في صدورهم حرج من القرآن وهم يعلمون ذلك من نفوسهم ويجدون في صدورهم ولا نجد مبتدعا في دينه قط الا وفي قلبه حرج من الآيات التي تخالف بدعته كما أنك لا تجد ظالما نجرا الا وفي صدره حرج من الآيات التي تحول بينه وبين ارادته فتدبر هذا المعنى ثم ارض لفسك بما نشاء.

فائدة

كمال النفس المطلوب ما تضمن أمرين: أحدهما أن يصير هيئة راسخة وصفة لازمة لها : الثاني أن يكون صفة كمال في نفسه فاذا لم يكن كذلك لم يكن كمالا فلا يليق بمن يسعى في كمال نفسه المانسة عليه ولا الأسف على فوته وذلك ليس الا لمعرفة بارئها وفاطرها ومعبودها والمها الحق الذي لا صلاح لها ولا نعيم ولا لذة الا بمعرفته وارادة وجهه وسلوك الطريق الموصلة اليه والى رضاء وكرامته وأن تعتاد ذلك فيصير لها هيئة راسخة لازمة وما عدا ذلك من العلوم والارادات والأعمال فهي بين مالا ينفعها ولا يكلها وما يعود بضررها ونقصها وألها ولا سيما اذا صار هيئة راسخة لها فانها تعذب وتألّم به بحسب لزومها وأما الفضائل المنفصلة عنها كالملايس والمراكب والمساكن والجاه والمال فتلك في الحقيقة عوارا غير هامة ثم يرجع فيها المعير فتألّم وتعذب برجوعه فيها بحسب تعلقها بها ولا سيما اذا كانت هي غاية كمالها فاذا سلبتها أحضرت أعظم النقص والألّم والخسرة فليتدبر من يريد سعادة نفسه ولذتها هذه النكتة فاكثر هذا الخلق انما يسعون في حرمان نفوسهم وألها وحسرتها ونقصها من حيث يظنون أنهم يريدون سعادتها ونعيمها فاذتها بحسب ما حصل لها من تلك المعرفة والمحبة والسلوك وألها وحسرتها بحسب ما فاتها من ذلك ومتي عدم ذلك وخلا منه لم يبق فيه الا القوى البدنية النفسانية التي بها يأكل ويشرب وينكح ويفضب وينال سائر لذاته ومرافق حياته ولا يلحقه من جهتها شرف ولا فضيلة بل خساسة ومنقصة اذ كان انما يناسب بتلك القوى البهائم ويتصل بجنسها ويدخل في جملتها ويصير كأحدها وربما زادت في تناولها عليه واختصت دونه بسلامة عاقبتها والأمن من جلب الضرر عليها فكمال تشارك فيه البهائم وتزيد عليك وتحتص عنك فيه بسلامة العاقبة حقيق أن تهجره الى الكمال الحقيق الذي لا كمال سواه وبالله التوفيق *

فائدة جلييلة

إذا أصبح العبد وأمسي وليس هم إلا الله وحده تحمل الله سبحانه خوائجه
كلها وحمل عنه كل ما أهمه: وفرغ قلبه لمحبهته: ولسانه لذكره: وجوارحه لطاعته: وان
أصبح وأمسي والدنيا هم حمله الله همومها وغمومها وأنكادها ووكله الى نفسه
فشغل قلبه عن محبته بمحبة الخلق ولسانه عن ذكره بذكرهم وجوارحه عن طاعته
بخدمتهم وأشغالهم فهو يكدر كدح الوحش في خدمة غيره كالكبير ينفع بطنه
ويعصر أضلاعه في نفع غيره بكل من أعرض عن عبودية الله وطاعته ومحبهته بلى
بعبودية المخلوق ومحبهته وخدمته: قال تعالى (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له
شيطانا فهو له قرين) قال سفيان بن عيينة لا تأتون بمثل مشهور للعرب الا جتكم
به من القرآن فقال له قائل تأين في القرآن: اعط أخاك ثمرة فان لم يقبل فاعطه
جمرة: فقال في قوله (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا) الآية.

فائدة

العلم نقل صورة المعلوم من الخارج وإثباتها في النفس والعمل نقل صورة
علمية من النفس وإثباتها في الخارج فان كان الثابت في النفس مطابقا للحقيقة في
نفسها فهو علم صحيح وكثيراً ما يثبت ويترأى في النفس صور ليس لها وجود
حقيقي فيظنها الذي قد أثبتت في نفسه علما وانما هي مقدرة لاحقيقة لها: وأكثر
علوم الناس من هذا الباب: وما كان منها مطابقا للحقيقة في الخارج فهو نوعان
نوع تكمل النفس بادرأكه والعلم به وهو العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله
وكتبه وأمره ونهيه: ونوع لا يحصل للنفس به كمال وهو كل علم لا يضر
الجليل به فانه لا ينفع العلم به وكان النبي ﷺ يستعين بالله من علم لا ينفع وهذا
حال أكثر العلوم الصحيحة المطابقة التي لا يضر الجليل بها شيئا كالعلم بالفلك

ودقائقه ودرجاته وعدد السكواك ومقاديرها والعلم بعدد الجبال والوائها ومساحاتها ونحو ذلك فشرف العلم بحسب شرف معلومه وشدة الحاجة اليه وليس ذلك الا العلم بالله وتوابع ذلك : واما العلم فأفته عدم مطابقته لمراد الله الدينى الذى يحبه الله ويرضاه وذلك يكون من فساد العلم تارة ومن فساد الارادة تارة ففساده من جهة العلم ان يعتقد ان هذا مشروع محبوب لله وليس كذلك او يعتقد انه يقر به الى الله وان لم يكن مشروعاً فيظن انه يتقرب الى الله بهذا العمل وان لم يعلم انه مشروع * وأما فساد من جهة القصد فان لا يقصد به وجه الله والدار الآخرة بل يقصد به الدنيا والخلق وهاتان الآفتان في العلم والعمل لاسبيل الى السلامة منهما الا بمعرفة ما جاء به الرسول في باب العلم والمعرفة واردة وجه الله والدار الآخرة في باب القصد والارادة فمتى خلا من هذه المعرفة وهذه الارادة فسد علمه وعمله : والايمن واليقين يورثان صحة المعرفة وصحة الارادة وهما يورثان الايمان ويمدانه : ومن هاتين انحراف اكثر الناس عن الايمان لانحرافهم عن صحة المعرفة وصحة الارادة ولا يتم الايمان الا بتلقى المعرفة من مشكاة النبوة وتجريد الارادة عن شوائب الهوى واردة الخلق فيكون علمه مقتبساً من مشكاة الوحي وارادته لله والدار الآخرة فهذا أصح الناس علماً وعملاً وهو من الأئمة الذين يهدون بامر الله ومن خلفاء رسوله في أمته *

قاعدة

الايمان له ظاهر وباطن وظاهره قول اللسان وعمل الجوارح وباطنه تصديق القلب وانقياده ومحبته فلا ينفع ظاهر لا باطن له وان حقن به الدماء وعصم به المال والذرية ولا يجزىء باطن لا ظاهر له الا اذا تعذر بعجز أو إكراه وخوف هلاك : فتخلف العمل ظاهراً مع عدم المانع دليل على فساد الباطن وخلوه من الايمان ونقصه دليل نقصه وقوته دليل قوته * فالايمن قلب الاسلام ولبه :

واليقين قلب الايمان ولبه : وكل علم وعمل لا يزيد الايمان واليقين قوة فمدخول :
وكل ايمان لا يبعث علي العمل فمدخول *

قاعدرة

التوكل على الله نوعان . احدهما توكل عليه في جلب حوائج العبد وحفظه
الدينيّة او دفع مكروهاته ومصائبه الدينيّة : والثاني التوكل عليه في حصول
ما يحبه هو ويرضاه من الايمان واليقين والجهد والدعوة اليه : وبين النوعين من
الفضل ما لا يحصىه الا الله فمتي توكل عليه العبد في النوع الثاني حق توكله كفاء
النوع الأول تمام الكفاية ومتي توكل عليه في النوع الأول دون الثاني كفاء
أيضا لكن لا يكون له عاقبة التوكل عليه فيما يحبه ويرضاه * فاعظم التوكل عليه
التوكل في الهداية وتجريد التوحيد ومتابعة الرسول وجهاد أهل الباطل فهذا توكل
الرسل وخاصة اتباعهم *

والتوكل تارة يكون توكل اضطرار واجاء بحيث لا يجد العبد ملجأ ولا وزراً
الا التوكل كما اذا ضاقت عليه الأسباب وضافت عليه نفسه وظن أن لا ملجأ من
الله الا اليه وهذا لا يتخلف عنه الفرج والتيسير البتة : وتارة يكون توكل اختيار
وذلك التوكل مع وجود السبب المفضي الى المراد فان كان السبب مأموراً به ذم
على تركه وان قام بالسبب وترك التوكل ذم على تركه أيضاً فانه واجب باتفاق
الائمة ونص القرآن والواجب القيام بهما والجمع بينهما : وان كان السبب محرماً
حرم عليه مباشرته وتوحد السبب في حقه في التوكل فلم يبق سبب سواه فان
التوكل من أقوى الأسباب في حصول المراد ودفع المكروه بل هو أقوى الأسباب
على الاطلاق : وان كان السبب مباحاً نظرت هل يضعف قيامك به التوكل أو
لا يضعفه فان أضعفه وفرق عليك قلبك وشتت همك فتركه أولى وان لم يضعفه
فبمباشرته أولى لان حكمة أحكم الحاكمين اقتضت ربط المسبب به فلا تعطل حكمته

مهما أمكنك القيام بها ولا سيما اذا فعلته عبودية فتكون قد أتيت بعبودية القلب بالتوكل وعبودية الجوارح بالسبب المنوى به القربة والذي يحقق التوكل القيام بالأَسباب المأمور بها فمن عطلها لم يصح توكله كما أن القيام بالأَسباب المفضية الى حصول الخير يحقق رجاء فمن لم يقم بها كان رجاءه تمنياً كما أن من عطلها يكون توكله عجزاً وعجزه توكلًا *

وسر التوكل وحقيقته هو اعتماد القلب على الله وحده فلا يضره مباشرة الأسباب مع خلو القلب من الاعتماد عليها والركون اليها كما لا ينفعه قوله توكلت على الله مع اعتماده على غيره وركونه اليه وثقته به فتوكل اللسان شيء وتوكل القلب شيء. كما أن توبة اللسان مع اصرار القلب شيء وتوبة القلب وان لم ينطق اللسان شيء : فقول العبد توكلت على الله مع اعتماد قلبه على غيره مثل قوله تبت الى الله وهو مصر على معصيته مرتكب لها *

فايدة

الجاهل يشكو الله الى الناس وهذا غاية الجهل بالمشكو والمشكوا اليه فانه لو عرف ربه لما شكاه ولو عرف الناس لما شكوا اليهم ورأى بعض السلف رجلاً يشكو الى رجل فافقه وضرورته فقال يا هذا والله ما زدت على ان شكوت من يرحمك الى من لا يرحمك وفي ذلك قيل :

واذا شكوت الى ابن آدم انما * تشكو الرحيم الى الذي لا يرحم
والعارف انما يشكو الى الله وحده : وأعرف العارفين من جعل شكواه الى الله من نفسه لا من الناس فهو يشكو من موجبات تسليط الناس عليه فهو ناظر الى قوله تعالى (وما أصابكم من مصيبة فَمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ) وقوله (وما أصابك من سيئة فمن نفسك) وقوله (أولما أصابكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أني هذا

قل هو من عند أنفسكم) فالمراتب ثلاثة: أحسب أن تشكو الله الى خلقه: وأعلاها أن تشكو نفسك اليه: وأوسطها أن تشكو خلقه اليه ۞

قاعدة جليلة

قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحییکم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وانه اليه تمشرون) فتضمنت هذه الآية أموراً : أحدها ان الحياة النافعة انما تحصل بالاستجابة لله ورسوله فمن لم تحصل له هذه الاستجابة فلا حياة له وان كانت له حياة بهيمية مشتركة بينه وبين أرذل الحيوانات: فالحياة الحقيقية الطيبة هي حياة من استجاب لله والرسول ظاهراً وباطناً فهو لا هم الا حياء وان ماتوا وغيرهم أموات وان كانوا احياء الا بدان : وهذا كان أكمل الناس حياة أكملهم استجابة لدعوة الرسول فان كل مادعا اليه ففيه الحياة فمن فاته جزء منه فاته جزء من الحياة وفيه من الحياة بحسب ما استجاب للرسول قال مجاهد (لما يحييكم) يعني للحق : وقال قتادة هو هذا القرآن فيه الحياة والثقة والنجاة والعصمة في الدنيا والآخرة : وقال السدي هو الاسلام أحياءهم به بعد موتهم بالكفر : وقال ابن اسحق وعروة بن الزبير واللفظ له (لما يحييكم) يعني للحرب التي أعزكم الله بها بعد الذل : وقواكم بعد الضعف : ومنعكم بها من عدوكم بعد القهر منهم لكم وهذه كل عبارات عن حقيقة واحدة وهي القيام بما جاء به الرسول ظاهراً وباطناً : قال الواحدي والأكثر على ان معنى قوله (لما يحييكم) هو الجهاد وهو قول ابن اسحق واختيار أكثر أهل المعاني : قال الفراء اذا دعاكم الي احياء أمركم بجهاد عدوكم يريد ان أمرهم انما يقوى بالحرب والجهاد فلوتركو الجهاد ضعف أمرهم واجترأ عليهم عدوهم ۞ ﴿ قلت ﴾ الجهاد من أعظم ما يحييهم به في الدنيا وفي البرزخ وفي الآخرة أما في الدنيا فان قوتهم وقهرهم لعدوهم بالجهاد: وأما في البرزخ فقد قال تعالى (ولا تحسبن

الذين قتلوا في سبيل أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون) وأما في الآخرة فإن حظ المجاهدين والشهداء من حياتها ونعيمها أعظم من حظ غيرهم : ولهذا قال ابن قتيبة (لما يحْيِيكم) يعني الشهادة : وقال بعض المفسرين (لما يحْيِيكم) يعني الجنة فانها دار الحيوان وفيها الحياة الدائمة الطيبة حكاه أبو علي الجرجاني : والآية تناول هذا كله فإن الإيمان والاسلام والقرآن والجهاد يحْيِي القلوب الحياة الطيبة وكما الحياة في الجنة والرسول داع الى الإيمان وإلى الجنة فهو داع الى الحياة في الدنيا والآخرة والانسان مضطر الى نوعين من الحياة حياة بدنه التي بها يدرك النافع والضار ويؤثر ما ينفعه على ما يضره ومتى نقصت فيه هذه الحياة ناله من الألم والضعف بحسب ذلك ولذلك كانت حياة المريض والمحزون وصاحب الهم والغم والخوف والفقر والذل دون حياة من هو معافى من ذلك وحياة قلبه وروحه التي بها يميز بين الحق والباطل والغي والرشاد والهوى والضلال فيختار الحق على ضده فتفيدة هذه الحياة قوة التمييز بين النافع والضار في العلوم والارادات والأعمال وتفيدة قوة الإيمان والارادة والحب للحق وقوة البغض والكراهة للباطل : فشعوره وتمييزه وحبه ونفرته بحسب نصيبه من هذه الحياة كما ان البدن الحَيّ يكون شعوره واحساسه بالنافع والمؤلم أتم ويكون ميله الى النافع ونفرته عن المؤلم أعظم فهذا بحسب حياة البدن وذاك بحسب حياة القلب فاذا بطلت حياته بطل تمييزه وان كان له نوع تمييز لم يكن فيه قوة يؤثر بها النافع على الضار كما ان الانسان لا حياة له حتي ينفخ فيه الملك الذي هو رسول الله من روحه فيصير حياً بذلك النفخ وكان قبل ذلك من جملة الأموات فكذلك لا حياة لروحه وقلبه حتى ينفخ فيه الرسول ﷺ من الروح الذي ألقى اليه قال تعالى (ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده) : وقال (يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده) وقال (وكذلك أوحينا اليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا) فاخبر أن وحيه روح ونور فالحياة والاستنارة موقوفة على نفخ الرسول (م ١٢ — فوائد)

الملكي فمن أصابه نفخ الرسول الملكي ونفخ الرسول البشري حصلت له الحيانان :
ومن حصل له نفخ الملك دون نفخ الرسول حصلت له احدى الحياتين وفاته
الاخرى قال تعالى (أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس
كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها) فجمع له بين النور والحياة كما جمع لمن
أعرض عن كتابه بين الموت والظلمة : قال ابن عباس وجميع المفسرين كان كافراً
ضالاً فهديناه ۞

وقوله (وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس) يتضمن امورا : أحدها انه
يمشي في الناس بالنور وهم في الظلمة فمثله ومثلهم كمثله قوم أظلم عليهم الليل
فضلوا ولم يهتدوا للطريق وآخر معه نور يمشي به في الطريق ويراهوا ويرى ما يحذره
فيها : وثانيها انه يمشي فيهم بنوره فهم يقتبسون منه لحاجتهم الى النور : وثالثها
انه يمشي بنوره يوم القيامة على الصراط اذا بقى اهل الشرك والنفاق في ظلمات
شرهم ونفاقهم ۞

وقوله (واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه) المشهور في الآية انه يحول
بين المؤمن وبين الكفر وبين الكافر وبين الايمان ويحول بين اهل طاعته
وبين معصيته وبين اهل معصيته وبين طاعته وهذا قول ابن عباس وجهور
المفسرين : وفي الآية قول آخر ان المعنى انه سبحانه قريب من قلبه لانه لا تخفى
عليه خافية فهو بينه وبين قلبه : ذكره الواحدي عن قتادة وكان هذا النسب بالسياق
لأن الاستجابة اصلها بالقلب فلا تنفع الاستجابة بالبدن دون القلب فان الله
سبحانه بين العبد وبين قلبه فيعلم هل استجاب له قلبه وهل أضمر ذلك أو أضمر
خلافه : وعلي القول الاول فوجه المناسبة انكم ان تناقلتم عن الاستجابة وأبطالتم
عنها فلا تأمنوا أن الله يحول بينكم وبين قلوبكم فلا يمكنكم بعد ذلك من الاستجابة
عقوبة لكم على تركها بعد وضوح الحق واستبانته فيكون كقوله (ونقلب أفئدتهم
وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة) وقوله (فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم) وقوله

(فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل) ففي الآية تحذير عن ترك الاستجابة بالقلب وان استجاب بالجوارح : وفي الآية سر آخر وهو أنه جمع لهم بين الشرع والأمر به وهو الاستجابة وبين القدر والایمان به فهي كقوله (لمن شاء منكم أن يستقيم وما تشاؤون الا أن يشاء الله رب العالمين) وقوله (فمن شاء ذكره وما يذكرون الا أن يشاء الله) والله أعلم *

فائدة جليلة

قوله تعالى (كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسي أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسي أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون) وقوله عز وجل (وان كرهتموهن فعسي أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً) فالآية الأولى في الجهاد الذي هو كل القوة الغضبية : والثانية في النكاح الذي هو كل القوة الشهوانية فاهبذ يكره مواجهة عدوه بقوته الغضبية خشية على نفسه منه وهذا المكروه خير له في معاشه ومعاده: ويحب المودة والمشاركة وهذا المحبوب شر له في معاشه ومعاده : وكذلك يكره المرأة لوصف من أوصافها وله في أمساكها خير كثير لا يعرفه ويحب المرأة لوصف من أوصافها وله في أمساكها شر كثير لا يعرفه : فالإنسان كما وصفه به خالقه (ظلوم جهول) فلا ينبغي أن يجعل المعيار على ما يصره وينفعه ميله وحبه ونفرته وبغضه بل المعيار على ذلك ما اختاره الله له بأمره ونهيهِ: فأنفع الأشياء له على الإطلاق طاعة ربه بظاهره وباطنه وأضر الأشياء عليه على الإطلاق معصيته بظاهره وباطنه فإذا قام بطاعته وعبوديته مخلصاً له فكل ما يجري عليه مما يكرهه يكون خيراً له وإذا تخلى عن طاعته وعبوديته فكل ما هو فيه من محبوب هو شر له فمن صحت له معرفة ربه والفقہ في أسمائه وصفاته علم يقيناً ان المكروهات التي تصيبه والحن التي تنزل به فيها

ضروب من المصالح والمنافع التي لا يحصيها علمه ولا فكرته بل مصلحة العبد فيما يكره أعظم منها فيما يحب .

فعامة مصالح النفوس في مكروهاها كما ان عامة مضارها وأسباب هلكتها في محبوباتها فانظر الى غارس جنة من الجنات خبير بالفلاحة غرس جنة وتعاهداها بالسقى والاصلاح حتي أثمرت أشجارها فاقبل عليها يفصل أوصالها ويقطع أغصانها لعله انها لو خليت على حالها لم تطب ثمرتها فيطعمها من شجرة طيبة الثمرة حتي اذا التحمت بها واتحدت وأعطت ثمرتها اقبل نعامها ويقطع أغصانها الضعيفة التي تذهب قوتها ويذيقها ألم القطع والحديد لمصلحتها وكلها لتصلح ثمرتها ان تكون بحضرة الملوك ثم لا يدعها ودواعي طبعها من الشرب كل وقت بل يعطشها وقتا ويسقيها وقتا ولا يترك الماء عليها دائما وان كان ذلك انضر لورقها واسرع لبنائها ثم يعمد الى تلك الزينة التي زينت بها من الأوراق فيلقى عنها كثيرا منها لان تلك الزينة تحول بين ثمرتها وبين كمال نفعها واستوائها كما في شجر العنب ونحوه فهو يقطع اعضاءها بالحديد ويلقى عنها كثيرا من زينتها وذلك عين مصلحتها فلو انها ذات تميز وادراك كالحيوان لتوهمت ان ذلك إفساد لها واضرار بها وانما هو عين مصلحتها *

وكذلك الأئب الشفيق علي ولده العالم بمصلحته اذا رأى مصلحته في اخراج الدم الفاسد عنه بضع جلده وقطع عروقه واذاقه الألم الشديد : وان رأى شفاؤه في قطع عضو من أعضائه أبانه عنه كل ذلك رحمة به وشفقة عليه : وان رأى مصلحته في ان يمسك عنه العطاء لم يعطه ولم يوسع عليه لعله ان ذلك أكبر الأسباب الى فسادة وهلاكه : وكذلك يمنعه كثيرا من شهواته حمية له ومصلحة لا بخلا عليه . فاحكم الحماكين وأرحم الراحمين وأعلم العالمين الذي هو أرحم بعبادة منهم بأنفسهم ومن آبائهم وأمهاتهم اذا أنزل بهم ما يكرهون كان خيرا لهم من أن لا ينزله بهم نظرا منهم لهم واحسانا اليهم ولطفاً بهم ولو مكثوا من الاختيار لأنفسهم

لعجزوا عن القيام بمصالحهم علماً واردة وعملاً لكنه سبحانه تولى تدبير أمورهم بموجب علمه وحكمته ورحمته أحبوا أم كرهوا فعرف ذلك الموقنون بأسمائه وصفاته فلم يتهموه في شيء من أحكامه وخفي ذلك على الجاهل به وبأسمائه وصفاته فنازعوه تدبيره وقدحوا في حكمته ولم ينقادوا لحكمه وعارضوا حكمه بعقولهم الفاسدة وآرائهم الباطلة وسياساتهم الجائرة فلا لربهم عرفوا ولا لمصالحهم حصلوا والله الموفق.

ومتى ظفر العبد بهذه المعرفة سكن في الدنيا قبل الآخرة في جنة لا يشبه نعيمها الا نعيم جنة الآخرة فانه لا يزال راضياً عن ربه والرضا جنة الدنيا ومستراح العارفين فانه طيب النفس بما يجري عليه من المقادير التي هي عين اختيار الله له وطمانينتها الى أحكامه الدينية وهذا هو الرضا بالله رباً وبالاسلام ديناً وبمحمد رسولا وماذا طعم الايمان من لم يحصل له ذلك وهذا الرضا هو بحسب معرفته بعدل الله وحكمته ورحمته وحسن اختياره فكلما كان بذلك أعرف كان به أراضى ففضاء الرب سبحانه في عبده دائر بين العدل والمصاحبة والحكمة والرحمة لا يخرج عن ذلك البتة كما قال عليه السلام في الدعاء المشهور «اللهم اني عبدك ابن عبدك ابن أمتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي وغنى ما قلنا أحد قط الا أذهب الله همه وغمه وأبدله مكانه فرجاً قالوا أفلا نتعلمن يا رسول الله قال بلى ينبغي لمن يسمعهم أن يتعلمهم» *

والمقصود قوله «عدل في قضاؤك» وهذا يتناول كل قضاء يقضيه على عبده من عقوبة أو ألم وسبب ذلك فهو الذي قضى بالسبب وقضى بالمسبب وهو عدل في هذا القضاء وهذا القضاء خير المؤمن كما قال عليه السلام «والذي نفسي بيده لا يقضي الله للمؤمن قضاء الا كان خيراً له وليس ذلك الا للمؤمن» قال العلامة ابن القيم فسألت شيخنا هل يدخل في ذلك قضاء الذنب فقال نعم بشرطه

فاجل في لفظة بشرطه ما يترتب على الذنب من الآثار المحبوبة لله من التوبة والانكسار والندم والخضوع والذل والبكاء وغير ذلك *

فائدة

لا تتم الرغبة في الآخرة الا بالزهد في الدنيا ولا يستقيم الزهد في الدنيا الا بعد نظرين صحيحين: نظر في الدنيا وسرعة زوالها وفنائها واضمحلالها ونقصها وخستها وألم المزاحمة عليها والحرص عليها وما في ذلك من الغصص والنقص والآنكاد وآخر ذلك الزوال والانقطاع مع ما يعقب من الحسرة والأسف فطالبها لا ينفك من هم قبل حصولها وهم في حال الظفر بها وغم وحزن بعد فواتها فهذا أحد النظرين *

﴿النظر الثاني﴾ النظر في الآخرة وأقبالها ومجيئها ولا بد ودوامها وبقائها وشرف ما فيها من الخيرات والمسرات والتفاوت الذي بينه وبين ما ههنا فهي كما قال الله سبحانه (والآخرة خير وأبقى) فهي خيرات كاملة دائمة وهذه خيالات ناقصة منقطعة مضمحلة فإذا تم له هذان النظران أثر ما يقتضي العقل إثاره وزهد فيما يقتضي الزهد فيه فكل أحد مطبوع على أن لا يترك النفع العاجل واللذة الحاضرة الى النفع الآجل واللذة الغائبة المنتظرة الا اذا تبين له فضل الآجل على العاجل وقويت رغبته في الأعلى الا فضل فاذا أثر القاني الناقص كان ذلك اما لعدم تبين الفضل له وأما لعدم رغبته في الافضل *

وكل واحد من الامرين يدل على ضعف الايمان وضعف العقل والبصيرة فان الراغب في الدنيا الحريص عليها لا يؤثر لما اما أن يصدق بان ما هناك أشرف وأفضل وأبقى وإما أن لا يصدق فان لم يصدق بذلك كان عادما للايمان رأساً وان صدق بذلك ولم يؤثره كان فاسد العقل سيء الاختيار لنفسه وهذا تقسيم حاضر ضروري لا ينفك العبد من أحد القسمين منه فايثار الدنيا على الآخرة

أما من فساد في الايمان واما من فساد في العقل وما أكثر ما يكون منهما ولهذا نبذها رسول الله ﷺ وراء ظهره هو وأصحابه وصرخوا عنها قلوبهم واطرحوها ولم يألفوها وهجروها ولم يميلوا اليها وعدوها سجنًا لا جنة فزهدوا فيها حقيقة الزهد ولو أرادوها لآلوا منها كل محبوب ولو صلوا منها الى كل مرغوب فقد عرضت عليه مفاتيح كنوزها فردها وفاضت على أصحابه فأثروا بها ولم يبيعوا حظهم من الآخرة بها وعادوا أنها معبر ومر لا دار مقام ومستقر وانهادار عبور لا دار سرور وانها سحابة صيف تنقشع عن قليل وخيال طيف ما استتم الزيارة حتي أذن بالرحيل قال النبي ﷺ «مالي وللدنيا انما أنا كراكب قال في ظل شجرة ثم راح وتركها» وقال «ما الدنيا في الآخرة الا كما يدخل أحدكم أصبعه في البيم فلينظر بما ترجع» وقال خالقها سبحانه (انما مثل حياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما يأكل الناس والأنعام حتى اذا أخذت الارض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلًا أو نهارًا فجعلناها حصيدًا كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لعلهم يتفكرون والله يدعو الي دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم) فأخبر عن خسة الدنيا وزهد فيها وأخبر عن دار السلام ودعا اليها: وقال تعالى (واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فأصبح هشيمًا تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرًا المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابًا وخير أملاً) وقال تعالى (اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطامًا وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور) وقال تعالى (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقنايير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن

المآب قل أونبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد) وقال تعالى (وفرحوا بالحياة الدنيا وما الحياة الدنيا في الآخرة الا متاع) *

وقد تواعد سبحانه أعظم الوعيد لمن رضي بالحياة الدنيا وأطمأن بها وغفل عن آياته ولم يرج لقاء فقال (ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون اولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون) وغير سبحانه من رضى بالدنيا من المؤمنين فقال (يا أيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض ارضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل) وعلي قدر رغبة العبد في الدنيا ورضاه بها يكون تشافله عن طاعة الله وطلب الآخرة: وبكفى في الزهد في الدنيا قوله تعالى (أفرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون) وقوله (ويوم نحشرهم كأن لم يلبثوا الا ساعة من النهار يتعارفون بينهم) وقوله (كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك الا القوم الفاسقون) وقوله تعالى (يسألونك عن الساعة أيان مرساها فيم أنت من ذكرها الى ربك منتهاها إنما أنت منذر من يخشاها كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية أو ضحاها) وقوله (ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة) وقوله (قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم فاسأل العادين قال ان لبثتم الا قليلا لو انكم كنتم تعلمون) وقوله (يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقاً يتخافتون بينهم ان لبثتم الا عسراً نحن أعلم بما يقولون اذ يقول أمثلهم طريقة ان لبثتم الا يوماً) والله المستعان وعليه التكلان *

قاعدة

أساس كل خير أن تعلم أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن فتبتين حينئذ أن الحسنات من نعمه فتشكره عليها وتتضرع إليه أن لا يقطعها عنك وأن السيئات من خذلانه وعقوبته فتبتل إليه أن يحول بينك وبينها ولا يهلكك في فعل الحسنات وترك السيئات إلى نفسك وقد أجمع العارفون على أن كل خير فأصله بتوفيق الله للعبد وكل شر فأصله خذلانه لعبدته: وأجمعوا أن التوفيق أن لا يهلكك الله إلى نفسك وأن الخذلان هو أن يخلي بينك وبين نفسك فإذا كان كل خير فأصله التوفيق وهو بيد الله لا بيد العبد فمفتاحه الدعاء والافتقار وصدق الهجا والرغبة والرهبة إليه فتي أعطى العبد هذا المفتاح فقد أراد أن يفتح له ومني أضله عن المفتاح بقى باب الخير مرتجا دونه»

قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أني لا أحمل هم الاجابة ولكن هم الدعاء فإذا أتممت الدعاء فإن الاجابة معه: وعلى قدرنية العبد وهمته ومراده ورغبته في ذلك يكون توفيقه سبحانه واعاته: فالمعونة من الله تنزل على العباد على قدر همهم وثباتهم ورغبتهم ورهبتهم: والخذلان ينزل عليهم على حسب ذلك فالله سبحانه أحكم الحاكمين وأعلم العالمين يضع التوفيق في مواضعه اللاتقة به والخذلان في مواضعه اللاتقة به وهو العليم الحكيم وما أتى من أتى الا من قبل أضاعة الشكر وإهمال الافتقار والدعاء ولا ظفر من ظفر بمشيئة الله وعونه الا بقيامه بالشكر وصدق الافتقار والدعاء: وملاك ذلك الصبر فانه من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد فإذا قطع الرأس فلا بقاء للجسد * ما ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب والبعد عن الله * خلقت النار لاذابة القلوب القاسية * أبعد القلوب من الله القلب القاسي * اذا قمي القلب قحطت العين: قسوة القلب من أربعة أشياء اذا تجاوزت قدر الحاجة: الأكل والنوم والكلام والمخالطة كما

أن البدن اذا مرض لم ينفع فيه الطعام والشراب فكذلك القلب اذا مرض بالشهوات لم تنفع فيه الموعظ * من أراد صفاء قلبه فايؤثر الله على شهيوته * القلوب المتعلقة بالشهوات محجوبة عن الله بقدر تعلقها بها * القلوب آنية الله في أرضه فأحبها اليه أرقها وأصلبها وأصفها * شغلوا قلوبهم بالدنيا ولو شغلوها بالله والدار الآخرة لجالت في معاني كلامه وآياته المشهودة ورجعت الي أصحابها بفرائب الحكم وطرف الفوائد * اذا غذى القلب بالتذكر وسقى بالتفكر ونقى من الدغل رأى العجائب وألم الحكمة * ليس كل من تحلى بالمعرفة والحكمة وانتحلها كان من أهلها بل أهل المعرفة والحكمة الذين أحبوا قلوبهم بقتل الهوى وأما من قتل قلبه فأحى الهوى فالمعرفة والحكمة عارية على لسانه * خراب القلب من الأمن والغفلة وعمارته من الخشية والذكر * اذا زهدت القلوب في موائد الدنيا قعدت علي موائد الآخرة بين أهل تلك الدعوة واذا رضيت بموائد الدنيا فاتتها تلك الموائد * الشوق الي الله ولقائه نسيم يهب على القلب يروح عنه وهج الدنيا * من وطن قلبه عند ربه سكن واستراح ومن أرسله في الناس اضطرب واستند به القلق * لا تدخل محبة الله في قلب فيه حب الدنيا الا كما يدخل الجمل في سم الابرة * اذ أحب الله عبداً اصطنعه لنفسه واجتباها لمحبه واستخلصه لعبادته فتغل همه به ولسانه بذكره وجوارحه بخدمته * والقلب يمرض كما يمرض البدن وشفائه في التوبة والحمية وبصداً كما تصدأ المرأة وجلاؤه بالذكر ويعري كما يعري الجسم وزينته التقوى ويجموع ويظلم كما يجموع البدن وطعامه وشرابه المعرفة والمحبة والتوكل والالابة والخدمة * إياك والغفلة عن جعل حياتك أجلاً ولا يأمك وأنفاسك أمداً ومن كل ماسوء بد ولا بذلك منه * من ترك الاختيار والتدبير في طلب زيادة دنيا أو جاء أو في خوف نقصان أو في التخلص من عدو توكل على الله وثقة بتدبيره له وحسن اختياره له فالتقى كنهه بين يديه وسلم الأمر اليه ورضي بما يقضيه له استراح من

الهموم والغموم والأحزان ومن أبي الـ تديره لنفسه وقع فى التكد والنصب وسوء الحال والتعب فلا عيش يصفو ولا قلب يفرح ولا عمل يزكو ولا أمل يقوم ولا راحة تدوم والله سبحانه سهل لخلق السبيل اليه وحجبه عنه بالتدبير فمن رضى بتدبير الله له وسكن الى اختياره وسلم لحكمه أزال ذلك المحجـب فأفضى القلب الى ربه واطمأن اليه وسكن : المتوكل لا يسأل غير الله ولا يرد على الله ولا يدخر مع الله * من شغل بنفسه شغل عن غيره ومن شغل بربه شغل عن نفسه * الاخلاص هو مالا يعلمه ملك فيكتبه ولا عدو يفسده ولا يعجب به صاحبه فيطله * الرضا سكون القلب تحت مجارى الأحكام * الناس فى الدنيا معذبون على قدر همهم بها * للقلب ستة مواطن يجول فيها لا سابع لها ثلاثة سافلة وثلاثة عالية فالسافلة دنيا تغزن له ونفس تحدثه وعدو يوسوس له فهذه مواطن الأرواح السافلة التي لا تزال تجول فيها والثلاثة العالية علم يتبين له وعقل يرشده وا له يعبد والقلوب جواله فى هذه المواطن * اتباع الهوى وطول الأمل مادة كل فساد فان اتباع الهوى يعنى عن الحق معرفة وقصداً وطول الأمل ينسى الآخرة ويصد عن الاستعداد لها * لا يشم عبد رائحة الصديق ويدهان نفسه أو يدهان غيره * اذا أراد الله بعبد خيراً جعله معترفاً بذنبه ممسكاً عن ذنب غيره جواداً بما عنده زاهداً فيما عند غيره محتملاً لأذى غيره وان أراد به شراً عكس ذلك عليه * الهمة العلية لا تزال حائمة حول ثلاثة أشيلة تعرف لصفة من الصفات العليا تزاد بمعرفتها محبة وإرادة: وملاحظة لمنة تزاد بملاحظتها شكر او طاعة : وتذكر لذنب تزاد بتذكره توبة وخشية فاذا تعلقت الهمة بسوى هذه الثلاثة جالت فى أودية الوسائس والخطرات • من عشق الدنيا نظرت الي قدرها عنده فصبرته من خدمها وعبيدها واذله ومن أعرض عنها نظرت (١) الي كبر قدره فخدمته وذلت له * انما يقطع السفر

ويصل المسافر بلزوم الجادة وسير الليل فاذا حاد المسافر عن الطريق ونام الليل كله فمضى يصل الى مقصده ٥

فائدة جلية

كل من آثر الدنيا من أهل العلم واستحبها ، فلا بد أن يقول علي الله غير الحق في فتواه وحكمه في خبره والزامه لان أحكم الرب سبحانه كثيرا ما تأتي على خلاف أغراض الناس ولا سيما أهل الرياسة والذين يتبعون الشبهات فانهم لا تتم لهم أغراضهم الا بمخالفة الحق ودفعه كثيرا فاذا كان العالم والحاكم محبين للرياسة متبعين للشهوات لم يتم لهما ذلك الا بدفع ما يضاده من الحق ولا سيما اذا قامت له (١) شبهة فتتفق الشبهة والشهوة ويشور الهوى فيخفي الصواب وينطمس وجه الحق وان كان الحق ظاهرا لا خفاء به ولا شبهة فيه أقدم على مخالفته وقال لي مخرج بالتوبة : وفي هؤلاء ، وأشباههم قلل تعالى (فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات) وقال تعالى فيهم أيضا (تخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا وان يأتهم عرض مثله يأخذوه ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله الا الحق ودرسوا ما فيه والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون) فأخبر سبحانه أنهم أخذوا العرض الأدنى مع علمهم بتحريمه عليهم وقالوا سيغفر لنا وان عرض لهم عرض آخر أخذوه فهم مصرون على ذلك وذلك هو الحامل لهم على أن يقولوا على الله غير الحق فيقولون هذا حكمه وشرعه ودينه وهم يعلمون أن دينه وشرعه وحكمه خلاف ذلك أولا يعلمون أن ذلك دينه وشرعه وحكمه فتارة يقولون على الله مالا يعلمون : ونارة يقولون عليه ما يعلمون بطلانه ٥

وأما الذين يتقون فيعلمون أن الدار الآخرة خير من الدنيا فلا يحملهم

(١) الضمير هنا راجع لفظ كل الاول لا للعالم واحاكم فليتنظرن لذلك

حب الرياسة والشهوة على أن يؤثروا الدنيا على الآخرة: وطريق ذلك أن يتمسكوا بالكتاب والسنة ويستعينوا بالصبر والصلاة ويتفكروا في الدنيا وزوالها وخستها والآخرة وأقبالها ودوامها: وهؤلاء لا بد أن يبتدعوا في الدين مع الفجور في العمل فيجتمع لهم الأمران فإن اتباع الهوى يعنى عين القلب فلا يميز بين السنة والبدعة أو ينكسه فيري البدعة سنة والسنة بدعة فهذه آفة العلماء إذا آثروا الدنيا واتبعوا الرياسات والشهوات: وهذه الآيات فيهم الى قوله (واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الأرض واتبع هواه ففسله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث) فهذا مثل عالم السوء الذي يعمل بخلاف علمه *

﴿ وتأمل ﴾ ما تضمنته هذه الآية من ذمه وذلك من وجوه : أحدها أنه ضل بعد العلم واختار الكفر على الايمان عمدا لا جهلا : وثانيها أنه فارق الايمان مفارقة من لا يعود اليه أبدا فانه انسلخ من الآيات بالجملة كما تنسلخ الحية من قشرها ولو بقي معه منها شيء لم ينسلخ منها : وثالثها أن الشيطان أدركه ولحقه بحيث ظفر به واقرسه ولهذا قال فاتبعه الشيطان ولم يقل تبعه فان في معنى اتبعه أدركه ولحقه وهو أبلغ من تبعه لفظا ومعنى : ورابعها أنه غوى بعد الرشد : والغى الضلال في العلم والقصد وهو أخص بفساد القصد والعمل كما أن الضلال أخص بفساد العلم والاعتقاد فاذا أفرد أحدهما دخل فيه الآخر وإن اقترنا فالفرق ما ذكر : وخامسها أنه سبحانه لم يشأ أن يرفعه بالعلم فكان سبب هلاكه لأنه لم يرفع به فصار وبالا عليه فلم يكن عالما كان خيرا له وأخف لعذابه : وسادسها أنه سبحانه أخبر عن خسة همته وأنه اختار الاسفل الادني على الاشرف الاعلى : وسابعها أن اختياره للادني لم يكن عن خاطر وحديث نفس ولكنه كان عن اخلاص الى الارض وميل بكايته الى ما هناك وأصل الاخلاص لزوم على الدوام

كأنه قيل لزم الميل الى الارض : ومن هذا يقال أخذ فلان بالمسكان اذا لزم الإقامة به قال مالك بن نويرة

بأبناء حتى من قبائل مالك * وعمرو بن ربوع أقاموا فأخذوا وعبر عن ميله الى الدنيا باخلاذه الى الارض لان الدنيا هي الارض وما فيها وما يستخرج منها من الزينة والمتاع * وثانها أنه رغب عن هداه واتبع هواه فجعل هواه اماماً له يقتدى به ويتبعه * وثالثها أنه شبهه بالكلب الذى هو أخس الحيوانات همه وأسقطها نفساً وأبخلها وأشدّها كلباً ولهذا سُمى كلباً * ورابعها أنه شبه لهته على الدنيا وعدم صبره عنها وجزعه لفقدها وحرصه على تحصيلها يلهث الكلب فى حالتي تركه والحمل عليه بالطرد وهكذا: هذا ان ترك فهو لهثان على الدنيا وان وعظ وزجر فهو كذلك فاللهث لا يفارقه فى كل حال كلهث الكلب : قال ابن قتيبة كل شئ يلهث فانما يلهث من اعياء أو عطش الا الكلب فانه يلهث فى حال الكلال وحال الراحة وحال الرى وحال العطش فضر به الله مثلاً لهذا الكافر فقال ان وعظته فهو ضال وان تركته فهو ضال كالكلب ان طردته لهث وان تركته على حاله لهث وهذا التمثيل لم يقع بكل كلب وانما وقع بالكلب اللاهث وذلك أخس ما يكون وأشنع *

فصل

فهذا حال العالم المؤثر الدنيا على الآخرة وأما العابد الجاهل فآفته من إعراضه عن العلم وأحكامه وغلبة خيائه وذوقه ووجدته وما تهواه نفسه ولهذا قال سفيان ابن عيينة وغيره احذروا فتنة العالم الفاجر وفتنة العابد الجاهل فان فتنتهما فتنة لكل مفتون فهذا يجمله يصد عن العلم وموجبه وذاك بغيه يدعو الى الفجور: وقد ضرب الله سبحانه مثل النوع الآخر بقوله (كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال انى برىء منك انى أخاف الله رب العالمين فكان عاقبتهما

أنهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين) وقصته معروفة فانه بنى أساس أمره على عبادة الله بجهل فاوقعه الشيطان بجهله وكفره بجهله فهذا إمام كل عايد جاهل يكفر ولا يدري وذلك إمام كل عالم فاجر يختار الدنيا على الآخرة وقد جعل سبحانه رضى العبد بالدنيا وطأ نيتته وغفلته عن معرفة آياته وتدبرها والعمل بها سبب شقائه وهلاكه ولا يجتمع هذان أغنى الرضى بالدنيا والغفلة عن آيات الرب الا في قلب من لا يؤمن بالمعاد ولا يرجو لقاء رب العباد والا فلورسخ قدمه في الايمان بالمعاد لما رضى الدنيا ولا اطمان اليها ولا أعرض عن آيات الله: وأنت إذا تأملت أحوال الناس وجدت هذا الضرب هو الغالب على الناس وهم عمار الدنيا : وأقل الناس عدداً من هو على خلاف ذلك وهو من أشد الناس غربة بينهم لهم شأن وله شأن علمه غير علومهم وإرادته غير إرادتهم وطريقه غير طريقهم فهو في واد وهم في واد قال تعالى (ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون) ثم ذكر وصف ضد هؤلاء وما لهم وعافيتهم بقوله (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيهم يهديهم ربهم بإيمانهم تجرى من تحتهم الأنهار في جنات النعيم) هؤلاء إيمانهم بلقاء الله أورشهم عدم الرضا بالدنيا والطمأنينة اليها ودوام ذكر آياته فهذه موارد الايمان بالمعاد وتلك موارد عدم الايمان به والغفلة عنه

فائدة عظيمة

أفضل ما اكتسبته النفوس وحصلته القلوب ونال به العبد الرفعة في الدنيا والآخرة هو العلم والايمان ولهذا قرن بينهما سبحانه في قوله (وقال الذين أوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث) وقوله (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) وهؤلاء خلاصة الوجود ولبو المؤمنون للراتب العالية ولكن أكثر الناس غالطون في حقيقة معنى العلم والايمان اللذين بهما

السعادة والرفعة وفي حقيقةهما حتي ان كل طائفة تظن ان ما معها من العلم والايمان هو هذا الذي به تنال السعادة وليس كذلك بل أ كثرهم ليس معهم ايمان ينجي ولا علم يرفع بل قد سدوا على نفوسهم طرق العلم والايمان اللذين جاء بهما الرسول ﷺ ودعا اليهما الائمة وكان عليهما هو وأصحابه من بعده وتابعوهم على مناهجهم وآثارهم .

فكل طائفة اعتقدت ان العلم ما معها وفرحت به وقطعوا أمرهم بينهم زجباً كل حزب بما لديهم فرحون :واكثر ما عندهم كلام وآراء وخرص والعلم وراء الكلام كما قال حماد بن زيد قنت لا يوب العلم اليوم أكثر أو فيما تقدم فقال الكلام اليوم أكثر والعلم فيما تقدم أكثر .

ففرق هذا الراسخ بين العلم والكلام فالكتب كثيرة جداً والكلام والجدال والمقدرات الذهنية كثيرة والعلم بمعزل عن أكثرها وهو ما جاء به الرسول عن الله قال تعالى (فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم) وقال (وأئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم) وقال في القرآن (أنزله بعلمه) أى وفيه علمه . ولما بعد العهد بهذا العلم آل الأمر بكثير من الناس الى أن اتخذوا هواجس الافكار وسوانح الخواطر والآراء علماً ووضعوا فيها الكتب وأنفقوا فيها الانفاس فضيعوا فيها الزمان وملأوا بها الصحف مداداً والقلوب سواداً حتى صرح كثير منهم انه ليس في القرآن والسنة علم وأن أدلتها لفظية لا تفيد يقينا ولا علماً وصرخ الشيطان بهذه الكلمة فيهم وأذن بها بين أظهرهم حتي أسمعها دانهم لتعاصيمهم فانساخت بها القلوب من العلم والايمان كانسلاخ الحية من قشرها والثوب عن لابسه :قال الامام العلامة شمس الدين ابن القيم ولقد أخبرني بعض أصحابنا عن بعض اتباع اتباع تلاميذه هؤلاء انه رآه يشتغل في بعض كتبهم ولم يحفظ القرآن فقال له لو حفظت القرآن أولاً كان أولي فقال وهل في القرآن علم قال ابن القيم وقال لي بعض أئمة هؤلاء انما نسمع الحديث لاجل البركة لا لنستفيد

منه العلم لان غيرنا قد كفانا هذه المؤونة فعمدتنا على ما فهموه وقرروه ولا شك ان من كان هذا مبلغه من العلم فهو كما قال القائل

نزلوا بمكة في قبائل هاشم * ونزلت بالبطحاء أبعد منزل

قال وقال لي شيخنا مرة في وصف هؤلاء انهم طافوا على أبواب المذاهب ففازوا بأحسن الطالب ويكفيك دليلاً على أن هذا الذي عندهم ليس من عند الله ما ترى فيه من التناقض والاختلاف ومصادمة بعضه لبعض قال تعالى (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً) وهذا يدل على ان ما كان من عنده سبحانه لا يختلف وأن ما اختلف وتناقض فليس من عنده وكيف تكون الآراء والخيالات وسوانح الافكار ديناً يدان به ويحكم به على الله ورسوله سبحانه هذا يهتان عظيم *

وقد كان علم الصحابة الذي يتذاكرون فيه غير علوم هؤلاء المختلفين الخراصين كما حكى الحاكم في ترجمة أبي عبد الله البخاري قال كان أصحاب رسول الله ﷺ اذا اجتمعوا انما يتذاكرون كتاب ربهم وسنة نبيهم ليس بينهم رأى ولا قياس * ولقد أحسن القائل

العلم قال الله قال رسوله * قال الصحابة ليس بالعموية

ما العلم نصبك للخلاف سفاقة * بين الرسول وبين رأى فقيه

كلا ولا جحد الصفات ونفيها * حذراً من التمثيل والتشبيه

فصل

وأما الايمان فأكثر الناس أو كلهم يدعونه وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين: وأكثر المؤمنين انما عندهم ايمان مجمل وأما الايمان المفصل بما جاء به الرسول ﷺ معرفة وعلماً وإقراراً ومحبة ومعرفة بضده وكرهيته وبغضه فهذا ايمان

خواص الامة وخاصة الرسول وهو ايمان الصديق وحزبه: وكثير من الناس حظهم من الايمان الاقرار بوجود الصانع وأنه وحده هو الذي خلق السموات والارض وما بينهما وهذا لم يكن ينكره عباد الأصنام من قريش ونحوهم: وآخرون الايمان عندهم هو التكلم بالشهادتين سواء كان معه عمل أو لم يكن وسواء وافق تصديق القلب أو خالفه: وآخرون عندهم الايمان مجرد تصديق القلب بأن الله سبحانه خالق السموات والارض وأن محمداً عبده ورسوله وإن لم يقر بلسانه ولم يعمل شيئاً بل ولو سب الله ورسوله وآتى بكل عذيمة وهو يعتقد وحدانية الله ونبوة رسوله فهو مؤمن: وآخرون عندهم الايمان هو جحد صفات الرب تعالى من علوه على عرشه وتكلمه بكلماته وكتبه وسمعه وبصره ومشيته وقدرته واراادته وحبه وبغضه وغير ذلك مما وصف به نفسه ووصفه به رسوله فالايان عندهم انكار حقائق ذلك كله وجحده والوقوف مع ما تقتضيه آراء المتوكلين وأفكار المحرصين الذين يرد بعضهم على بعض وينقض بعضهم قول بعض الذين هم كما قال عمر بن الخطاب والامام أحمد مختلفون في الكتاب مختلفون للكتاب متفقون على مفارقة الكتاب: وآخرون عندهم الايمان عبادة الله بحكم أذواقهم ومواجيدهم وما تهواه نفوسهم من غير تقييد بما جاء به الرسول: وآخرون الايمان عندهم ما وجدوا عليه آباءهم وأسلافهم بحكم الاتفاق كائناً ما كان بل ايمانهم مبنى على مقدمتين: احدهما أن هذا قول أسلافنا وآبائنا: والثانية أن ما قالوه فهو الحق: وآخرون عندهم الايمان مكارم الاخلاق وحسن المعاملة وطلاقة الوجه واحسان الظن بكل أحد وتخليئة الناس وغفلاتهم: وآخرون عندهم الايمان التجرد من الدنيا وعلاقتها وتفرغ القلب منها والزهد فيها فاذا رأوا رجلاً هكذا جعلوه من سادات أهل الايمان وإن كان منسلخاً من الايمان علماً وعملاً: وأعلى من هؤلاء من جعل الايمان هو مجرد العلم وإن لم يقارنه عمل وكل هؤلاء لم يعرفوا حقيقة الايمان ولا قاموا به ولا قام بهم وهم أنواع منهم من جعل الايمان ما يضاد الايمان: ومنهم

من جعل الايمان مالا يعتبر في الايمان : ومنهم من جعله ما هو شرط فيه ولا يكفي في حصوله : ومنهم من اشترط في ثبوته ما يناقضه ويضاده : ومنهم من اشترط فيه ما ليس منه بوجه .

الايمان

والايمان وراء ذلك كله وهو حقيقة مركبة من معرفة ما جاء به الرسول ﷺ علماً والتصديق به عقداً والاقرار به نطقاً والالتقاد له محبة وخضوعاً والعمل به باطناً وظاهراً وتنفيذه والدعوة اليه بحسب الامكان وكماله في الحب في الله والبغض في الله والعطاء لله والمنع لله وأن يكون الله وحده الهه ومعبوده : والطريق اليه بتجريد متابعة رسوله ظاهراً وباطناً : وتغميض عين القلب عن الالتفات الي سوى الله ورسوله وبالله التوفيق * من اشتغل بالله عن نفسه كفاه الله مؤونة نفسه : ومن اشتغل بالله عن الناس كفاه الله مؤونة الناس : ومن اشتغل بنفسه عن الله وكاه الله الي نفسه : ومن اشتغل بالناس عن الله وكاه الله اليهم *

فائدة جلية

انما يجد المشقة في ترك المألوفات والعوائد من تركها لغير الله فاما من تركها صادقا تخلصا من قلبه لله فانه لا يجد في تركها مشقة الا في أول وهلة ليمتنحن أصادق هو في تركها أم كاذب فان صبر على تلك المشقة قليلا استحالت لذة : قال ابن سيرين سمعت شريحا يحلف بالله ما ترك عبد الله شيئا فوجد فقدته وقولهم من ترك لله شيئا عوضه الله خيرا منه حق والعوض أنواع مختلفة وأجل ما يعوض به الانس بالله ومحبة وطمأنينة القلب به وقوته ونشاطه وفرحه ورضاه عن ربه تعالى *

أعجب الناس من ضل في آخر سفره وقد قارب المنزل * العقول المؤيدة

بالتوفيق ترى ان ماجاء به الرسول ﷺ هو الحق الموافق للعقل والحكمة: والعقول المضروبة بالخذلان ترى المعارضة بين العقل والنقل وبين الحكمة والشرع * أقرب الوسائل الى الله ملازمة السنة والوقوف معها في الظاهر والباطن ودوام الافتقار الى الله وإرادة وجهه وحده بالأقوال والأفعال وما وصل أحد الى الله الا من هذه الثلاثة وما انقطع عنه أحد الا بانقطاعه عنها أو عن أحدها * الأصول التي أنبى عليها سعادة العبد ثلاثة واسكل واحد منها ضد فمن فقد ذلك الاصل حصل علي ضده : التوحيد وضده الشرك : والسنة وضدها البدعة : والطاعة وضدها المعصية : ولهذه الثلاثة ضد واحد وهو خلو القلب من الرغبة في الله وفيما عنده ومن الرهبة منه وما عنده *

قاعدة جلية

قال الله تعالى (وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين) وقال (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى) الآية : والله تعالى قدين في كتابه سبيل المؤمنين مفصلة وسبيل المجرمين مفصلة وعاقبة هؤلاء مفصلة وعاقبة هؤلاء مفصلة : وأعمال هؤلاء وأعمال هؤلاء وأولياء هؤلاء وأولياء هؤلاء : وخذلان هؤلاء وتوفيق هؤلاء : والأسباب التي وفق بها هؤلاء والأسباب التي خذل بها هؤلاء : وجلا سبحانه الأمرين في كتابه وكشفهما وأوضحهما وبينهما غاية البيان حتى شاهدتهما البصائر كمشاهدة الابصار للضياء والظلام *

فالعالمون بالله وكتابه ودينه عرفوا سبيل المؤمنين معرفة تفصيلية وسبيل المجرمين معرفة تفصيلية فاستبان لهم السبيلان كما يستبين للسالك الطريق الموصل الي مقصوده والطريق الموصل الى الهلكة : فهؤلاء أعلم الخلق وأنفعهم للناس وأنصحهم لهم وهم الادلاء الهداة وبذلك برز الصحابة علي جميع من أتى بعدهم الى يوم

القيامة فانهم نشأوا في سبيل الضلال والكفر والشرك والسبل الموصلة الي الهلاك وعرفوها مفصلة ثم جاءهم الرسول فأخرجهم من تلك الظلمات الى سبيل الهدى وصرط الله المستقيم فخرجوا من الظلمة الشديدة الى النور التام ومن الشرك الى التوحيد ومن الجهل الى العلم ومن الغي الى الرشاد ومن الظلم الى العدل ومن الخيرة والعبي الى الهدى والبصائر فعرفوا مقدار ما نالوه وظفروا به ومقدار ما كانوا فيه فان الضد يظهر حسنه الضد وأما تتبين الأشياء بأضدادها فازدادوا رغبة ومحبة فيما انتقلوا اليه ونفرة وبغضاً لما انتقلوا عنه وكانوا أحب الناس في التوحيد والايان والاسلام وأبغض الناس في ضده عالمين بالسبيل على التفصيل *

وأما من جاء بعد الصحابة فمنهم من نشأ في الاسلام غير عالم تفصيل ضده فالتبس عليه بعض تفاصيل سبيل المؤمنين بسبيل المجرمين فان اللبس أما يقع اذا ضعف العلم بالسيلين أو أحدهما كما قال عمر بن الخطاب . أما تنقض عري الاسلام عروة عروة اذا نشأ في الاسلام من لم يعرف الجاهلية : وهذا من كمال علم عمر رضي الله عنه فانه اذا لم يعرف الجاهلية وحكمها وهو كل ما خالف ما جاء به الرسول ﷺ فانه من الجاهلية فانها منسوبة الى الجهل وكل ما خالف الرسول فهو من الجهل فمن لم يعرف سبيل المجرمين ولم تستبين له أو شك أن يظن في بعض سبيلهم انها من سبيل المؤمنين كما وقع في هذه الأمة من أمور كثيرة في باب الاعتقاد والعلم والعمل هي من سبيل المجرمين والكفار وأعداء الرسل أدخلها من لم يعرف انها من سبيلهم في سبيل المؤمنين ودعا اليها وكفر من خالفها واستحل منه ما حرمه الله ورسوله كما وقع لأكثر أهل البدع من الجهمية والقدرية والخوارج والروافض وأشباههم ممن ابتدع بدعة ودعا اليها وكفر من خلفها *
والناس في هذا الموضع أربع فرق : الاولى من استبان له سبيل المؤمنين وسبيل المجرمين على التفصيل علماً وعملاً وهؤلاء أعلم الخلق * الفرقة الثانية من

عميت عنه السيلا من أشباه الأنعام وهؤلاء بسبيل المجرمين أحضر ولما أسلك •
 الفرقة الثالثة من صرف عنايته الى معرفة سبيل المؤمنين دون ضدها فهو يعرف
 ضدها من حيث الجملة والمخالفة وأن كل ما خالف سبيل المؤمنين فهو باطل وإن
 لم يتصوره على التفصيل بل اذا سمع شيئا مما خالف سبيل المؤمنين صرف سمعه
 عنه ولم يشغل نفسه بفهمه ومعرفة وجه بطلانه وهو بمنزلة من سلمت نفسه من
 ارادة الشهوات فلم تخطر بقلبه ولم تدعه اليها نفسه بخلاف الفرقة الأولى فانهم
 يعرفونها وتميل اليها نفوسهم ويجاهدونها على تركها لله : وقد كتبوا الى عمر بن
 الخطاب يسألونه عن هذه المسألة أما أفضل رجل لم تخطر له الشهوات ولم تمر
 بباله أو رجل نازعته اليها نفسه فتركها لله فكتب عمر ان الذي تشتهى نفسه
 المعاصي ويتركها لله عز وجل من الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر
 عظيم : وهكذا من عرف البدع والشرك والباطل وطرقه فأبغضها لله وحذر
 وحذر منها ودفعها عن نفسه ولم يدعها لتحذش وجه ايمانه ولا تورثه شبهة ولا
 شكاً بل يزداد بمعرفتها بصيرة في الحق ومحبة له وكرهه لها ونفرة عنها أفضل
 ممن لا تخطر بباله ولا تمر بقلبه فانه كلما مرت بقلبه وتصورت له ازداد محبة للحق
 ومعرفة بقدره وسروره به فيقوى ايمانه به كما ان صاحب خواطر الشهوات
 والمعاصي كلما مرت به فرغ عنها الى ضدها ازداد محبة لضدها ورغبة فيه
 وطلباً له وحرصاً عليه فما ابتلي الله سبحانه عبده المؤمن بمحبة الشهوات والمعاصي
 وميل نفسه اليها الا ليسوقه بها الى محبة ما هو أفضل منها وخير له وأنفع وأدوم
 وليجاهد نفسه على تركها له سبحانه فتورثه تلك المجاهدة الوصول الى المحبوب
 الأعلى فكلمنا نازعته نفسه الى تلك الشهوات واشتدت ارادته لها وشوقه اليها
 صرف ذلك الشوق والارادة والمحبة الى النوع العالي الدائم فكان طلبه له أشد
 وحرصه عليه أتم بخلاف النفس الباردة الخالية من ذلك فانها وان كانت طالبة
 للأعلى لكن بين الطليين فرق عظيم ألا ترى ان من مشي الى محبوبه على الجمر

والشوك أعظم ممن مشي اليه راكباً على النجائب فليس من أثر محبوبه مع منازعة نفسه كمن أثره مع عدم منازعتها الى غيره فهو سبحانه يبتلي عبده بالشهوات إما حجاباً له عنه أو حاجباً له يوصله الى رضاه وقربه وكرامته * الفرقة الرابعة فرقة عرفت سبيل الشر والبدع والكفر مفصلة وسبيل المؤمنين مجملة وهذا حال كثير ممن اعتنى بمقالات الأمم ومقالات أهل البدع فعرّفها على التفصيل ولم يعرف ما جاء به الرسول كذلك بل عرفه معرفة مجملة وان تفصلت له في بعض الاشياء ومن تأمل كتبهم رأى ذلك عياناً وكذلك من كان عارفاً بطرق الشر والظلم والفساد على التفصيل سالها اذا تاب ورجع عنها الى سبيل الأبرار يكون علمه بها مجزئاً غير عارف بها على التفصيل معرفة من ألقى عمره في تصرفها وسلوكها.

والمقصود ان الله سبحانه يحب أن تعرف سبيل أعدائه لتجنب وتبفض كما يحب أن تعرف سبيل أوليائه لتحب وتسلك وفي هذه المعرفة من الفوائد والأسرار ما لا يعلمه الا الله من معرفة عموم ربوبيته سبحانه وحكمته وكمال أسمائه وصفاته وتعاقبها بمتعلقاتها واقتضائها لآثارها وموجباتها وذلك من أعظم الدلالة على ربوبيته وملكه وإلهيته وجهه وبفضه وثوابه وعقابه والله أعلم *

أرباب الحوائج على باب الملك يسألون قضاء حوائجهم وأولياؤه المحبون له الذين هو همهم ومرادهم جلساؤه وخواصه فاذا أراد قضاء حاجة واحد من أولئك اذن لبعض جلسائه وخاصته أن يشفع فيه رحمة له وكرامة للشافع وسائر الناس مطرودون عن الباب مضروبون بسيط البعد •

فصل

عشرة أشياء ضائعة لا ينتفع بها : علم لا يعمل به : وعمل لا اخلاص فيه ولا اقتداء : ومال لا ينفع منه فلا يستمتع به جامعه في الدنيا ولا يقدمه

امامه الى الآخرة : وقلب فارغ من محبة الله والشوق اليه والأنس به : وبدن معطل من طاعته وخدمته : ومحبة لا تنقيد برضاء المحبوب وامثال أوامره : ووقت معطل عن استدراك فارط أو اغتنام بر وقربة : وفكر مجول فيما لا ينفع : وخدمة من لا تقربك خدمته الى الله ولا تعود عليك بصلاح دنياك : وخوفك ورجاؤك لمن ناصيته بيد الله وهو أسير في قبضته ولا يملك لنفسه ضرا ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشورا *

وأعظم هذه الاضاعات اضاعتان هما أصل كل اضاعة : اضاعة القلب واضاعة الوقت فاضاعة القلب من ايثار الدنيا على الآخرة واضاعة الوقت من طول الأمل فاجتمع الفساد كله في اتباع الهوي وطول الأمل والصلاح كله في اتباع الهدى والاستعداد للقاء والله المستعان . *

العجب مم تعرض له حاجة فيصرف رغبته وهمة فيها الى الله ليقيضها له ولا يتصدي للسؤال لحياة قلبه من موت الجهل والاعراض وشفائه من داء الشهوات والشبهات ولكن اذا مات القلب لم يشعر بمعصيته *

فصل

الله سبحانه على عبده أمر أمره به وقضاء يقضيه عليه ونعمة ينعم بها عليه فلا ينفك من هذه الثلاثة : والقضاء نوعان اما مصائب واما معائب وله عليه عبودية في هذه المراتب كلها فأحب الخلق اليه من عرف عبوديته في هذه المراتب ووفاهما حقها فهذا أقرب الخلق اليه وأبعدهم منه من جهل عبوديته في هذه المراتب فعملها علما وعملا : فعبوديته في الأمر امتثاله اخلاصا واقتداء برسول الله ﷺ : وفي النهي اجتنابه خوفاً منه واجلالاً ومحبة : وعبوديته في قضاء المصائب الصبر عليها ثم الرضا بها وهو أعلى منه ثم الشكر عليها وهو أعلى من الرضا وهذا إنما يأتي منه اذا تمكن حبه من قلبه وعلم حسن اختياره له وبره به ولطفه به

وإحسانه اليه بالمصيبة وإن كره المصيبة وعبوديته في قضاء المعائب المبادرة الى التوبة منها والتنصل والوقوف في مقام الاعتذار والانكسار عالما بأنه لا يرفعها عنه الا هو ولا يقيه شرها سواء وأنها إن استمرت أبعدته من ربه وطرده من بابها فيراها من الضر الذي لا يكشفه غيره حتى انه ليراهها أعظم من ضر البدن فهو عائد برضاه من سخطه وبعفوه من عقوبته وبه منه مستجير وملتجئ، منه اليه يعلم انه ان تخلى عنه وخلي بينه وبين نفسه فعنده أمثالها وشر منها وأنه لا سبيل له الى الاقلاع والتوبة الا بتوقيفه وإعانته وأن ذلك بيده سبحانه لا بيد العبد فهو أعجز وأضعف وأقل من أن يوفق نفسه أو يأتي بمرضاة سيده بدون إذنه ومشئته وإعانته فهو ملتجئ، اليه متضرع ذليل مسكين ملق نفسه بين يديه طريق بابها مستخذله أذل شيء، وأكسره له وأقره وأحوجه اليه وأرغبه فيه وأحب له بدنه متصرف في أشغاله وقلبه ساجد بين يديه يعلم يقيناً انه لا خير فيه ولا له ولا به ولا منه وان الخير كله لله وفي يديه وبه ومنه فهو ولي نعمته: ومبتدئه بها من غير استحقاق ومجريها عليه مع تمقته اليه بأعراضه وغفلته ومعصيته فحظه سبحانه الحمد والشكر والثناء وحظ العبد الذم والنقص والعيب قد استأثر بالمحمد والمدح والثناء وولى العبد الملامة والنقائص والعيوب فالحمد كله له والخير كله في يديه والفضل كله له والثناء كله له والمنة كلها له فمنه الاحسان : ومن العبد الاساءة : ومنه التودد الى العبد بنعمه ومن العبد التبغض اليه بمعاصيه : ومنه النصيح لعبده ومن العبد الغش له في معاملته *

وأما عبودية النعم فمعرقتها والاعتراف بها أولاً ثم العياد به أن يقع في قلبه نسبتها وإضافتها الي سواء وان كان سبباً من الأسباب فهو مسببه ومقيمه فالنعمه منه وحده بكل وجه واعتبار ثم الثناء بها عليه ومحبتة عليها وشكره بأن يستعملها في طاعته : ومن لطائف التعبد بالنعم أن يسكنثر قلبها عليه ويستقل كثير شكره عليها ويعلم انها وصلت اليه من سيده من غير ثمن بذله فيها ولا وسيلة منه توصل (م ١٥ — فوائد)

بها اليه ولا استحقاق منه لها وانها لله في الحقيقة لا للعبد فلا تزيده النعم الا انكساراً أو ذلاً وتواضعاً ومحبة للنعم: وكلما جدد له نعمة أحدث لها عبودية ومحبة وخضوعاً أو ذلاً: وكلما أحدث له قبضاً أحدث له رضي: وكلما أحدث ذنباً أحدث له توبة وانكساراً واعتذاراً فهذا هو العبد الكيس والعاجز بمعزل عن ذلك وبالله التوفيق *

فصل

من ترك الاختيار والتدبير في رجاء زيادة أو خوف نقصان أو طلب صحة أو فرار من سقم وعلم أن الله على كل شيء قدير وأنه المتفرد بالاختيار والتدبير وأن تدبيره لعبده خير من تدبير العبد لنفسه وأنه أعلم بمصلحته من العبد وأقدر على جلبها وتحصيلها منه وانصح للعبد منه لنفسه وأرحم به منه بنفسه وأبر به منه بنفسه وعلم مع ذلك أنه لا يستطيع أن يتقدم بين يدي تدبيره خطوة واحدة ولا يتأخر عن تدبيره له خطوة واحدة فلا متقدم له بين يدي قضائه وقدره ولا متأخر فألقى نفسه بين يديه وسلم الأمر كله اليه وانطرح بين يديه انطراح عبد مملوك ضعيف بين يدي ملك عزيز قاهر له التصرف في عبده بكل ما يشاء وليس للعبد التصرف فيه بوجه من الوجوه فاستراح حينئذ من الهموم والنعموم والآنكاد والحسرات وحمل كله وحوائجه ومصلحه من لا يبالي بمحملها ولا يشقله ولا يكثر بها فتولاه دونه وأراه لطفه وبره ورحمته واحسانه فيها من غير تعب من العبد ولا نصب ولا اهتمام منه لانه قد صرف اهتمامه كله اليه وجعله وحده همه فصرف عنه اهتمامه بحوائجه ومصالح دنياه وفرغ قلبه منها فما أطيّب عيشه وما أنعم قلبه وأعظم سروره وفرحه وإن أبي الا تدبيره لنفسه واختياره لها واهتمامه بحظه دون حق ربه خلاه وما اختاره وولاه ما تولى فحضره الهم والغم والحزن والسكد والخوف والتعب وكسف البال وسوء الحال فلا قلب

يصفو ولا عمل يزكو ولا أمل يحصل ولا راحة يفوز بها ولا لذة يتنها بها بل قد حيل بينه وبين مسرته وفرحه وقرّة عينه فهو يكدح في الدنيا كدح الوحش ولا يظفر منها بأمل ولا يتزود منها للمعاد والله سبحانه قد أمر العبد بأمر وضمن له ضماناً فإن قام بأمره بالنصح والصدق والاخلاص والاجتهاد قام الله سبحانه له بما ضمنه له من الرزق والكفاية والنصر وقضاء الحوائج فانه سبحانه ضمن الرزق لمن عبده والنصر لمن توكل عليه واستنصر به والكفاية لمن كان هو همه ومراده والمغفرة لمن استغفره وقضاء الحوائج لمن صدقه في طلبها ووثق به وقوى رجاؤه وطمعه في فضله وجوده : فالظن الكيس انما يهتم بأمره وإقامته وتوفيته لا بضمانه فانه الوفي الصادق ومن أوفى بعبده من الله : فمن علامات السعادة صرف اهتمامه الى أمر الله دون ضمانه : ومن علامات الحرمان فراغ قلبه من الاهتمام بأمره وحبه وخشيته والاهتمام بضمانه والله المستعان *

قال بشر بن الحارث أهل الآخرة ثلاثة عابد وزاهد وصديق : فالعابد يعبد الله مع العلائق : والزاهد يعبد على ترك العلائق : والصديق يعبد على الرضا والمواقفة أن أراه أخذ الدنيا أخذها وان أراه تركها تركها * إذا كان الله ورسوله في جانب فاحذر أن تكون في الجانب الآخر فان ذلك يفضي الى المشاقة والمحادّة وهذا أصلها ومنه اشتقاقها فان المشاقة أن يكون في شق ومن يخالفه في شق : والمحادّة ان يكون في حد وهو في حد ولا تستسهل هذا فان مبادئته تخرج الى غايته وقليله يدعو الى كثيره وكن في الجانب الذي فيه الله ورسوله وان كان الناس كلهم في الجانب الآخر فان لذلك عواقب هي أحمد العواقب وأفضلها وليس للعبد أنفع من ذلك في دنياه قبل آخرته وأكثر الخلق انما يكونون من الجانب الآخر ولا سيما اذا قويت الرغبة والرغبة فهناك لا تكاد تجد أحداً في الجانب الذي فيه الله ورسوله بل يعده الناس ناقص العقل سبيـ الاختيار لنفسه وربما نسبوه الى الجنون وذلك من موارد أعداء الرسل فانهم نسبوا الى الجنون لما كانوا في شق

وجانب والناس في شق وجانب آخر ولكن من وطن نفسه على ذلك فانه يحتاج الى علم راسخ بما جاء الرسول يكون يقينا له لا ريب عنده فيه والي صبر تام علي معاداة من عاداه ولومة من لومه ولا يتم له ذلك الا برغبة قوية في الله والدار الآخرة بحيث تكون الآخرة أحب اليه من الدنيا وآثر عنده منها ويكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما وليس شيء أصعب علي الإنسان من ذلك في مبادئ الأمر فان نفسه وهواه وطبعه وشيطانه وإخوانه ومعاشريه من ذلك الجانب يدعونه الى العاجل فاذا خالفهم تصدوا الحربه فان صبر وثبت جاءه العون من الله وصار ذلك الصعب سهلا وذلك الا لم لذة فان الرب شكور فلا بد أن يذيقه لذة تحيظه الي الله والي رسوله ويريه كرامة ذلك فيشتد به سروره وغبطته وينتهج به قلبه ويظفر بقوته وفرحه وسروره ويبقى من كان محاربا له على ذلك بين هائب له ومسالمة ومساعدا وتارك ويقوى جنده ويضعف جند العدو : ولا تستصعب مخالفة الناس والتحيز الى الله ورسوله ولو كنت وحدك فان الله معك وأنت بعينه وكلاهما وحفظه لك وانما امتحن يقينك وصبرك : وأعظم الأعوان لك علي هذا بعد عون الله التجرد من الطمع والفرع فتي تجردت منها هان عليك التحيز الى الله ورسوله وكنت دائما في الجانب الذي فيه الله ورسوله ومتي قام بك الطمع والفرع فلا تطمع في هذا الأمر ولا تحدث نفسك به (فان قلت) فبأي شيء أستعين على التجرد من الطمع ومن الفرع قلت بالتوحيد والتوكل والثقة بالله وعلمك بأنه لا يأتي بالحسنات الا هو ولا يذهب بالسيئات الا هو وأن الأمر كله لله ليس لاحد مع الله شيء . *

نصيحة

هلم الي الدخول على الله ومجاورته في دار السلام بلا نصب ولا تعب ولا عناء بل من أقرب الطرق وأسهلها وذلك أنك في وقت بين وقتين وهو في الحقيقة

عمرک وهو وقتک الحاضر بین ما مضى وما يستقبل فالذى مضى تصلحه بالتوبة والندم والاستغفار وذلك شيء لا تعب عليك فيه ولا نصب ولا معاناة عمل شاق انما هو عمل قلب : وتمتع فيما يستقبل من الذنوب وامتناعك ترك وراحة ليس هو عملا بالجوارح يشق عليك معاناته وانما هو عزم ونية جازمة تريح بدنك وقلبك وسرك فما مضى تصلحه بالتوبة وما يستقبل تصلحه بالامتناع والعزم والنية وليس للجوارح في هذين نصب ولا تعب ولكن الشأن في عمرک وهو وقتک الذي بین الوقتين فان أضعته أضعت سعادتك ونجاتك وان حفظته مع اصلاح الوقتين اللذين قبله وبعده بما ذكر نجوت وفزت بالراحة واللذة والنعيم : وحفظه أشق من إصلاح ما قبله وما بعده فان حفظه أن تلزم نفسك بما هو أولى بها وأنفع لها وأعظم تحصيلاً لسعادتها وفي هذا تفاوت الناس أعظم تفاوت فهي والله أيامك الخالية التي تجمع فيها الزاد لمعادك إما الى الجنة وإما الى النار فان اتخذت اليها سبيلاً الى ربك بلغت السعادة العظمى والفوز الاكبر في هذه المدة اليسيرة التي لا نسبة لها الى الابد وان آثرت الشهوات والراحات واللغو واللعب انقضت عنك بسرعة واعقبك الألم العظيم الدائم الذي مقاساته ومعاناته اشق وأصعب وأدوم من معاناة العبر عن محارم الله والصبر على طاعته ومخالفته الهوى لأجله *

فصل

علامة صحة الارادة أن يكون هم المريد رضا ربه واستعداده للقاءه وحزنه على وقت مر في غير مرضاته وأسفه على قربيه والانس به وجماع ذلك أن يصبح ويمسي وليس له هم غير ذلك *

فصل

إذا استغنى الناس بالدنيا فاستغن أنت بالله وإذا فرحوا بالدنيا فافرح أنت بالله : وإذا أنسوا بأحبابهم فاجعل أنسك بالله : وإذا تعرفوا الى ملوكهم وكبرائهم وتقربوا اليهم لينالوا بهم العزة والرفعة فتعرف أنت الى الله وتودد اليه تنل بذلك غاية العز والرفعة * قال بعض الزهاد ما علمت أن أحداً سمع بالجنة والنيار تأتي عليه ساعة لا يطيع الله فيها بذكرا وصلاة أو قراءة أو احسان فقال له رجل اني أكثر البكاء فقال انك ان تضحك وأنت مفر بخيبتك خير من أن تبكي وأنت مدلل (١) بعملك وان المدلل لا يصعد عمله فوق رأسه فقال أوصني فقال دع الدنيا لاهلها كما تركوا هم الآخرة لأهلها وكن في الدنيا كالنحلة ان أكلت أكلت طيبا وأن أطعمت أطعمت طيبا وان سقطت على شيء لم تكسره ولم تخدشه *

فصل

الزهد أقسام زهد في الحرام وهو فرض عين : وزهد في الشبهات وهو بحسب مراتب الشبهة فان قويت التحقت بالواجب وان ضعفت كان مستحبا : وزهد في الفضول : وزهد فيما لا يعنى من الكلام والنظر والسؤال واللقاء وغيره : وزهد في الناس : وزهد في النفس بحيث تهون عليه نفسه في الله : وزهد جامع لذلك كله وهو الزهد فيما سوى الله وفي كل ما شغلك عنه وأفضل الزهد إخفاء الزهد وأصعبه الزهد في الحظوظ : والفرق بينه وبين الورع أن الزهد ترك ما لا ينفع في الآخرة والورع ترك ما ينجي ضرره في الآخرة والقلب المعلق بالشهوات لا يصح له زهد ولا ورع *

قال يحيى بن معاذ عجبت من ثلاث : رجل يراني بعمله مخلوقاً مثله ويترك أن يعمل لله : ورجل يدخل بماله وربه يستقرضه منه فلا يقرضه منه شيئاً : ورجل يرغب في صحبة المخلوقين ومودتهم والله يدعوهم الى صحبته ومودته *

فائدة جلية

قال سهل بن عبد الله ترك الأمر عند الله أعظم من ارتكاب النهي لأن آدم نهى عن أكل الشجرة فأكل منها فتأب عليه وإبليس أمر أن يسجد لآدم فلم يسجد فلم يتب عليه * قلت هذه مسألة عظيمة لها شأن وهي أن ترك الأوامر أعظم عند الله من ارتكاب المناهي وذلك من وجوه عديدة : ﴿أحدها﴾ ما ذكره سهل من شأن آدم وعدو الله إبليس ﴿الثاني﴾ أن ذنب ارتكاب النهي مصدره في الغالب الشبهة والحاجة وذنب ترك الأمر مصدره في الغالب الكبر والعزة ولا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر ويدخلها من مات على التوحيد وإن زنى وسرق * ﴿الثالث﴾ أن فعل الأمور أحب إلى الله من ترك المنهي كما دل على ذلك النصوص كقوله ﷺ « أحب الأعمال إلى الله الصلاة على وقتها » وقوله « ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليكم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا بلى يا رسول الله قال ذكر الله » وقوله « واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة » وغير ذلك من النصوص وترك المناهي عمل فانه كف النفس عن الفعل ولهذا علق سبحانه المحبة بفعل الأوامر كقوله (إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً) (والله يحب المحسنين) وقوله (واقسطوا إن الله يحب المقسطين) (والله يحب الصابرين) وأما في جانب المناهي فأكثر ما جاء النفي للمحبة كقوله (والله لا يحب الفساد) وقوله (والله لا يحب كل مختال فخور) وقوله (ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) وقوله (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم) وقوله (إن الله لا يحب من

كان مختالاً فخوراً) ونظائره : وأخبر في موضع آخر أنه يكرهها ويسخطها كقوله
(كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها) وقوله (ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط
الله) *

إذا عرف هذا ففعل ما يحبه سبحانه مقصود بالذات ولهذا يقدر ما يكرهه
ويسخطه لافضائه الى ما يحب كما قدر المعاصي والكفر والفسوق لما ترتب علي
تقديرها مما يحبه من لوازمها من الجهاد وأخذ الشهداء وحصول التوبة من العبد
والتضرع اليه والاستكانة وإظهار عدله وعفوه وانتقامه وعزه وحصول النولية
والمعاداة لأجله وغير ذلك من الآثار التي وجودها بسبب تقديره ما يكره أحب
اليه من ارتفاعها بارتفاع أسبابها وهو سبحانه لا يقدر ما يحب لافضائه الى حصول
ما يكرهه ويسخطه كما يقدر ما يكرهه لافضائه الى ما يحبه فعلم أن فعل ما يحبه أحب
اليه مما يكرهه ﴿ يوضحه الوجه الرابع ﴾ أن فعل الأمور مقصود لذاته وترك المنهي
مقصود لتسكين فعل الأمور فهو منهي عنه لأجل كونه يخل بفعل الأمور أو يضعفه
وينقصه كما نبه سبحانه على ذلك في النهي عن الخمر والميسر بكونهما يصدان عن
ذكر الله وعن الصلاة: فالمنهيات قواطع وموانع صادرة عن فعل الأمور أو عن
كمالها فأنهى عنها من باب المقصود لغيره والأمر بالواجبات من باب المقصود
لنفسه ﴿ يوضحه الوجه الخامس ﴾ أن فعل الأمور من باب حفظ قوة الإيمان
وبقائها وترك المنهيات من باب الحمية عما يشوش قوة الإيمان ويخرجها عن الاعتدال
وحفظ القوة مقدم على الحمية فان القوة كلما قويت دفعت المواد الفاسدة وإذا
ضعفت غلبت المواد الفاسدة فالحمية مرادة لغيرها وهو حفظ القوة وزيادةها وبقاؤها
ولهذا كلما قويت قوة الإيمان دفعت المواد الرديئة ومنعت من غلبتها وكثرتها بحسب
القوة وضعفها وإذا ضعفت غلبت المواد الفاسدة فتأمل هذا الوجه ﴿ الوجه السادس ﴾
أن فعل الأمور حياة القلب وغذاؤه وزينته وسروره وقره عينه ولذته ونعيمه
وترك المنهيات بدون ذلك لا يحصل له شيتاً من ذلك فانه لو ترك جميع المنهيات ولم

يأت بالايان والأعمال المأمور بها لم ينفعه ذلك الترك شيئا وكان خالدا مخلدا في النار وهذا يتبين ﴿ بالوجه السابع ﴾ أن من فعل المأمورات والمنهيات فهو أماناج مطلقا ان غلبت حسناته سيئاته وإماناج بعد أن يؤخذ منه الحق ويعاقب على سيئاته فما له الى النجاة وذلك بفعل المأمور : ومن ترك المأمورات والمنهيات فهو هالك غير ناج ولا ينجو إلا بفعل المأمور وهو التوحيد *

﴿فان قيل﴾ فهو إنما هلك بارتكاب المحذور وهو الشرك قيل يكفى في الهلاك ترك نفس التوحيد المأمور به وان لم يأت بضد وجودى من الشرك بل متي خلا قلبه من التوحيد رأسا فلم يوحد الله فهو هالك وان لم يعبد معه غيره فاذا انضاف اليه عبادة غيره عذب على ترك التوحيد المأمور به وفعل الشرك المنهى عنه يوضحه ﴿ الوجه الثامن ﴾ ان المدعو الى الايمان إذا قال لا أصدق ولا أكذب ولا أحب ولا أبغض ولا أعبد ولا أعبد غيره كان كافرا بمجرد الترك والاعراض بخلاف ما اذا قال أنا أصدق الرسول وأحبه وأؤمن به وأفعل ما أمرني ولكن شهوتي وارادتي وطبعي حاكمة على لا تدعني أترك ما نهاني عنه وأنا أعلم أنه قد نهاني وكرد لى فعل المنهى ولكن لا صبر لى عنه فهذا لا يعد كافرا بذلك ولا حكمه حكم الأول فان هذا مطيع من وجه وتارك المأمور جملة لا يعد مطيعا بوجه ﴿ يوضحه الوجه التاسع ﴾ ان الطاعة والمعصية انما تتعلق بالأمر أصلا وبالنهى تبعا فالمطيع ممثل المأمور والعاصي تارك المأمور : قال تعالى (لا يعصون الله ما أمرهم) وقال موسى لأخيه (ما منعك اذ رأيتهم ضلوا أن لا تتبعني أف عصيت أمرى) وقال عمرو بن العاص عند موته أنا الذى أمرتني فعصيت ولكن لا آله الا أنت : وقال الشاعر * أمرتك أمراً جازما فعصيتنى

والمقصود من إرسال الرسل طاعة المرسل ولا تحصل الا بامثال أوامره : واجتناب المناهي من تمام امثال الأوامر ولوازمه ولهذا لو اجتنب المناهى ولم يفعل ما أمر به لم يكن مطيعا وكان عاصيا بخلاف ما لو أتى بالمأمورات وارتكب (م ١٦ — فوائد)

المنهى فانه وان عد عاصيا مذنباً فانه مطيع بامثال الأمر عاص بار تكلم النهى
 بخلاف تارك الأمر فانه لا يعد مطيعاً باجتنب المنهيات خاصة ﴿الوجه العاشر﴾
 أن امثال الامر عبودية وتقرب وخدمة وتلك العبادة التي خلق لاجلها الخلق
 كما قال تعالى (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) فاخبر سبحانه أنه انما
 خلقهم للعبادة وكذلك انما أرسل اليهم رسله وأنزل عليهم كتبه ليعبدوه: فالعبادة
 هي الغاية التي خلقوا لها ولم يخلقوا لمجرد الترك فانه أمر عدمي لا كمال فيه من
 حيث هو عدم بخلاف امثال المأمور فانه أمر وجودي مطلوب الحصول وهذا
 يتبين ﴿بالوجه الحادي عشر﴾ وهو أن المطلوب بالنهى عدم الفعل وهو أمر
 عدمي والمطلوب بالأمر إيجاد فعل وهو أمر وجودي فمتعلق الامر الایجاد
 ومتعلق النهى الاعدام أو العدم وهو أمر لا كمال فيه الا اذا تضمن أمراً وجودياً
 فان العدم من حيث هو عدم لا كمال فيه ولا مصلحة الا اذا تضمن أمراً
 وجودياً مطلقاً وذلك الامر الوجودي مطلوب مأمور به فعادت حقيقة النهى
 الى الأمر وان المطلوب به ما في ضمن النهى من الامر الوجودي المطلوب به
 وهذا يتضح ﴿بالوجه الثاني عشر﴾ وهو ان الناس اختلفوا في المطلوب بالنهى
 علي أقوال : أحدها أن المطلوب به كف النفس عن الفعل وحبسها عنه وهو أمر
 وجودي قالوا لان التكليف انما يتعلق بالمقدور والعدم المحض غير مقدور وهذا
 قول الجمهور : وقال أبو هاشم وغيره بل المطلوب عدم الفعل ولهذا يحصل المقصود
 من بقاءه على العدم وان لم يخطر بباله الفعل فضلاً ان يقصد الكف عنه ولو
 كان المطلوب الكف لكان عاصياً اذا لم يات به ولان الناس يمدحون بعدم
 فعل القبيح من لم يخطر بباله فعله والكف عنه وهذا أحد قولی القاضي أبي بكر
 ولاجله التزم أن عدم الفعل مقدور للعبد وداخل تحت الكسب قال والمقصود
 بالنهى الابقاء على العدم الأصلي وهو مقدور : وقالت طائفة المطلوب بالنهى
 فعل الضد فانه هو المقدور وهو المقصود للناهى فانه انما نهى عن الفاحشة طلباً

للعفة وهى الأمور بها ونهاه عن الظلم طلباً للعدل للأمور به وعن الكذب طلباً للصدق للأمور به وهكذا جميع المنهيات: فعند هؤلاء، ان حقيقة النهى الطلب لصد المنهى عنه فعاد الا مر الى ان الطلب انما تعلق بفعل المأمور *

والتحقيق ان المطلوب نوعان مطلوب لنفسه وهو المأمور به ومطلوب اعدامه لمضاداته المأمور به وهو المنهى عنه لما فيه من المفسدة المضادة للأمور به فاذا لم يخطر ببال المكلف ولا دعت نفسه اليه بل استمر على العدم الأصلي لم يشب على تركه وان خطر بباله وكف نفسه عنه لله وتركه اختياراً أثيب على كنه نفسه وامتناعه فانه فعل وجودي والثواب انما يقع على الأمر الوجودي دون العدم المحض وان تركه مع عزمه الجازم على فعله لـكن تركه عجزاً فهذا وان لم يعاقب عقوبة الفاعل لـكن يعاقب على عزمه وارادته الجازمة التى انما تخلف مرادها عجزاً وقد دلت على ذلك النصوص الكثيرة فلا يلتفت الى ما خالفها كقوله تعالى (وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء) وقوله فى كآتم الشهادة (فانه آثم قلبه) وقوله (ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم) وقوله (يوم تبلى السرائر) وقوله ﷺ « إذا تواجه المسلمان بسيفهما فاقاتل والمقتول فى النار قالوا هذا القاتل فما بال المقتول قال انه أراد قتل صاحبه » وقوله فى الحديث الآخر « ورجل قال لو أن لى مالا لعملت بعمل فلان فهو بنيته وهما فى الوزر سواء » وقول من قال ان المطلوب بالنهاى فعل الضد ليس كذلك فان المقصود عدم الفعل والتلبس بالضدين فان ما لا يتم الواجب الا به فهو غير مقصود بالقصد الأول وان كان المقصود بالقصد الأول الأمور الذى نهى عما يمنعه ويضعفه فالمنهى عنه مطلوب اعدامه طلب الوسائل والذرائع والمأمور به مطلوب ايجاده طلب المقاصد والغايات : وقول أبى هاشم ان تارك القبائح يحمى وان لم يخطر بباله كف النفس فان أراد

بحمده انه لا يذم فصحيح وان أراد انه يثني عليه بذلك ويحب عليه ويستحق الثواب فقير صحيح فان الناس لا يحمدون المحبوب على ترك الزنا ولا الاخرس على عدم الغيبة والسب وانما يحمدون القادر الممتنع عن قدرة وداع الى الفعل : وقول القاضي الابقاء على عدم الاصلى مقدور فان أراد به كف النفس ومنعها فصحيح وان أراد مجرد عدم فليس كذلك وهذا يتبين ﴿بالوجه الثالث عشر﴾ وهو أن الأمر بالشئ نهى عن ضده من طريق اللزوم العقلي لا القصد الطلبي فان الأمر انما مقصوده فعل المأمور فاذا كان من لوازمه ترك الضد صار تركه مقصوداً لغيره وهذا هو الصواب في مسألة الأمر بالشئ. هل هو نهى عن ضده أم لا فهو نهى عنه من جهة اللزوم لا من جهة القصد والطلب : وكذلك النهى عن الشئ مقصود التامى بالقصد الأول الانتهاء عن النهى عنه وكونه مشغلاً بضده جاء من جهة اللزوم العقلي لكن انما نهى عما يضاد ما أمر به كما تقدم فكان المأمور به هو المقصود بالقصد الاول في الموضعين *

وحرف المسألة ان طلب الشئ طلب له بالذات ولما هو من ضرورته باللزوم وانتهي عن الشئ طلب لتركه بالذات ولفعل ما هو من ضرورة الترك باللزوم والمطلوب في الموضعين فعل وكف وكلاهما أمر وجودي ﴿الوجه الرابع عشر﴾ ان الأمر والنهى فى باب الطلب نظير النفي والاثبات فى باب الخبر والمدح والثناء لا يحصلان بالنفي المحض ان لم يتضمن ثبوتاً فان النفي كاسمه عدم لا كمال فيه ولا مدح فاذا تضمن ثبوتاً صح المدح به كنفى النسيان المستلزم لكمال العلم وبيانه ونفى اللغوب والاعياء والتعب المستلزم لكمال القوة والقدرة : ونفى السنة والنوم المستلزم لكمال الحياة والقيومية : ونفى الولد والصاحبة المستلزم لكمال الغنى والملك والربوبية : ونفى الشريك والولى والشفع بدون الاذن المستلزم لكمال التوحيد والتفرد بالكمال والالهية والملك : ونفى الظلم المتضمن لكمال العدل : ونفى ادراك الابصار له المتضمن لعظمته وأنه أجل من أن يدرك وان رآته

الابصار والا فليس في كونه لا يرى مدح بوجه من الوجوه فان العدم المحض كذلك *

واذا عرف هذا بالمنهى عنه ان لم يتضمن أمراً وجودياً ثبوتياً لم يمدح بتركه ولم يستحق الثواب والثناء بمجرد الترك كما لا يستحق المدح والثناء بمجرد الوصف العدمي ﴿الوجه الخامس عشر﴾ ان الله سبحانه جعل جزاء المأمورات عشرة أمثال فعلها وجزاء المنهيات مثل واحد وهذا يدل على أن فعل ما أمر به أحب إليه من ترك ما نهى عنه ولو كان الامر بالعكس لكانت السيئة بعشرة والحسنة بواحدة أو تساوي ﴿الوجه السادس عشر﴾ ان المنهى عنه المقصود اعدامه وأن لا يدخل في الوجود سواء نوى ذلك أو لم ينوه وسواء خاف بيبأه أو لم يخاطر فالمقصود أن لا يكون: وأما المأمور به فالمقصود كونه وإيجاد: والتقرب به نية وفعله ﴿وسر المسألة﴾ أن وجود ما طلب إيجاده أحب إليه من عدم ما طلب اعدامه وعدم ما أحبه أكره إليه من وجود ما يبغضه فمحبة لفعل ما أمر به أعظم من كراهته لفعل ما نهى عنه ﴿يوضحه الوجه السابع عشر﴾ ان فعل ما يحبه والاعانة عليه وجزاؤه وما يترتب عليه من المدح والثناء من رحمته وفعل ما يكرهه وجزاؤه وما يترتب عليه من الذم والألم والعقاب من غضبه ورحمته سابقة على غضبه غالباً له وكل ما كان من صفة الرحمة فهو غالب لما كان من صفة الغضب فانه سبحانه لا يكون إلا رحماً ورحمته من لوازم ذاته كعلمه وقدرته وحياته وسمعه وبصره وإحسانه فيستحيل أن يكون على خلاف ذلك وليس كذلك غضبه فانه ليس من لوازم ذاته ولا يكون غضبان دائماً غضباً لا يتصور انفكاكه بل يقول رسله وأعلم الخلق به يوم القيامة « إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله وإن يغضب بعده مثله » ورحمته وسعت كل شيء وغضبه لم يسع كل شيء وهو سبحانه كتب على نفسه الرحمة ولم يكتب على نفسه الغضب ووسع كل شيء رحمة وعلماً ولم يسع كل شيء غضباً وانتقاماً: فالرحمة وما كان بها ولوازمها وآثارها غالباً على الغضب

وما كان منه وآثاره فوجود ما كان بالرحمة أحب إليه من وجود ما كان من لوازم الغضب: ولهذا كانت الرحمة أحب إليه من العذاب والعفو أحب إليه من الانتقام فوجود محبوبه أحب إليه من فوات مكروهه ولا سيما إذا كان في فوات مكروهه فوات ما يحبه من لوازمه فإنه يكره فوات تلك اللوازم المحبوبة كما يكره وجود ذلك الملزوم المكروه ﴿الوجه الثامن عشر﴾ أن آثار ما يكرهه وهو المنهيات أسرع زوالاً بما يحبه من زوال آثار ما يحبه بما يكرهه فآثار كراهته سريعة الزوال وقد يزيلها سبحانه بالعفو والتجاوز ونزول بالتوبة والاستغفار والأعمال الصالحة والمصائب الكفرة والشفاعة والحسنات يذهبن السيئات ولو بلغت ذنوب العبد عنان السماء ثم استغفره غفر له ولو لقيه بقرب الأرض خطايا ثم لقيه لا يشرك به شيئاً لأناه بقربها مغفرة وهو سبحانه يغفر الذنوب وإن تعاضمت ولا يبالى فيبطلها ويبطل آثارها بأدنى سعى من العبد وتوبة نصوح وندم على ما فعل وما ذاك إلا لوجود ما يحبه من توبة العبد وطاعته وتوحيده فدل على أن وجود ذلك أحب إليه وأرضى له يوضحه ﴿الوجه التاسع عشر﴾ وهو أنه سبحانه قدر ما يغيضه ويكرهه من المنهيات لما يترتب عليها مما يحبه ويفرح به من المأمورات فإنه سبحانه أفرح بتوبة عبده من الفائد الواجد: والعقيم الوالد: والظمان الوارد وقد ضرب رسول الله ﷺ لفرحه بتوبة العبد مثلاً ليس في المفروح به أبلغ منه وهذا الفرح إنما كان بفعل المأمور به وهو التوبة فقدر الذنب لما يترتب عليه من هذا الفرح العظيم الذي وجوده أحب إليه من فوائده ووجوده بدون لازمه ممتنع فدل على أن وجود ما يحب أحب إليه من فوات ما يكره وإيسر المراد بذلك أن كل فرد من أفراد ما يحب أحب إليه من فوات كل فرد مما يكره حتى تكون ركعتا الضحى أحب إليه من فوات قتل المسلم وإنما المراد أن جنس فعل المأمورات أفضل من جنس ترك المحظورات كما إذا فضل الذكر على الأنثى والأنسي على الملك فالمراد الجنس لا عموم الأعيان *

والمقصود أن هذا الفرح الذي لا فرح يشبهه بفعل مأمور التوبة يدل على أن هذا المأمور أحب إليه من فوات المحذور الذي تغوت به التوبة وأثرها ومقتضاها ﴿إن قيل﴾ إنما فرح بالتوبة لأنها ترك للمنهي فكان الفرح بالترك: قيل ليس كذلك فإن الترك المحض لا يوجب هذا الفرح بل ولا الثواب ولا المدح وليست التوبة تركاً وإن كان الترك من لوازمها وانما هي فعل وجودي يتضمن إقبال التائب على ربه وإنايته إليه والتزام طاعته ومن لوازم ذلك ترك ما نهى عنه ولهذا قال تعالى (وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه) فالتوبة رجوع مما يكره إلى ما يحب وليس مجرد الترك فإن من ترك الذنب تركاً مجرداً ولم يرجع منه إلى ما يحبه الرب تعالى لم يكن تائباً فالتوبة رجوع وإقبال وإناية لا ترك محض ﴿الوجه العشرون﴾ أن المأمور به إذا فاته فاته الحياة المطبوعة للعبادة وهي التي قال تعالى فيها (يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحكيكم) وقال (أومن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات) وقال في حق الكفار (أموات غير أحياء) وقال (إنك لا تسمع الموتى) وأما المنهى عنه فإذا وجد فغايبته أن يوجد المرض وحياة مع السقم خير من موت ﴿فإن قيل﴾ ومن المنهى عنه ما يوجب الهلاك وهو الشرك قيل الهلاك إنما حصل بعدم التوحيد المأمور به الذي به الحياة فلما فقد حصل الهلاك فما هلك إلا من عدم إتيانه بالمأمور به وهذا وجه ﴿حاد وعشرون﴾ في المسألة وهو أن في المأمورات ما يوجب فواته الهلاك والشقاء الدائم وليس في المنهيات ما يقتضي ذلك ﴿الوجه الثاني والعشرون﴾ أن فعل المأمور يقتضي ترك المنهى عنه إذا فعل علي وجهه من الإخلاص والمثابة والنصح لله فيه: قال تعالى (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) ومجرد ترك المنهى لا يقتضي فعل المأمور ولا يستلزمه ﴿الوجه الثالث والعشرون﴾ أن ما يحبه من المأمورات فهو متعلق بصفاته وما يكرهه من المنهيات فمتعلق بمفعولاته وهذا وجه دقيق يحتاج إلى بيان فنقول

المنهيات شرور وتفضي الى الشرور والمأمورات خير وتفضي الى الخيرات والخير بيديه سبحانه والشر ليس اليه فان الشر لا يدخل في صفاته ولا في أفعاله ولا في أسمائه وانما هو في المفعولات مع أنه شر بالاضافة والنسبة الى العبد والا من حيث إضافته ونسبته الى الخالق سبحانه فليس بشر من هذه الجهة فغاية ارتكاب المنهى ان يوجب شرا بالاضافة الى العبد مع انه في نفسه ليس بشر : وأما فوات المأمور فيفوت به الخير الذي بفواته يحصل ضده من الشر وكما كان المأمور أحب الى الله سبحانه كان الشر الحاصل بفواته أعظم كالتوحيد والايمن * وسر هذه الوجوه أن المأمور محبوبه والمنهى مكروهه ووقوع محبوبه أحب اليه من فوات مكروهه وفوات محبوبه أكره اليه من وقوع مكروهه والله أعلم *

فصل

مبنى الدين على قاعدتين الذكر والشكر : قال تعالى (فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون) وقال النبي ﷺ لمعاذ : « والله اني لأحبك فلا تنس أن تقول دبر كل صلاة اللهم أغنى علي ذكرك وشكرك وحسن عبادتك » وليس المراد بالذكر مجرد ذكر اللسان بل الذكر القلبي واللساني وذكره يتضمن ذكر أسمائه وصفاته وذكر أمره ونهيه وذكره بكلامه وذلك يستلزم معرفته والايمن به وبصفات كماله ونعوت جلاله والثناء عليه بأنواع المدح وذلك لا يتم الا بتوحيده : فذكره الحقيقي يستلزم ذلك كله ويستلزم ذكر نعمه وآلائه وإحسانه الي خلقه * وأما الشكر فهو القيام له بطاعته والتقرب اليه بأنواع محابه ظاهرأ وباطناً وهذان الأمران هما جماع الدين فذكره مستلزم لمعرفة وشكره متضمن لطاعته وهذان هما الغاية التي خلق لاجلها الجن والانس والسموات والأرض ووضع لاجلها الثواب والعقاب وأنزل الكتب وأرسل الرسل وهي الحق الذي به خلقت

السماوات والارض وما بينهما وضدها هو الباطل والعبث الذى يتعالى ويتقدس عنه وهو ظن أعدائه به : قال تعالى (وما خلقنا السماوات والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا) وقال (وما خلقنا السماوات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما إلا بالحق) وقال (وما خلقنا السماوات والارض وما بينهما إلا بالحق وإن الساعة لآتية) وقال بعد ذكر آياته فى أول سورة يونس (ما خلق الله ذلك إلا بالحق) وقال (أيمحسب الانسان أن يتركسدى) وقال (أغضبتم أئما خلقناكم عبثاً وأنكم البنات لا ترجعون) وقال (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون) (الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن مثلن ينزل الامر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً) وقال (جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما فى السماوات وما فى الأرض وإن الله بكل شيء عليم) فثبت بما ذكر أن غاية الخلق والامر أن يذكر وأن يشكر: يذكوه فلا ينسى ويشكر فلا يكفر وهو سبحانه ذا كر لمن ذكره شاكر لمن شكره فذكره سبب لذكره وشكره سبب لزيادته من فضله: فالذكر للقلب واللسان والشكر للقلب محبة وإجابة: واللسان ثناء وحمد: وللجوارح طاعة وخدمة *

فصل

تكرر فى القرآن جعل الاعمال القائمة بالقلب والجوارح سبب الهداية والاضلال فيقوم بالقلب والجوارح أعمال تقتضى الهدى اقتضاء السبب لمسيبه والمؤثر لأثره: وكذلك الضلال فأعمال البر تثمر الهدى وكلما ازداد منها ازداد هدى: وأعمال الفجور بالضد وذلك أن الله سبحانه يحب أعمال البر فيجازي عليها بالهدى والفلاح ويغض أعمال الفجور ويجازي عليها بالضلال والشقاء: وأيضاً فإنه البر يحب أهل البر فيقرب قلوبهم منه بحسب ما قاموا به من البر (١٧٢ — فوائد)

ويبغض الفجور وأهله فيبعد قلوبهم منه بحسب ما انصفوا به من الفجور : فمن الأصل الأول قوله تعالى (ألم ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين) وهذا يتضمن أمرين * (أحدهما) أنه يهدي به من اتقى ما خطه قبل نزول الكتاب فان الناس على اختلاف ملاهم ونحاهم قد استقر عندهم أن الله سبحانه يكره الظلم والفواحش والفساد في الأرض ويمقت فاعل ذلك ويحب العدل والأحسان والجود والصدق والإصلاح في الأرض ويحب فاعل ذلك فلما نزل الكتاب أثلب سبحانه أهل البر بأن وفقهم للإيمان به جزاء لهم على برهم وطاعتهم وخذل أهل الفجور والفحش والظلم بأن حال بينهم وبين الاهتداء به (والثاني) أن العبد اذا آمن بالكتاب واهتدى به مجتهدا وقبل أوامره وصدق بأخباره كان ذلك سبباً لهداية أخرى تحصل له على التفصيل فان الهداية لانهاية لها ولو بلغ العبد فيها ما بلغ ففوق هدايته هداية أخرى وفوق تلك الهداية هداية أخرى الى غير غاية فكلمنا اتقى العبد ربه ارتقى الى هداية أخرى فهو في مزيد هداية مادام في مزيد من التقوى وكلما فوت حظاً من التقوى فاته حظ من الهداية بحسبه فكلمنا اتقى زاد هداه وكلما اهتدى زادت تقواه قال تعالى (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم) وقال تعالى (الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب) وقال تعالى (سيدكر من يخشى) وقال (وما يتذكر إلا من ينيب) وقال (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم) * فهداهم أولاً للإيمان فلما آمنوا هداهم للإيمان هداية بعد هداية : ونظير هذا قوله (ويزيد الله الذين اهتدوا هدى) وقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إن تقوا الله يجعل لكم فرقاناً) ومن الفرقان ما يعطيهم من النور الذي يفرقون به بين الحق والباطل والنصر والعز الذي يتمكنون به من إقامة الحق وكسر الباطل فسر الفرقان بهذا وبهذا : وقال تعالى (إن في ذلك لآية لكل عبد منيب) وقال

(إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور) في سورة لقمان وسورة ابراهيم وسبأ والشوري : فأخبر عن آياته المشهودة العيانة أنها إنما ينتفع بها أهل الصبر والشكر كما أخبر عن آياته الايمانية القرآنية أنها إنما ينتفع بها أهل التقوي والحشية والانابة ومن كان قصده اتباع رضوانه وأنها إنما يتذكر بها من يخشاه سبحانه كما قال (طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى) وقال في الساعة (إنما أنت منذر من يخشاه) وأما من لا يؤمن بها ولا يرجوها ولا يخشاه فلا تنفعه الآيات العيانة ولا القرآنية ولهذا لما ذكر سبحانه في سورة هود عقوبات الاثم المكذبين للرسل وما حل بهم في الدنيا من الخزي قال بعد ذلك (إن في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة) فأخبر أن في عقوباته للمكذبين عبرة لمن خاف عذاب الآخرة : وأما من لا يؤمن بها ولا يخاف عذابها فلا يكون ذلك عبرة وآية في حقه وإذا سمع ذلك قال لم يزل في الدهر الخير والشر والنعيم والبؤس والسعادة والشقاوة وربما أحال ذلك على أسباب فلكية وقوى نفسانية وإنما كان الصبر والشكر سببا لا تنفع صاحبها بالآيات (١) ينبني على الصبر والشكر فنصفه صبر ونصفه شكر فعلي حسب صبر العبد وشكره تكون قوة ايمانه وآيات الله إنما ينتفع بها من آمن بالله وآياته ولا يتم له الايمان الا بالصبر والشكر فان رأس الشكر التوحيد ورأس الصبر ترك إجابة داعي الهوى فاذا كان مشركا متبعها هواه لم يكن صابرا ولا شكورا فلا تكون الآيات نافعة له ولا مؤثرة فيه ايمانا *

فصل

وأما الأصل الثاني وهو اقتضاء الفجور والكبر والكذب للضلال فكثير أيضا في القرآن: كقوله تعالى (يضل به كثيراً ويهدى به كثيراً وما يضل به الا

(١) هكذا الأصل ونزل في الكلام سقطا تقديره : لان الايمان الخ وبه ينظم الكلام

الفاسقين الذين ينتقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون) وقال تعالى (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء) وقال تعالى (فما لكم في المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا) وقال تعالى (وقالوا قلوبنا غلف بل لغنهم الله بكفرهم قليلا ما يؤمنون) وقال تعالى (ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة) فأخبر أنه عاقبهم على تخلفهم عن الإيمان لما جاءهم وعرفوه وأعرضوا عنه بأن قلب أفئدتهم وأبصارهم وحال بينهم وبين الإيمان كما قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللا رسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه) فأمرهم بالاستجابة له ولرسوله حين يدعوهم الى ما فيه حياتهم ثم حذرهم من التخلف والتأخر عن الاستجابة الذي يكون سببا لأن يحول بينهم وبين قلوبهم : قال تعالى (فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين) وقال تعالى (كلاً بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) فأخبر سبحانه أن كسبهم غطى على قلوبهم وحال بينها وبين الإيمان بآياته فقالوا أساطير الأولين : وقال تعالى في المنافقين (نسوا الله أنفسهم) فجازاهم على نسيانهم له أن نسيهم فلم يذكرهم بالهدى والرحمة : وأخبر أنه أنساهم أنفسهم فلم يطلبوا كمالها بالعلم النافع والعمل الصالح وهما الهدى ودين الحق فأنساهم طلب ذلك ومحبته ومعرفته والحرص عليه عقوبة لنسيانهم له : وقال تعالى في حقهم (أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم) فجمع لهم بين اتباع الهوى والضلال الذي هو ثمرة وموجبه كما جمع للمهتدين بين التقوى والهدى *



فصل

وكما يقرن سبحانه بين الهدى والتقى والضلال والغى فكذلك يقرن بين الهدى والرحمة والضلال والشقاء : فمن الأول قوله (أولئك علي هدي من ربهم وأولئك هم المفلحون) وقال (أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) وقال عن المؤمنين (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب) وقال أهل الكهف (ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشدا) وقال (لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) وقال (وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) وقال (وأنزلنا عليك الكتاب تبينا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين) وقال (يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين) ثم أعاد سبحانه ذكرهما فقال (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا) *

وقد تنوعت عبارات السلف في تفسير الفضل والرحمة والصحيح أنها الهدى والنعمة فضله هداه ورحمته نعمته ولذلك يقرن بين الهدى والنعمة كقوله في سورة الفاتحة (اهتدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم) * ومن ذلك قوله لنبية يذكره بنعمه عليه (ألم يجذك يتبافأوى ووجدك ضالا فهدى ووجدك عائلا فأغنى) فجمع له بين هدايته له وإنعامه عليه بأبوابه وأغنائه * ومن ذلك قول نوح (يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده) وقول شعيب (أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وورزقي منه رزقا حسنا) وقال عن الخضر (فوجدنا عبدا من عبادنا آتينا رحمة من عندنا وعلّمناه من لدنا علما) وقال لرسوله (إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما وينصرك

الله نصرأ عزيزا) وقال (وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما) وقال (ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكنى منكم من أحد أبدا) ففضله هدايته ورحمته أنعامه وإحسانه إليهم وبره بهم: وقال (فاما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى) والهدى منعه من الضلال والرحمة منعه من الشقاء وهذا هو الذي ذكره في أول السورة في قوله (طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) فجمع له بين انزال القرآن عليه ونفى الشقاء عنه كما قال في آخرها في حق أتباعه (فلا يضل ولا يشقى) فالهدى والفضل والنعمة والرحمة متلازمات لا ينفك بعضها عن بعض كما أن الضلال والشقاء متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر : قال تعالى (ان المجرمين في ضلال وسعر) والسعر جمع سعيير وهو العذاب الذي هو غاية الشقاء : وقال تعالى (ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون) وقال تعالى عنهم (وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير) *

ومن هذا أنه سبحانه يجمع بين الهدى وانسراح الصدر والحياة الطيبة وبين الضلال وضيق الصدر والمعيشة الضنك: قال تعالى (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا) وقال (أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه) وكذلك يجمع بين الهدى والانبابة وبين الضلال وقسوة القلب قال تعالى (الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب) وقال تعالى (فويل للقاية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين) *

فصل

والهدى والرحمة وتوابعهما من الفضل والأنعام كله من صفة العطاء : والاضلال

والعذاب وتوابعهما من صفة المنع وهو سبحانه يصرف خلقه بين عطائه ومنعه وذلك كله صادر عن حكمة بالغة : وملك تام : وحمد تام فلا إله إلا الله *

فصل

إذا رأيت النفوس المبجلة الفارغة من الارادة والطلب لهذا الشأن قد تشبث بها هذا العالم السفلى وقد تشبث به فكلها اليه فانه اللائق بها افساد تركيبها ولا تنقش عليها ذلك فانه سريع الانحلال عنها ويبقى تشبثها به مع انقطاعه عنها عذابا عليها بحسب ذلك التعلق فتبقى شهوتها وارادتها فيها وقد حيل بينها وبين ما تشتهي على وجه يؤت معه من حصول شهوتها ولذتها فلو تصور العاقل ما في ذلك من الألم والحسرة لبادر الى قطع هذا التعلق كما يبادر الى حسم مواد الفساد ومع هذا فانه ينال نصيبه من ذلك وقلبه وهمه متعلق بالمطلب الأعلى والله المستعان *

فصل

إياك والكذب فانه يفسد عليك تصور المعلومات على ما هي عليه ويفسد عليك تصويرها وتعليمها للناس فان الكاذب يصور المعلوم موجوداً والموجود معدوماً والحق باطلاً والباطل حقاً والخير شراً والشر خيراً فيفسد عليه تصوره وعلمه عقوبة له ثم يصور ذلك في نفس المخاطب المغتر به الزاكن اليه فيفسد عليه تصوره وعلمه : ونفس الكاذب معرضة عن الحقيقة الموجودة نزاعة الى العدم مؤثرة للباطل واذا فسدت عليه قوة تصوره وعلمه التي هي مبدأ كل فعل إرادي فسدت عليه تلك الأفعال وسرى حكم الكذب اليها فصار صدورها عنه كصدور الكذب عن اللسان فلا ينتفع بلسانه ولا بأعماله : ولهذا كان الكذب أساس الفجور كما قال النبي ﷺ « إن الكذب يهدي الى الفجور وإن الفجور يهدي الى النار » وأول ما يسرى الكذب من النفس الى اللسان فيفسده ثم يسرى الى الجوارح

يفسد عليها أعمالها كما أفسد على اللسان أقواله فيعم الكذب أقواله وأعماله وأحواله فيستحكم عليه الفساد ويترامى دأؤه الى الهلكة ان لم يتداركه الله بدواء الصدق يقلع تلك المادة من أصلها : ولهذا كان أصل أعمال القلوب كلها الصدق وأضدادها من الرياء والعجب والكبر والفخر والخيلاء والبطر والأشر والعجز والكل والجبن والمهانة وغيرها أصلها الكذب: فكل عمل صالح ظاهر أو باطن فمنشؤه الصدق: وكل عمل فاسد ظاهر أو باطن فمُنشؤه الكذب والله تعالى يعاقب الكذاب بأن يقنعه ويثبطه عن مصالحه ومنافعه ويثيب الصادق بأن يوقفه للقيام بمصالح دنياه وآخرته فاستجلبت مصالح الدنيا والآخرة بمثل الصدق ولا مفاسدهما ومضارهما بمثل الكذب : قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) وقال تعالى (هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم) وقال (فإذا عزم الأمر فلو صدقوا الله لكان خيراً لهم) وقال (وجاء المعدزون من الاعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم) *

فصل

في قوله تعالى (وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن

تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون)

في هذه الآية عدة حكم وأسرار ومصالح للعبد فان العبد إذا علم أن المكروه قد يأتي بالحبوب والمحبوب قد يأتي بالمكروه لم يأمن أن توافيه المضرة من جانب المسرة ولم يئأس أن تأتیه المسرة من جانب المضرة لعدم علمه بالعواقب فان الله يعلم منها ما لا يعلمه العبد أوجب له ذلك أموراً منها ١ أنه لا انفع له من امتثال الأمر وان شق عليه في الابتداء لأن عواقبه كلها خيرات ومسرات ولذات وأفراح وان كرهته نفسه فهو خير لها وأنفع : وكذلك لا شيء أضر عليه من

ارتكـب النـهى وان هـويـته نـفسه ومـالت اليـه وإن عـواقبـه كـلها آلام وأحـزان
وشـرور ومـصائب وخـاصة العـقل تـحمل الـأم الـيسير لـما يـعقبه مـن اللـذة العـظيمة
والخـير الكـثير واجـتـنـاب اللـذة الـيسيرة لـما يـعقبه مـن الـأم العـظيم والـشر الطـويل :
فـنـظـر الجـاهـل لـا يـجـاوز المـبـادىء الي غـايـاتها والعـاقل الكـيس دأبـه ينـظـر الي الغـايـات
مـن وراـء سـتـور مـبـادئها فيـرى ما وراـء تـلك السـتـور مـن الغـايـات المـحمـودة والمـذمـومة
فيـرى المـناهي كـطـعام لـذيذ قد خـلط فـيه سـم قاتـل فـكلـما دغـته لذـته الي تـناوـله نـهاه
ما فـيه مـن السـم ويرى الأوامر كـدواء كـريه المـذاق مـفض الي العـافية والـشفاء
وكـلـما نـهاه كـراة مـذاقه عـن تـناوـله أمره نـفعه بالتـناول ولـكن هـذا يـحتاج الي فـضل
عـلم تـدرك به الغـايـات مـن مـبـادئها وقـوة صـبر يـوطـن به نـفسه عـلى تـحـمل مـشـقة الطـريق
لـما يـؤمـل عـند الغـايـة فـإذا فـقد اليـقين والصـبر تـعـذر عـليه ذلـك وإذا قـوى يـقينـه
وصـبره هـان عـليه كـل مـشـقة يـتـحـملها في طـلب الخـير الدائم واللـذة الدائمة *

ومـن أسـرار هـذه الآيـة أنـها تـقتـضي مـن العـبد التـفويـض الي مـن يـعلم عـواقب
الأمـور والـرضا بـما يـختاره له ويقـضيه له لـما يـرجو فـيه مـن حـسن العـاقبة ﴿ومـنها﴾
أنـه لا يـقـترح عـلى ربه ولا يـختار عـليه ولا يـسألـه ما لـيس له به عـلم فـلـعل مـضـرتـه
وهـلاكـه فـيه وهـو لا يـعلم فـلا يـختار عـلى ربه شـيئاً بـل يـسألـه حـسن الـاخـتـيار له وأن
يـرضيه بـما يـختاره فـلا أنـفع له مـن ذلـك ﴿ومـنها﴾ أنـه إذا فـوض الي ربه ورضى
بـما يـختاره له أمدـه فـما يـختاره له بالقـوة عـليه والعـزيمة والصـبر وصـرف عـنه الآفـات
التي هـى عـرضـة اخـتـيار العـبد لـنـفسه وأراـه مـن حـسن عـواقب اخـتـياره له ما لم يـكن
ليـصل الي بـعضـه بـما يـختاره هـو لـنـفسه ﴿ومـنها﴾ أنـه يـرحـم مـن الأفـكار المـتـعبة في
أنـواع الـاخـتـيارات ويـفرغ قـلبه مـن التـقـديرات والتـدبـيرات التي يـصـعد مـنها في عـقبة
ويـنـزل في أـخرى ومـع هـذا فـلا خـروج له عـما قـدر عـليه فـلو رضى بـاخـتـيار الله أصـابه
القـدر وهـو مـحمـود مـشـكور مـلـطوف به فـيه والـا جـرى عـليه القـدر وهـو مـذمـوم غـير
مـلـطوف به فـيه لأنـه مـع اخـتـياره لـنـفسه ومـتي صـح تـفويـضه ورضاه اكـتـفـه في

المقدور العطف عليه والالطف به فيصير بين عطفه ولطفه فعطفه يقيه ما يحذره ولطفه يهون عليه ما قدره * إذا نفذ القدر في العبد كان من أعظم أسباب نفوذه تخيله في رده فلا أنفع له من الاستسلام والقاء نفسه بين يدي القدر طريقاً كالهيئة فان السبع لا يرضى بأكل الجيف *

فصل

لا ينتفع بنعمة الله بالإيمان والعلم الا من عرف نفسه ووقف بها عند قدرها ولم يتجاوزها الى ما ليس له ولم يتعدطوره ولم يقل هذا لي وتيقن أنه لله ومن الله وبالله فهو المان به ابتداء وادامة بلا سبب من العبد ولا استحقاق منه فتذله نعم الله عليه وتكسره كسرة من لا يري لنفسه ولا فيها خيراً ألبتة وان الخير الذي وصل اليه فهو لله وبه ومنه فتحدث له النعم ذلاً وانكساراً عجيباً لا يعبر عنه فكلماً جدد له نعمة ازداد له ذلاً وانكساراً وخشوعاً ومحبة وخوفاً ورجاء وهذا نتيجة علمين شريفين * علمه بربه وكاله وبره وغناه وجوده وإحسانه ورحمته وأن الخير كله في يديه وهو ملكه يؤتي منه من يشاء ويمنع منه من يشاء وله الحمد على هذا وهذا اكل حمد وأتمه * وعلمه بنفسه ووقوفه على حدها وقدرها وتقصها وظلمها وجهلها وأنها لا خير فيها ألبتة ولا لها ولا بها ولا منها وأنها ليس لها من ذاتها إلا العدم فكذلك من صفاتها وكلها ليس لها الا العدم الذي لا شيء أحقر منه ولا انقص فما فيها من الخير تابع لوجودها الذي ليس اليها ولا بها فاذا صار هذان العلمان صيغة لها لاصيغة (١) على لسانها علمت حينئذ أن الحمد كله لله والا أمر كلهه والخير كله في يديه وأنه هو المستحق للحمد والثناء والمدح دونها وأنها هي أولى بالذم والعيب واللوم ومن فاته التحقق بهذين العلمين تلونت به أقواله وأعماله

(١) كلامها مكتوب بالياء الثناء التحية والمعنى صحيح وربما كان الانسب ان يكون الاول فقط بالياء الموحدة من تحت *

وأحواله ونخبطة عليه ولم يهتد الى الصراط المستقيم الموصل له الى الله : فايصال العبد بتحقيق هاتين المعرفتين علما وحالا وانقطاعه بفواتهما وهذا معنى قولهم من عرف نفسه عرف ربه فانه من عرف نفسه بالجهل والظلم والعيب والنقائص والحاجة والفقر والذل والمسكنة والتعدم عرف ربه بضد ذلك فوقف بنفسه عند قدرها ولم يتعد بها طورها وأثنى علي ربه ببعض ما هو أهله وانصرفت قوة حبه وخشيته ورجائه وإنايته وتوكله إليه وحده وكان أحب شيء إليه وأخوف شيء عنده وأرجاه له وهذا هو حقيقة العبودية والله المستعان *

ويحكى ان بعض الحكماء كتب علي باب بيته إنه لن ينتفع بحكمتنا إلا من عرف نفسه ووقف بها عند قدرها فمن كان كذلك فليدخل وإلا فليرجع حتي يكون بهذه الصفة *

فصل

الصبر عن الشهوة أسهل من الصبر على ما توجبه الشهوة فانها اما ان توجب ألما وعقوبة وإما أن تقطع لذة أكل منها وإما ان تضيع وقتا إضاعته حسرة وندامة وإما أن تلم عرضا توفيره أنفع للعبد من ثلمه وإما أن تذهب مالا بقاءه خير له من ذهابه وإما أن تضع قدرا وجاها قيامه خير من وضعه: وإما أن تسلب نعمة بقاءها ألد وأطيب من قضاء الشهوة وإما أن تطرق لوضيع اليك طريقا لم يكن يجدها قبل ذلك: وإما ان تجلب لها وغما وحزنا وخوفا لا يقارب لذة الشهوة: وإما أن تنسى علما ذكره الذم نيل الشهوة: وإما أن تشمت عدوا وتحزن وليا: وإما أن تقطع الطريق علي نعمة مقبلة: وإما ان تحدث عيبا يبقى صفة لا نزول فان الاعمال تورث الصفات والأخلاق *

فصل

للاخلاق حد متي جاوزته صارت عدوانا ومتي قصرت عنه كان تقصا ومهانة

فلافض حد وهو الشجاعة المحمودة والانفة من الرذائل والنقااص وهذا كماله:
 فاذا جاوز حده تعدى صاحبه وجار وان نقص عنه جبن ولم يأنف من الرذائل:
 وللحرص حد وهو الكفاية في امور الدنيا وحصول البلاغ منها فتى نقص من
 ذلك كان مهانة واضاعة ومتى زاد عليه كان شرها ورغبة فيمالا تحمد الرغبة فيه:
 وللحسد حد وهو المنافسة في طلب الكمال والانفة أن يتقدم عليه نظيره فتى
 تعدى ذلك صار بغيا وظلما يتمنى معه زوال النعمة عن المحسود ويحرص على
 ايدائه ومتى نقص عن ذلك كان دناءة وضعف همة وصغر نفس * قال النبي
 ﷺ « لاحسد الا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق
 ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها الناس » فهذا حد منافسة يطالب
 الحاسد به نفسه أن يكون مثل المحسود لاحسد مهانة يتمنى به زوال النعمة عن
 المحسود * وللشهوة حد وهو راحة القلب والعقل من كد الطاعة واكتساب
 الفضائل والاستعانة بقضائها على ذلك فتى زادت على ذلك صارت نهمة وشبعا
 والتحق صاحبها بدرجة الحيوانات ومتى نقصت عنه ولم يكن فراغا في طلب
 الكمال والفضل كانت ضعفا وعجزا ومهانة وللراحة حد وهو اجماع النفس والقوى
 المدركة والفعالة للاستعداد للطاعة واكتساب الفضائل وتوفيرها على ذلك بحيث
 لا يضعفها الكد والتعب ويضعف أثرها فتى زاد على ذلك صار توانيا وكسلا
 واضاعة وفات به أكثر مصالح العبد ومتى نقص عنه صار مضرا بالقوى موهنا
 لها وربما انقطع به كالمئبت الذي لا ارضا قطع ولا ظهرا أبقي : والوجود له حد
 بين طرفين فتى جاوز حده صار اسرافا وتبذيرا ومتى نقص عنه كان بخلا وتقتيرا:
 وللشجاعة حد متي جاوزته صارت تهورا ومتى نقصت عنه صارت جبنًا وخوراً
 وحدها الاقدام في مواضع الاقدام والاحجام في مواضع الاحجام كما قال معاوية
 لعمر بن العاص أعياني أن أعرف أشجاعا أنت أم جباناً تقدم حتي أقول من
 أشجع الناس وتجن حتي أقول من أجبن الناس فقال :

شجاع إذا ما امكنتى فرصة * فان لم تكن لي فرصة فجان
والغيرة لها حد إذا جاوزته صارت تهمة وظنا سيئا بالبرى. وإن قصر
عنه كانت تغافلا ومبادئ، ديانة : وللتواضع حدا إذا جاوزه كان ذلا ومهانة ومن
قصر عنه انحرف إلى الكبر والفخر : وللعز حدا إذا جاوزه كان كبرا وخلقا مذموما
وإن قصر عنه انحرف إلى الذل والمهانة *

وضابط هذا كله العدل وهو الأخذ بالوسط الموضوع بين طرفي الإفراط
والتفريط وعليه بناء مصالح الدنيا والآخرة بل لا تقوم مصلحة البدن إلا به فانه
متي خرج بعض أخلاطه عن العدل وجاوزه أو نقص عنه ذهب من صحته وقوته
بحسب ذلك : وكذلك الأفعال الطبيعية كالنوم والسهر والأكل والشرب
والجماع والحركة والرياضة والخلة والمحالطة وغير ذلك إذا كانت وسطا بين الطرفين
المذمومين كانت عدلا وإن انحرفت إلى أحدهما كانت نقصا وأثمرت نقصا :
فمن أشرف العلوم وأنفعها علم الحدود ولا سيما حدود المشروع للمأمور والمنهى :
فاعلم الناس اعلمهم بتلك الحدود حتى لا يدخل فيها ما ليس منها ولا يخرج منها ما هو داخل
فيها : قال تعالى (الأعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل
الله على رسوله) فاعلم الناس من قام بمحدود الاخلاق والاعمال والمشروعات
معرفة وفعلًا : وبالله التوفيق *

فصل

قال أبو الدرداء رضي الله عنه يا حبذا نوم الاكياس وفطرم كيف يفبنون
به قيام الحقى وصومهم والذرة من صاحب تقوى أفضل من أمثال الجبال عبادة
من المغترين * وهذا من جواهر الكلام وأدله على كمال فقه الصحابة وتقديمهم
على من بعدهم في كل خير رضي الله عنهم *

فاعلم أن العبد إنما يقطع منازل السير إلى الله بقلبه وهمة لا يدينه : والتقوى في
الحقيقة تقوى القلوب لا تقوى الجوارح : قال تعالى (ذلك ومن يعظم شعائر الله

فاتها من تقوى القلوب) وقال (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم) وقال النبي ﷺ « التقوى ههنا وأشار الى صدره » فالكيس يقطع من المسافة بصحة العزيمة وعلو الهمة وتجريد القصد وصحة النية مع العمل القليل اضعاف اضعاف ما يقطعه الفارغ من ذلك مع التعب الكثير والسفر الشاق فان العزيمة والمحبة تذهب المشقة وتطيب السير: والتقدم والسبق الى الله سبحانه انما هو بالهمم وصدق الرغبة والعزيمة فيتقدم صاحب الهمة مع سكونه صاحب العمل الكثير بمراحل فان ساواه في همته تقدم عليه بعمله وهذا موضع يحتاج الى تفصيل يوافق فيه الاسلام الاحسان *

فاكمل الهدى هدى رسول الله ﷺ وكان موفيا كل واحد منهما حتى فاته فكان مع كماله وإرادته وأحواله مع الله يقوم حتى ترم قدماءه وبصوم حتى لا يفطر ويجهاد في سبيل الله وبخالط أصحابه ولا يحتجب عنهم: ولا يترك شيئا من النوافل والاوراد لتلك الواردات التي تعجز عن حملها قوى البشر والله تعالى أمر عباده أن يقوموا بشرائع الاسلام على ظواهرهم وحقائق الايمان على باطنهم ولا يقبل واحدا منهما الا بصاحبه وقرينه * وفي المسند مرفوعا « الاسلام علانية والايمان في القلب » فكل اسلام ظاهر لا ينفذ صاحبه منه الى حقيقة الايمان الباطنة فليس بنافع حتى يكون معه شيء من الايمان الباطن وكل حقيقة باطنة لا يقوم صاحبها بشرائع الاسلام الظاهرة لا تنفع ولو كانت ما كانت فلو تمزق القلب بالحجة والخوف ولم يتعبد بالامر وظاهر الشرع لم ينج ذلك من النار كما أنه لو قام بظواهر الاسلام وليس في باطنه حقيقة الايمان لم ينج ذلك من النار:

وإذا عرف هذا فالصادقون السائرون الى الله والدار الآخرة قسمان (قسم) صرفوا ما فضل من أوقاتهم بعد الفرائض الى النوافل البدنية وجعلوها دأبهم من غير حرص منهم على تحقيق أعمال القلوب ومنازلها وأحكامها وان لم يكونوا خالين من أصلها ولكن همهم مصروفة الى الاستكثار من الأعمال: (وقسم) صرفوا

ما فضل من الفرائض والسنن الى الاهتمام بصلاح قلوبهم وعكوفها على الله وحده والجمعية عليه وحفظ الخواطر والارادات معه وجعلوا قوة تعبدتهم بأعمال القلوب من تصحيح المحبة والخوف والرجاء والتوكل والانابة ورأوا أن أيسر نصيب من الواردات التي ترد على قلوبهم من الله أحب اليهم من كثير من التطوعات البدنية فاذا حصل لأحدهم جمعية ووارد أنس أو حب أو اشتياق أو انكسار وذلل لم يستبدل به شيئاً سواه البتة الا أن يجيء الأمر فيبادر اليه بذلك الوارد إن أمكنه والا بادر الى الامر ولو ذهب الوارد فاذا جاءت النوافل فهنا معترك التردد فان أمكن القيام اليها به فذاك والا نظر في الأرجح والاحب الى الله هل هو القيام الى تلك النافلة ولو ذهب وارده كإغاثة الملهوف وإرشاد ضال وجبر مكسور واستفادة إيمان ونحو ذلك فهنا ينبغي تقديم النافلة الراجحة ومتي قدمها لله رغبة فيه وتقرباً إليه فانه يرد عليه مافات من وارده أقوى مما كان في وقت آخر وإن كان الوارد أرجح من النافلة فالحزم له الاستمرار في وارده حتي يتواري عنه فانه يغتور والنافلة لا تغتور : وهذا موضع يحتاج الى فضل فقه في الطريق ومراتب الأعمال وتقديم الالم منها فالأهم والله الموفق لذلك لا إله غيره . ولا رب سواه *

فصل

أصل الاخلاق المذمومة كلها الكبر والمهانة والدناءة : وأصل الاخلاق الحمودة كلها الخشوع وعلو الهمة والفخر والبطر والأشر والعجب والحسد والبغى والخيلاء والظلم والقسوة والتجبر والاعراض وإباء قبول النصيحة والاستئثار وطلب العلو وحب الجاه والرياسة : وأن يحمد بما لم يفعل : وأمثال ذلك كلها ناشئة من الكبر : وأما الكذب والخسة والخيانة والرياء والمكر والخديعة والطمع والفرع والجبن والبخل والعجز والكسل والذل لغير الله واستبدال الذي هو

أدنى بالذى هو خير ونحو ذلك فإنها من المهانة والدناءة وصغر النفس * وأما الاخلاق الفاضلة كالصبر والشجاعة والعدل والمروءة والعفة والصيانة والجود والحلم والعفو والصفح والاحتمال والايثار وعزة النفس عن الدنآت والتواضع والقناعة والصدق والاخلاق والمسكافاة على الاحسان بمثله أو أفضل والتغافل عن زلات الناس وترك الاشتغال بما لا يعنيه وسلامة القلب من تلك الاخلاق المذمومة ونحو ذلك فكلها ناشئة عن الخشوع وعلو الهمة والله سبحانه أخبر عن الأرض بأنها تكون خاشعة ثم ينزل عليها الماء فتهتز وتربو وتأخذ زينتها وبهجتها فكذلك المخلوق منها اذا أصابه حظه من التوفيق : وأما النار فطبعها العلو والافساد ثم تحمد فتصير أحقر شيء وأذله : وكذلك المخلوق منها فهى دائما بين العلو اذا هاجت واضطربت وبين الخسة والدناءة اذا خمدت وسكنت : والاخلاق المذمومة تابعة للنار والمخلوق منها والاخلاق الفاضلة تابعة للأرض والمخلوق منها فمن علت همته وخشعت نفسه اتصف بكل خلق جميل ومن دنت همته وطغت نفسه اتصف بكل خلق رذيل *

فصل

المطلب الأعلى موقوف حصوله على همة عالية ونية صحيحة فمن قدحهما تغذر عليه الوصول اليه فان الهمة اذا كانت عالية تعلقت به وحده دون غيره واذا كانت النية صحيحة سلك العبد الطريق الموصلة اليه فالنية تفرد له الطريق والهمة تفرد له المطلوب : فاذا توحد مطلوبه والطريق الموصلة اليه كان الوصول غايته : واذا كانت همته سافلة تعلقت بالسفليات ولم تتعلق بالمطلب الأعلى واذا كانت النية غير صحيحة كانت طريقه غير موصلة اليه : فمدار الشأن على همة العبد ونيتيه وهما مطلوبه وطريقه ولا يتم له الا بترك ثلاثة أشياء : العوائد والرسوم والاوزاع التى أحدها الناس (الثاني) (١) هجر العوائق التى تعوقه عن افراد مطلوبه وطريقه (١) الثاني هو مقابل للأول المأخوذ من المقام المشار اليه بقوله الموائد والرسوم والاوزاع :

وقطعها : الثالث قطع علائق القلب التي تحول بينه وبين تجريد التعلق بالمطلوب والفرق بينهما أن العوائق هي الحوادث الخارجية والعلائق هي التعلقات القلبية بالمباحات ونحوها : وأصل ذلك ترك الفضول التي تشغل عن المقصود من الطعام والشراب والنمائم والخلطة فيأخذ من ذلك ما يعينه على طلبه ويرفض منه ما يقطعه عنه أو يضعف طلبه والله المستعان *

فصل

من كلام عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : قال (١) رجل عنده ما أحب أن أكون من أصحاب اليمين أحب أن أكون من المقرين فقال عبد الله لكن ههنا رجل ود أنه إذا مات لم يبعث يعني نفسه * وخرج ذات يوم فاتبعه ناس فقال لهم ألكم حاجة قالوا لا ولكن أردنا أن نمشي معك قال ارجعوا فإنه ذلة للتابع وفتنة للمتبع * وقال لو تعلمون مني ما أعلم من نفسي لحشتم على رأسي التراب * وقال حبذا المسكروهان الموت والفقر وأيم الله إن هو إلا الغنى والفقر وما أبالي بأيهما بليت أرجو الله في كل واحد منهما إن كان الغنى إن فيه للعطف وإن كان الفقر إن فيه للصبر * وقال انكم في ممر الليل والنهار في آجال منقوصة وأعمال محفوظة والموت يأتي بغتة فمن زرع خيراً فيوشك أن يحصد رغبة ومن زرع شراً فيوشك أن يحصد ندامة ولكل زارع مثل ما زرع لا يسبق بطله بحظه ولا يدرك حريص ما لم يقدر له من أعطى خيراً فآله أعطاه ومن وقى شراً فآله وقاه المتقون سادة والفقهاء قادة ومجاستهم زيادة إنما هما اثنتان الهدى والكلام فافضل الكلام كلام الله وأفضل الهدى هدى محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة فلا يطلون عليكم الأمد ولا يلهينكم الأمل فإن كل ما هو آت قريب الاوان البعيد ما ليس آتيا الاوان الشقي من شقي في بطن امه وإن السعيد من وعظ

(١) قال فاعله رجل وليس ضميراً يعود على ابن مسعود وقوله ما أحب الخ مقول القول (م ١٩ — فوائد)

بغيره الاوان قتال المسلم كفر وسبابه فسوق ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام حتي يسلم عليه اذا لقيه ويحييه اذا دعاه ويعوده اذا مرض الاوان شر الروايا روايا الكذب الاوان الكذب لا يصلح منه جد ولا هزل ولا أن يعد الرجل صبيه شيئاً ثم لا ينجزه الاوان الكذب يهدي الي الفجور والفجور يهدي الي النار والصدق يهدي الي البر والبر يهدي الي الجنة وانه يقال للصادق صدق وبر ويقال للكاذب كذب ونجر وان محمداً ﷺ حدثنا أن الرجل ليصدق حتي يكتب عند الله صديقاً ويكذب حتي يكتب عند الله كذاباً إن أصدق الحديث كتاب الله وأوثق العرى كلمة التقى وخير الملة ملة ابراهيم وأحسن السنن سنة محمد ﷺ وخير الهدي هدي الانبياء وأشرف الحديث ذكر الله وخير القصص القرآن وخير الأمور عواقبها وشر الأمور محدثاتها وما قل وكفى خير مما كثر وألهى ونفس تنجها خير من إمارة لا تحصيها وشر المعذرة حين يحضر الموت وشر الندامة ندامة يوم القيامة وشر الضلالة الضلالة بعد الهدي وخير الغنى غنى النفس وخير الزاد التقوي وخير ما أتى في القلب اليقين والريب من الكفر وشر العمى عمى القلب والخرج جامع الأثم والنساء جبايل الشيطان والشباب شعبة من الجنون: والنوح من عمل الجاهلية: ومن الناس من لا يأتي الجمعة الا دبراً (١) ولا يذكر الله الا هجراً: وأعظم الخطايا الكذب ومن يعف يعف الله عنه: ومن يكظم الغيظ يأجره الله: ومن يغفر يغفر الله له: ومن يصبر على الرزية يعقبه الله (٢) وشر المكاسب كسب الربا: وشر المآكل مال اليتيم وأنما يكفي أحدكم ما قنعت به نفسه وأنما يصير الي أربعة أذرع والأمر الي آخره: وملاك العمل خواتمه: وأشرف الموت قتل الشهداء: ومن يستكبر يضعه الله ومن يعص الله يقطع الشيطان: ينبغى لحامل القرآن أن يعرف بليته اذا الناس نائمون وبنهاره اذا الناس مفطرون وبحزنه اذا الناس يفرحون ويكاثه اذا الناس

(١) معني دبراً انه يأتي الصلاة حين يدبر وقتها (٢) يجمل الله العاقبة له

يضحكون وبهيمته اذا الناس يخوضون: وبخشوعه اذا الناس يخجلون وينبغي لحامل القرآن أن يكون باكياً محزوناً وحكيماً حليماً سكيناً: ولا ينبغي لحامل القرآن أن يكون جافياً ولا غافلاً ولا سخياً ولا صياعاً ولا حديداً من تطاول تعظا حطه الله من تواضع تخشعاً رضى الله: وان الملك لمع ولا شيطان لمع فلعة الملك ايعاد بالخير وتصديق بالحق فاذا رأيتم ذلك فاحمدوا الله ولع الشيطان ايعاد بالشر وتكذيب بالحق فاذا رأيتم ذلك فمعوذوا بالله ان الناس قد أحسنوا القول فمن وافق قوله فعله فذاك الذي أصاب حظه ومن خالف قوله فعله فذاك انما يوبخ نفسه لا ألفين أحدكم جيفة ليل قطرب نهار إني لا بغض الرجل أن أراه فارغاً ايس في شيء من عمل الدينار لا عمل الآخرة ومن لم تأمره الصلاة بالمعروف وتنهه عن المنكر لم يزد بها من الله الا بعداً: من اليقين أن لا ترضي الناس بسخط الله ولا تحمد أحد على رزق الله ولا تلوم أحد على ما لم يؤت الله فان رزق الله لا يسوقه حرص حريص ولا يرده كراهة كاره وان الله بقسطه وحلمه وعدله جعل الروح والفرح في اليقين والرضا وجعل الهم والحزن في الشك والسخط: مادمت في صلاة فأنت تفرع باب الملك ومن يفرع باب الملك يفتح له: إني لأحسب الرجل ينسى العلم كان يعلمه بالخطيئة يعملها كونوا ينابيع العلم مصابيح الهدى أحلاس البيوت سرج الليل جدد القلوب خلقان الثياب تعرفون في السماء وتخفون على أهل الأرض * إن للقلوب شهوة وإدباراً فاغتنموها عند شهوتها واقبالها ودعوها عند قترتها وادبارها * ليس العلم بكثرة الرواية ولكن العلم الخشية: أنكم ترون الكافر من أصح الناس جسماً وأمرضه قلباً وتلقون المؤمن من أصح الناس قلباً وأمرضه جسماً وأيم الله لو مرضت قلوبكم وصحت أجسامكم لكنتم أهون على الله من الجعلان * لا يبلغ العبد حقيقة الايمان حتي يحل بذروته ولا يحل بذروته حتي يكون الفقراء أحب اليه من الغنى والتواضع أحب اليه من الشرف وحيي يكون حامده وذامه عنده سواء وان الرجل ليخرج من بيته ومع دينه فيرجم ومعه منه شيء يأتي الرجل (١) ولا

(١) يأتي الرجل فعل ومفعول والفاعل يعود على الرجل المذكور قبله: وقوله ذيت وذيت يعني كيت وكيت كناية عن عبارات المدح تمثلاً:

يملك له ولا لنفسه ضراً ولا نفعا فيقسم له بالله أنك لذيت وذيت فيرجع وماجبي
 من حاجته بشيء ويسخط الله عليه * لو سخرت من كلب لحشيت أن أحول
 كلباً * الأثم حواز (١) القلوب * ما كان من نظرة فان للشيطان فيها مطمعا
 مع كل فرحة ترحه وما ملئ بيت حبرة (٢) الأملئ عبدة * وما منكم الاضيف وماله
 عارية فالضيف مرتحل والعارية مؤداة الى أهلها * يكون في آخر الزمان
 أقوام أفضل أعمالهم التلاوم بينهم يسمون الأتتان (٣) * اذا أحب الرجل
 أن ينصف من نفسه نليات الى الناس الذي يحب أن يؤتى اليه * الحق ثقيل مريء والباطل
 خفيف وبنيء * رب شهوة تورث حزنا طويلا * ما على وجه الأرض شيء أحوج الى طول
 سجن من لسان * اذا ظهر الزنا والزبا في قرية أذن بهلاكها * من استطاع منكم
 أن يجعل كنز في السماء حيث لا يأكله السوس ولا يناله السراق فليفعل فان
 قلب الرجل مع كنزه * لا يقلدن أحدكم دينه رجلا فان آمن آمن وإن كفر
 كفر وإن كنتم لابد مقتدين فاقتدوا بالميت فان الحي لا تؤمن عليه الفتنة *
 لا يكن أحدكم إمعة قالوا وما الإمعة قال يقول أنا مع الناس ان اهدتوا اهتديت
 وان ضلوا ضللت ألا ليوطن أحدكم نفسه على أنه ان كفر الناس لا يكفر * وقال
 له رجل علمني كلمات جوامع نوافع فقال اعبد الله لا تشرك به شيئا وزل مع
 القرآن حيث زال ومن جاءك بالحق فاقبل منه وان كان بعيدا بغضاً ومن جاءك
 بالباطل فاردد عليه وان كان حبيباً قريباً يؤتي بالعبد يوم القيامة فيقال له أدامتلك
 فيقول يارب من أين وقد ذهبت الدنيا فتمثل علي هيئتها يوم أخذها في قعر جهنم
 فيزل فيأخذها فيضعها على عاتقه فيصعد بها حتى اذا ظن أنه خارج بها هوت
 وهوي في أثرها أبد الآبدين * ادلب قلبك في ثلاثة مواطن عند سماع القرآن
 وفي مجالس الذكر: وفي أوقات الخلوة فان لم تجده في هذه المواطن فسل الله أن

(١) فيه ثلاث روايات حواز كشداد وحواز كدواب وحزاز كغزاز والمشهور بقتديده
 الراي والمعي أنه يجمع القلوب ويطلب عليها : (٢) الحبرة النعمة وسعة العيش
 (٣) الاتتان جمع تن من كان به راحة كربية

يمن عليك بقلب فانه لا قلب لك * قال الجنيد دخلت على شاب فسألني عن التوبة فأجبتة فسألني عن حقيقتها فقلت أن تنصب ذنبك بين عينيك حتي يأتبك الموت فقال لي مه ما هذا حقيقة التوبة فقلت له فما حقيقة التوبة عندك يا فتى قال أن تنسي ذنبك وتركي ومضي فكيف هو عندك يا أبا القاسم فقلت القول ما قال الفتى قل كيف قلت اذا كنت معه في حال ثم نقلني من حال الجفا الى حال الوفا فذكرني للجفا في حال الوفا جفا *

فصل

لا يجتمع الاخلاص في القلب ومحبة المدح والثناء والطمع فيما عند الناس الا كما يجتمع الماء والنار والضب والحوت فاذا حدثتكَ نفسك بطلب الاخلاص فاقبل على الطمع أولا فاذهب بحسب اليأس واقبل على المدح والثناء فازهد فيها زهد عشاق الدنيا في الآخرة فاذا استقام لك ذبح الطمع والزهد في الثناء والمدح سهل عليك الاخلاص ﴿ فان قلت ﴾ وما الذي يسهل علي ذبح الطمع والزهد في الثناء والمدح : قلت أما ذبح الطمع فيسهله عليك علمك يقيناً أنه ليس من شيء يطعم فيه الا ويبد الله وحده خزائنه لا يملكها غيره ولا يؤتي العبد منها شيئاً سواه . وأما الزهد في الثناء والمدح فيسهله عليك علمك أنه ليس أحد ينفع مدحه ويزين ويضر ذمه ويشين الا الله وحده كما قال ذلك الاعرابي للنبي ﷺ ان مدحى زين وذمى شين فقال ذلك الله عز وجل : فازهد في مدح من لا يزينك مدحه وفي ذم من لا يشينك ذمه وارغب في مدح من كل الزين في مدحه وكل الشين في ذمه ولن يقدر على ذلك الا بالصبر واليقين فتى فقدت الصبر واليقين كنت كمن أراد السفر في البحر في غير مركب : قال تعالى (فاصبر ان وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون) وقال تعالى (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون) *

فصل

لذة كل أحد على حسب قدره وهمته وشرف نفسه : فأشرف الناس نفساً وأعلام همة وأرفعهم قدراً من لذته في معرفة الله ومحبته والشوق الى لقائه والتودد اليه بما يحبه ويرضاه فلذته في اقباله عليه وعكوف همته عليه ودون ذلك مراتب لا يحصيها الا الله حتى تنتهي الى من لذته في أخس الأشياء من القاذورات والفواحش في كل شيء من الكلام والفعال والاشغال : فلو عرض عليه ما يلتذ به الاول لم تسمح نفسه بقبوله ولا الالتفات اليه وربما تأملت من ذلك كما أن الاول اذا عرض عليه ما يلتذ به هذا لم تسمح نفسه به ولم تلتفت اليه ونفرت نفسه منه * وأكمل الناس لذة من جمع له بين لذة القلب والروح ولذة البدن فهو يتناول لذاته المباحة على وجه لا ينقص حظه من الدار الآخرة ولا يقطع عليه لذة المعرفة والمحبة والأنس بربه : فهذا من قال تعالى فيه (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة) وأنجزهم حظاً من اللذة من تناولها على وجه يحول بينه وبين لذات الآخرة فيكون ممن يقال لهم يوم استيفاء اللذات (أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها) فهؤلاء تمتعوا بالطيبات وأولئك تمتعوا بالطيبات وأفترقوا في وجه التمتع فأولئك تمتعوا بها على الوجه الذي أذن لهم فيه فجمع لهم بين لذة الدنيا والآخرة وهؤلاء تمتعوا بها على الوجه الذي دعاهم اليه الهوى والشهوة وسواء أذن لهم فيه أم لا فانقطعت عنهم لذة الدنيا وفاتتهم لذة الآخرة فلا لذة الدنيا دامت لهم ولا لذة الآخرة حصلت لهم فمن أحب اللذة ودوامها والعيش الطيب فليجعل لذة الدنيا موصلاً له الى لذة الآخرة بأن يستعين بها على فراغ قلبه لله ارادته وعبادته فيتناولها بحكم الاستعانة والقوة على طلبه لا بحكم مجرد الشهوة والهوى وان كان ممن زويت عنه لذات الدنيا وطيباتها فليجعل ما نقص منها زيادة في

لذة الآخرة ويحجم نفسه هنا بالترك ليستوفيها كاملة هناك فطيات الدنيا ولذاتها نعم العون لمن صح طلبه لله والدار الآخرة وكانت همه لما هناك وبئس القاطع لمن كانت هي مقصوده وهمته وحوها يدندن وفواتها في الدنيا نعم العون لطالب الله والدار الآخرة وبئس القاطع النازع من الله والدار الآخرة: فمن أخذ منافع الدنيا على وجه لا ينقص خطه من الآخرة ظفر بها جميعاً والاخرى جميعاً * سبحان الله رب العالمين لولم (١) يكن في ترك الذنوب والمعاصي الاقامة المروءة وصون العرض وحفظ الجاه وصيانة المال الذي جعله الله قواماً لمصالح الدنيا والآخرة ومحبة الخلق وجواز القول بينهم وصلاح المعاش وراحة البدن وقوة القلب وطيب النفس ونعيم القلب وانشراح الصدر: والأمن من مخاوف الفساق والفجار: وقلة الهم والغم والحزن وعز النفس عن احتمال الذل: وصون نور القلب ان تطفئه ظلمة المعصية وحصول المخرج له مما ضاق على الفساق والفجار: وتيسير الرزق عليه من حيث لا يحتسب: وتيسير ما عسر على أرباب الفسوق والمعاصي: وتسهيل الطاعات عليه وتيسير العلم والثناء الحسن في الناس وكثرة الدعاء له والحلاوة التي يكتسبها وجهه والمهابة التي تلقى له في قلوب الناس: وانتصارهم وحميتهم له إذا أودى وظلم وذهبهم عن عرضه إذا اغتابه مغتاب وسرعة اجابة دعائه وزوال الوحشة التي بينه وبين الله وقرب الملائكة منه وبعد شياطين الانس والجن منه: وتنافس الناس على خدمته وقضاء حوائجه: وخطبتهم لمودته وصحبته: وعدم خوفه من الموت بل يفرح به تقدمه على ربه واقائه له ومصيره اليه: وصغر الدنيا في قلبه وكبر الآخرة عنده وحرصه على الملك الكبير والفوز العظيم فيها: وذوق حلاوة الطاعة ووجد حلاوة الايمان ودعاء حملة العرش ومن حوله من الملائكة له وفرح الكاتبين به ودعائهم له كل وقت والزيادة في عقله وفهمه وإيمانه ومعرفته وحصول محبة الله له وإقباله عليه وفرحه بتوبته وهكذا يجازيه بفرح وسرور لانسبة له إلي فرحه وسروره بالمعصية بوجه من الوجوه *

فهذه بعض آثار ترك المعاصي في الدنيا فاذا مات تلقته الملائكة بالبشرى من ربه بالجنة وبأنه لا خوف عليه ولا حزن وينتقل من سجن الدنيا وضيقها إلى روضة من رياض الجنة ينعم فيها إلى يوم القيامة فاذا كان يوم القيامة كان الناس في الحر والعرق وهو في ظل العرش فاذا انصرفوا من بين يدي الله أخذ به ذات اليمين مع أوليائه المتقين وحزبه المفلحين وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم *

فصل

ذكر ابن سعد في الطبقات عن عمر بن عبد العزيز انه كان اذا خطب على المنبر فخاف على نفسه العجب قطعه واذا كتب كتابا فخاف فيه العجب مزقه ويقول اللهم اني أعوذ بك من شر نفسي : اعلم أن العبد اذا شرع في قول أو عمل يتبغى به مرضاة الله مطالعا فيه منة الله عليه به وتوفيقه له فيه وانه بالله لا بنفسه ولا بمعرفته وفكره وحوله وقوته بل هو بالذي أنشأ له اللسان والقلب والعين والأذن : فالذى من عليه بذلك هو الذى من عليه بالقول والفعل فاذا لم يرغب ذلك عن ملاحظته ونظر قلبه لم يحضره العجب الذى أصله رؤية نفسه وغيبته عن شهود منة ربه وتوفيقه واعانتة فاذا غاب عن تلك الملاحظة وثبت النفس وقامت في مقام الدعوى فوقع العجب ففسد عليه القول والعمل فتارة يحال بينه وبين تمامه ويقطع عليه ويكون ذلك رحمة به حتى لا يغيب عن مشاهدة المنّة والتوفيق وتارة يتم له ولكن لا يكون له ثمرة وإن أثمر أثمر ثمرة ضعيفة غير محصلة للمقصود وتارة يكون ضرره عليه أعظم من انتفاعه ويتولد له منه مفاسد شتى بحسب غيبته عن ملاحظة التوفيق والمنّة ورؤية نفسه وإن القول والفعل به *

ومن هذا الموضع يصلح الله سبحانه أقوال عبده وأعماله ويعظم له ثمرتها أو يفسدها عليه ويمتنع ثمرتها فلا شيء أفسد للأعمال من العجب ورؤية النفس فاذا أراد الله

بعده خيراً أشهده منته وتوفيقه وإعانتته له في كل ما يقوله ويفعله فلا يعجب به ثم أشهده تقصيره فيه وأنه لا يرضي لربه به فيتوب اليه منه ويستغفره ويستحي أن يطلب عليه أجراً وإذا لم يشهده ذلك وغيبه عنه فرأي نفسه في العمل ورآه بعين السكالم والرضالم يقع ذلك العمل منه موقع القبول والرضا والمحبة فالعارف يعمل العمل لوجهه مشاهداً فيه منته وفضله وتوفيقه معتذراً منه اليه مستحيًا منه إذ لم يوفه حقه والجاهل يعمل العمل لحظه وهواه ناظراً فيه الي نفسه بمن به علي ربه راضياً بعمله فهذا لون وذاك لون آخر *

فصل

الوصول الى المطلوب موقوف علي هجر العوائد وقطع العوائق : فالعوائد السكون الى الدعة والراحة وما ألفتها الناس واعتادوه من الرسوم والأوضاع التي جعلوها بمنزلة الشرع المتبع بل هي عندهم أعظم من الشرع فانهم ينكرون على من خرج عنها وخالفها مالا ينكرون على من خالف صريح الشرع وربما كفروه أو بدعوه وضلالة أو هجره وعاقبوه لمخالفة تلك الرسوم وأماتوا لها السنن ونصبوها أندادا للرسول يوالون عليها ويعادون : فالمعروف عندهم ما وافقهم والمنكر ما خالفها *

وهذه الأوضاع والرسوم قد استولت على طوائف بني آدم من الملوك والولاة والفقهاء والصوفية والفقراء والمطوعين والعامّة : فربي فيها الصغير ونشأ عليها الكبير واتخذت سننا بل هي أعظم عند أصحابها من السنن : الواقف معها محبوس والمتقيد بها منقطع عم بها المصاب : وهجر لاجلها السنة والكتاب : من استنصر بها فهو عند الله مخذول : ومن اقتدى بها دون كتاب الله وسنة رسوله فهو عند الله غير مقبول : وهذه أعظم الحجب والموانع بين العبد وبين النفوذ الى الله ورسوله *

فصل

وأما العوائق فهي أنواع المخالفات ظاهرها وباطنها فانها تعوق القلب عن سيره الى الله وتقطع عليه طريقه وهي ثلاثة أمور : شرك : وبدعة : ومعصية فيزول عائق الشرك بتجريد التوحيد وعائق البدعة بتحقيق السنة : وعائق المعصية بتصحيح التوبة وهذه العوائق لا تتبين للعبد حتي يأخذ في أهبة السفر ويتحقق بالسير الى الله والدار الآخرة فينثذ تظهر له هذه العوائق ويحسن بتعويضها له بحسب قوة سيره وتجرده للسفر والا فما دام قاعدا لا يظهر له كوامنها وقواطعها *

فصل

وأما العلائق فهي كل ما يتعلق به القلب دون الله ورسوله من ملاذ الدنيا وشهواتها ورياساتها وصحبة الناس والتعلق بهم ولا سبيل له الى قطع هذه الأمور الثلاثة ورفضها إلا بقوة التعلق بالمطلب الأعلى والاقطعها عليه بدون تعلقه بمطلوبه ممتنع فان النفس لا تترك مألوفها ومحبوبها الا لمحبوب هو أحب اليها منه وآثر عندها منه وكما قوي تعلقه بمطلوبه ضعف تعلقه بغيره وكذا بالعكس والتعلق بالمطلوب هو شدة الرغبة فيه وذلك على قدر معرفته به وشرفه وفضله على ما سواه *

فصل

لما كمل الرسول ﷺ مقام الافتقار الى الله سبحانه أحوج الخلائق كلهم اليه في الدنيا والآخرة : أما حاجتهم اليه في الدنيا فأشد من حاجتهم الي الطعام واشرب والنفس الذي به حياة ابدانهم : وأما حاجتهم اليه في الآخرة فانهم يستشفعون بالرسول الى الله حتى يريحهم من ضيق مقامهم : فكأنهم يتأخرون عن الشفاعة فيشفع لهم وهو الذي يستفتح لهم باب الجنة *

فصل

من علامات السعادة والفلاح ان العبد كلما زيد في علمه زيد في تواضعه ورحمته : وكلما زيد في عمله زيد في خوفه وحذره : وكلما زيد في عمره نقص من حرصه : وكلما زيد في ماله زيد في سخائه وبذله : وكلما زيد في قدره وجاهه زيد في قربه من الناس وقضاء حوائجهم والتواضع لهم *

وعلامات الشقاوة أنه كلما زيد في علمه زيد في كبره وتيهه وكلما زيد في عمله زيد في فخره واحتقاره للناس وحسن ظنه بنفسه : وكلما زيد في عمره زيد في حرصه : وكلما زيد في ماله زيد في بخله وإمساكه : وكلما زيد في قدره وجاهه زيد في كبره وتيهه : وهذه الأمور ابتلاء من الله وامتحان يبتلى بها عباده فيسعد بها أقوام ويشقى بها أقوام : وكذلك الكرامات امتحان وابتلاء كالملك والسلطان والمال قال تعالى عن نبيه سليمان لما رأى عرش بلقيس عنده (هذا من فضل ربي ليوليني أشكر أم أ كفر) فالنعم ابتلاء من الله وامتحان يظهر بها شكر الشكور وكفر الكفور كما أن المحن بلوى منه سبحانه فهو يبتلى بالنعم كما يبتلى بالمصائب : قال تعالى (فأما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فأ كرمه ونعمه فيقول ربي أ كرم من وأما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهان كلاً) أي ليس كل من وسعت عليه وأ كرمته ونعمته يكون ذلك إكراماً مني له ولا كل من ضيقت عليه رزقه وابتليته يكون ذلك إهانة مني له *

فصل

من أراد علو بنيانه فعليه بتوثيق أساسه وإحكامه وشدة الاعتناء به فإن علو البنيان على قدر توثيق الأساس وإحكامه فالأعمال والدرجات بنيان وأساسها الإيمان ومتى كان الأساس وثيقاً حمل البنيان واعتلى عليه وإذا تهدم شيء من

البنيان سهل تداركه وإذا كان الأساس غير وثيق لم يرتفع البنيان ولم يثبت وإذا تهدم شيء من الأساس سقط البنيان أو كاد: فالعارف همته تصحيح الأساس وإحكامه والجاهل يرفع في البناء عن غير أساس فلا يلبث بنيانه أن يسقط: قال تعالى (أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فاتهار به في نار جهنم) فالأساس لبناء الأعمال كالقوة لبدن الانسان فإذا كانت القوة قوية حمات البدن ودنعت عنه كثيراً من الآفات وإذا كانت القوة ضعيفة ضعف حملها للبدن وكانت الآفات اليه أسرع شيء * فاحمل بنيانك على قوة أساس الإيمان فإذا تشعث شيء من أعالي البناء وسطحه كان تداركه أسهل عليك من خراب الأساس: وهذا الأساس امران: صحة المعرفة بالله وأمره وأسمائه وصفاته: والثاني تجريد الاتقياد له ولرسوله دون ما سواه فهذا أوثق أساس أسس العبد عليه بنيانه وبمحسه يعتلى البناء ما شاء فأحكم الأساس واحفظ القوة ودم على الحية واستفرغ إذا زاد بك الخلط والقصد القصد وقد بلغت المراد والافما دامت القوة ضعيفة والمادة الفاسدة موجودة والاستفراغ معدوماً

فاقر السلام على الحياة فأنها * قد آذنتك بسرعة التوديع فإذا كمل البناء فيبضه بحسن الخلق والاحسان الى الناس ثم حطه بسور من الخذر لا يفتحهم عدو ولا تبدونه العورة ثم ارخ الستور على أبوابه ثم أقفل الباب الأعظم بالسكوت عما تحشي عاقبته ثم ركب له مفتاحاً من ذكر الله به تفتحته وتغلقه فان فتحت فتحت بالمفتاح وان أغلقت الباب أغلقته به فتكون حينئذ قد بنيت حصناً تحصنت فيه من أعدائك اذا أطاف به العدو لم يجد منه مدخلاً فيأس منك: ثم تعاهد بناء الحصن كل وقت فان العدو اذا لم يطمع في الدخول من الباب نقب عليك النقوب من بعيد بمعاول الذنوب فان أهملت أمره وصل اليك النقب فاذا العدو معك في داخل الحصن فيصعب عليك اخراجه وتكون معه على

ثلاث خلال إما أن يغلبك على الحصن ويستولى عليه واما أن يساكنك فيه واما أن يشغلك بمقابلته عن تمام مصلحتك وتعود الى سد الثقب ولم تمشث الحصن واذا دخل ثقبه اليك نالك منه ثلاث آفات: افساد الحصن : والاغارة على حواصله وذخائره : ودلالة السراق من بني جنسه على عورته فلا يزال يبلي منه بغارة بعد غارة حتى يضعفوا قواه ويوهنوا عزمه فيتخلى عن الحصن ويخفي بينهم ويديه * وهذه حال أكثر النفوس مع هذا العدو ولهذا ترام يسخطون ربهم بربا أنفسهم بل بربا مخلوق مثلهم لا يملك لهم ضرا ولا نفعا ويضيعون كسب الدين بكسب الاموال ويهلكون أنفسهم بما لا يبقى لهم ويحرصون على الدنيا وقد أدبرت عنهم ويزهدون في الآخرة وقد هجمت عليهم ويخالفون ربهم باتباع أهوائهم ويتكلمون على الحياة ولا يذكرون الموت ويذكرون شهواتهم وحظوظهم : وينسون ماعهد الله اليهم ويهتمون بما ضمنه الله لهم ولا يهتمون بما أمرهم به ويفرحون بالدنيا ويحزنون على فوات حظهم منها ولا يحزنون على فوات الجنة وما فيها ولا يفرحون بالآيمان فرحهم بالدرهم والدينار : ويفسدون حقهم بإطعامهم وهدام بضالهم ومعروفهم بمنكرهم : ويلبسون إيمانهم بظنونهم : ويخطون حلالهم بحرامهم ويترددون في حيرة آرائهم وأفكارهم : ويتركون هدى الله الذي أهداه اليهم : ومن الاسباب أن هذا العدو يستعمل صاحب الحصن في هدم حصنه بيديه *

فصل

أركان الكفر أربعة: الكبر: والحسد: والغضب: والشهوة فالكبر يمنع الاتقياد والحسد يمنع قبول النصيحة وبذلها : والغضب يمنع العدل : والشهوة تمنع التفرغ للعبادة فإذا انهدم ركن الكبر سهل عليه الاتقياد واذا انهدم ركن الحسد سهل عليه قبول النصيح وبذله : واذا انهدم ركن الغضب سهل عليه العدل والتواضع واذا انهدم ركن الشهوة سهل عليه الصبر والعفاف والعبادة : وزوال الجبال عن أماكنها

أيسر من زوال هذه الأربعة عن يلي بها ولا سيما إذا صارت هيئات راسخة وملكات وصفات ثابتة فإنه لا يستقيم له معها عمل ألبتة ولا تزكو نفسه مع قيامها بها وكما اجتهد في العمل أهدته عليه هذه الأربعة وكل الآفات متولدة منها وإذا استحكمت في القلب أرتته الباطل في صورة الحق والحق في صورة الباطل والمعروف في صورة المنكر: والمنكر في صورة المعروف: وقربت منه الدنيا وبعدت منه الآخرة: وإذا تأملت كفر الأمم رأيته ناشئا منها وعليها يقع العذاب: وتكون خفته وشدة بحسب خفتها وشدة فمن فتحها على نفسه فتح عليه أبواب الشرور كلها عاجلا وآجلا ومن أغلقها على نفسه أغلق عنه أبواب الشرور فإنها تمنع الاتقياد والاخلاص والتوبة والانابة وقبول الحق ونصيحة المسلمين والتواضع لله ولخالقه *

﴿ومنشأ هذه الأربعة﴾ من جهله بربه وجهله بنفسه فإنه لو عرف ربه بصفات الكمال ونعوت الجلال وعرف نفسه بالتقائص والآفات لم يتكبر ولم يغضب لها ولم يحسد أحداً على ما آتاه الله فإن الحسد في الحقيقة نوع من معاداة الله فإنه يكره نعمة الله على عبده وقد أحبا الله ويحب زوالها عنه والله يكره ذلك فهو مضاد لله في قضائه وقدره ومحبه وكراهته ولذلك كان ابليس عدوه حقيقة لأن ذنبه كان عن كبر وحسد: فقلع هاتين الصفتين بمعرفة الله وتوحيده والرضا به وعنه والانابة إليه: وقلع الغضب بمعرفة النفس وأنها لا تستحق أن يغضب لها وينتقم لها فإن ذلك إيثار لها بالرضا والغضب على خالقها وفاطرها: وأعظم ما تدفع به هذه الآفة أن يعودها أن تغضب له سبحانه وترضي له فكما دخلها شيء من الغضب والرضا له خرج منها مقابله من الغضب والرضا لها وكذا بالعكس *

﴿وأما الشهوة﴾ فدواؤها صحة العلم والمعرفة بأن إعطاءها شهواتها أعظم أسباب حرمانها إياها ومنعها منها وحمتها أعظم أسباب اتصالها إليها فكما فتحت عليها باب الشهوات كنت ساعياً في حرمانها إياها وكما أغلقت عنها ذلك الباب كنت ساعياً في اتصالها إليها على أكمل الوجوه *

﴿فألفظ مثل السم﴾ إذا أفلته صاحبه بدأ بأكله: والشهوة مثل النار إذا أضرمتها صاحبها بدأت بإحراقه: والكبر بمنزلة منازعة الملك ملكه فإن لم يهلكك طردك عنه: والحسد بمنزلة معاداة من هو أقدر منك: والذي يغلب شهوته وغضبه يفرق الشيطان من ظله ومن تغلبه شهوته وغضبه يفرق من خياله *

فصل

(عظيم النفع)

الجاهل بالله واسمائه وصفاته المعطلون لحقائقها يبغضون الله الي خلقه ويقطعون عليهم طريق محبته والتودد اليه بطاعته من حيث لا يعلمون: ونحن نذكر من ذلك أمثلة تحتذي عليها: ﴿فمنها﴾ أنهم يقررون في نفوس الضعفاء أن الله سبحانه لا تنفع معه طاعة وإن طال زمانها وبالغ العبد وآتي بها بظاهره وباطنه وأن العبد ليس على ثقة ولا أمن من مكروه بل شأنه سبحانه أن يأخذ المطيع المتقي من الهرب الي المأخور ومن التوحيد والمسيحة الي الشرك والمزمار: ويقلب قلبه من الايمان الخالص الي الكفر ويروون في ذلك آثاراً صحيحة لم يفهموها وباطلة لم يقها المعصوم ويرعون ان هذا حقيقة التوحيد ويتلون على ذلك قوله تعالى (لا يسأل عما يفعل) وقوله (أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون) وقوله (واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه) وقيمون ابليس حجة لم علي هذه المعرفة وأنه كان طاووس الملائكة وأنه لم يترك في السماء رقعة ولا في الأرض بقعة إلا وله فيها سجدة أو ركعة لكن جني عليه جاني القدر وسطا عليه الحكم فقلب عينه الطيبة وجعلها أخبث شيء حتى قال بعض عارفيهم انك ينبغي أن تخاف الله كما تخاف الأسد الذي يثب عليك بغير جرم منك ولا ذنب أنته اليه * ويحتجون بقول النبي ﷺ « ان أحدم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها » ويروون عن بعض السلف أكبر الكبائر لا الله من مكر الله والقنوط من رحمة

وذكر الامام احمد عن عون بن عبد الله أو غيره انه سمع رجلا يدعو اللهم لا تؤمني
مكرك فانكر ذلك وقال قل اللهم لا تجعلني ممن يأمن مكرك : وينوا هذا علي أصلهم الباطل
وهو انكار الحكمة والتعليل والأسباب وأن الله لا يفعل الحكمة ولا بسبب
وإنما يفعل بمشيئة مجردة من الحكمة والتعليل والسبب فلا يفعل لشيء ولا بشيء
وأنه يجوز عليه ان يعذب أهل طاعته أشد العذاب وينعم أعداءه وأهل معصيته
بجزيل الثواب وأن الأمرين بالنسبة إليه سواء ولا يعلم امتناع ذلك إلا بخبر من الصادق
أنه لا يفعله فحينئذ يعلم امتناعه لوقوع الخبر بأنه لا يكون إلا أنه في نفسه باطل وظالم فان الظلم
في نفسه مستحيل فانه غير ممكن بل هو بمنزلة جعل الجسم الواحد في مكانين في آن واحد
والجمع بين الليل والنهار في ساعة واحدة وجعل الشيء موجودا ومعدوما معاً في آن واحد
فهذا حقيقة الظالم عندهم فاذا رجع العامل الى نفسه قال من لا يستقر له امر ولا يؤمن
له مكر كيف يوثق بالتقرب اليه وكيف يعول على طاعته واتباع أوامره وليس
لنا سوى هذه المدة اليسيرة فاذا هجرنا فيها اللذات وتركنا الشهوات وتكافنا
أثقال العبادات وكنا مع ذلك علي غير ثقة منه أن يقلب علينا الايمان كفرأ
والتوحيد شركا والطاعة معصية والبر فجورا ويدم علينا العقوبات كناخا سرين
في الدنيا والآخرة فاذا استحكم هذا الاعتقاد في قلوبهم وتخمر في نفوسهم
صاروا إذا أمروا بالطاعات وهجر اللذات بمنزلة إنسان جعل يقول لولده معلمك
ان كتبت وأحسنيت وتأدبت ولم تعصه ربما أقام لك حجة وعاقبك وان كسبت
وبطلت وتعطلت وتركت ما أمرك به ربما قربك وأكرمك فيودع بهذا القول
قلب الصبي مالا يثق بعده الى وعيد المعلم على الاساءة ولا وعده على الاحسان
وان كبر الصبي وصلح للمعاملات والمناصب قال له هذا سلطان بلدنا يأخذ اللص
من الحبس فيجعله وزيرا أميراً ويأخذ الكيس المحسن لشغله فيخلده الحبس
ويقتله ويصلبه فاذا قال له ذلك أو حشه من سلطانه وجعله علي غير ثقة من وعده
ووعيده وأزال محبته من قلبه وجعله يخافه مخافة الظالم الذي يأخذ المحسن بالعقوبة

والبرىء بالعذاب فأفلس هذا المسكين من اعتقاد كون الأعمال نافعة أو ضارة فلا بفعل الخير يستأنس ولا بفعل الشر يستوحش وهل في التنفير عن الله وتبغيضه الى عباده أكثر من هذا ولولا جهد الملاحدة على تبغيض الدين والتنفير عن الله لما أتوا بأكثر من هذا : وصاحب هذه الطريقة يظن أنه يقرر التوحيد والقدر ويرد على أهل البدع وينصر الدين ولعمرك الله العدو والعاقلة أقل ضرراً من الصديق الجاهل : وكتب الله المنزلة كلها ورسله كلهم شاهدة بضد ذلك ولا سيما القرآن فلو سلك الدعاة المسلك الذي دعا الله ورسوله به اناس اليه لصلح العالم صلاحاً لا فساد معه فأنه سبحانه أخبر وهو الصادق الوفي أنه إنما يعامل الناس بكسبهم ويمجازهم بأعمالهم ولا يخاف المحسن لديه ظمناً ولا هضمًا ولا يخاف بخسًا ولا رهقًا ولا يضيع عمل محسن أبداً ولا يضيع على العبد مثقال ذرة ولا يظلمها وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً وإن كان مثقال حبة من خردل جازاه بها ولا يضيعها عليه وأنه يجزي بالسيئة مثلاً ويمحطها بالتوبة والندم والاستغفار والحسنات والمصاب والمجزي بالحسنة عشر أمثالها ويضاعفها الى سبعائة ضعف الى أضعاف كثيرة وهو الذي أصلح الفاسدين وأقبل بقلوب المعرضين وتاب على المذنبين وهدى الضالين وأنقذ المالكين وعلم الجاهلين وبصر المتحيرين وذكر الغافلين وآوى الشاردين : وإذا أوقع عقاباً أوقعه بعد شدة التمرد والعتو عليه ودعوة العبد الى الرجوع اليه والاقرار بربوبيته وحقه مرة بعد مرة حتى إذا أيس من استجابته والاقرار بربوبيته ووحدانيته أخذه ببعض كفره وعتوه وعمرده بحيث يعذر العبد من نفسه ويعترف بأنه سبحانه لم يظلمه وأنه هو الظالم لنفسه كما قال تعالى عن أهل النار (فاعترفوا بذنبيهم فسحقاً لأصحاب السعير) وقال عن أهلهم في الدنيا أنهم لما رأوا آياته وأحسوا بعذابه قالوا (يا ويلنا إنا كنا ظالمين فما زالت تلك دعوائهم حتى جعلناهم حصيداً خامدين) وقال أصحاب الجنة التي أفسدها عليهم لما رأوها

(٢١٢ — فوائد)

قالوا (سبحان ربنا انا كنا ظالمين) قال الحسن لقد دخلوا النار وان حمده
لنى قلوبهم ما وجدوا عليه حجة ولا سبيلا: ولهذا قال تعالى (فقطع دابر القوم
الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين) فهذه الجملة فى موضع الحال أى قطع دابرهم
حال كونه سبحانه محموداً على ذلك فقطع دابرهم قطعاً مصاحباً لحده فهو قطع
واهلاك بحمد عليه الرب تعالى لكمال حكمته وعدله ووضعه العقوبة فى موضعها
الذى لا يليق به غيرها فوضعها فى الموضع الذى يقول من علم الحال لا تليق
العقوبة الا بهذا المحل ولا يليق به الا العقوبة ولهذا قال عقيب إخباره عن
الحكم بين عبادده ومصير أهل السعادة الى الجنة وأهل الشقاء الى النار (وقضى
بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين) : فحذف فاعل القول إشعاراً بالعموم
وأن الكون كله قال الحمد لله رب العالمين لما شاهدوا من حكمة الحق وعدله
وفضله ولهذا قال فى حق أهل النار (قيل ادخلوا أبواب جهنم) كأن الكون كله
يقول ذلك حتى تقوله أعضاؤهم وأرواحهم وأرضهم وسماؤهم وهو سبحانه يخبر
أنه إذا أهلك أعداءه أتجى أوليائه ولا يعصمهم بالملاك بمحض المشيئة : ولما سأله
نوح نجاة ابنه أخبر أنه يفرقه بسوء عمله وكفره ولم يقل أبى أغرقه بمحض
مشيئتي وارادني بلا سبب ولا ذنب: وقد ضمن سبحانه زيادة الهداية للمجاهدين فى
سبيله ولم يخبر أنه يضلهم ويبطل سعيهم: وكذلك ضمن زيادة الهداية للمتقين
الذين يتبعون رضوانه وأخبر أنه لا يضل إلا الفاسقين الذين ينقضون عهده
من بعد ميثاقه وأنه إنما يضل من أثر الضلال واختاره على الهدى فيطعم حينئذ
على سمعه وقلبه وأنه يقلب قلب من لم يرض بهداه إذا جاءه ولم يؤمن به ودفعه
ورده فيقلب فؤاده وبصره عقوبة له على رده ودفعه لما تحققه وعرفه وأنه سبحانه
لو علم فى تلك الحال التى حكم عليها بالضلال والشقاء خيراً لا فهمها وهداها
ولكنها لا تصلح لتعمته ولا تليق بها كرامته: وقد ازاح سبحانه العلل وأقام
الحجج ومكن من أسباب الهداية وأنه لا يضل الا الفاسقين والظالمين ولا يطبع

الا على قلوب المعتدين ولا يركس في الفتنة الا المناقنين بكسبهم وأن الرين الذي غطى به قلوب الكفار هو عين كسبهم وأعمالهم كما قال (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) وقال عن أعدائه من اليهود (وقالوا قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم) وأخبر أنه لا يضل من هداه حتي يبين له ما ينقى فيختار لشقوته وسوء طبيعته الضلال على الهدى والغى على الرشاد ويكون مع نفسه وشيطانه وعدوربه عليه *

وأما المكر الذي وصف به نفسه فهو مجازاته للماكرين بأوليائه ورسله فيقابل مكرهم السيء بمكره الحسن فيكون المكر منهم أقبح شيء ومنه أحسن شيء. لأنه عدل ومجازاة : وكذلك المخادعة منه جزاء على مخادعة رسله وأوليائه فلا أحسن من تلك المخادعة والمكر : وأما كون الرجل يعمل بعمل أهل الجنة حتي ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فان هذا عمل أهل الجنة فيما يظهر للناس ولو كان عملاً صالحاً مقبولاً للجنة قد أحبه الله ورضيه لم ينطله عليه : وقوله لم يبق بينه وبينها الا ذراع يشكل على هذا التأويل فيقال لما كان العمل بآخره وخاتمته لم يصبر هذا العامل على عمله حتي يتم له بل كان فيه آفة كالمئة ونكتة خذل بها في آخر عمره فخاته تلك الآفة والداهية الباطنة في وقت الحاجة فرجع الي موجبها وعملت عملها ولو لم يكن هناك غش وآفة لم يقلب الله إيمانه لقد أورده مع صدقه فيه وإخلاصه بغير سبب منه يقتضي إفساده عليه والله يعلم من سائر العباد ما لا يعلمه بعضهم من بعض *

(وأما شأن ابليس) فان الله سبحانه قال للملائكة (إني أعلم ما لا تعلمون) فالرب تعالى كان يعلم ما في قلب ابليس من الكفر والكبر والحسد ما لا يعلمه الملائكة فلما أمروا بالسجود ظهر ما في قلوبهم من الطاعة والمحبة والخشية والانتقياد فبادروا الي الامثال وظهر ما في قلب عدوه من الكبر والغش والحسد فأبى واستكبر وكان من الكافرين *

وأما خوف أوليائه من مكره فحق فانهم يخافون أن يخذلهم بذنوبهم وخطاياهم فيصيرون إلى الشقاء لخوفهم من ذنوبهم ورجاؤهم لرحمته : وقوله (أفأمنوا مكر الله) إنما هو في حق الفجار والكفار : ومعنى الآية فلا يعصى ويأمن مقابلة الله له علي مكر السيئات بمكره به إلا القوم الخاسرون والذي يخافه العارفون بالله من مكره أن يؤخر عنهم عذاب الأفعال فيحصل منهم نوع اغترار فيأنسوا بالذنوب فيجيثهم العذاب على غرة وقرة : وأمر آخر وهو أن يفعلوا عنه وينسوا ذكره فيتخلي عنهم إذا تخلوا عن ذكره وطاعته فيسرغ اليهم البلاء والفتنة فيكون مكره بهم تخليه عنهم : وأمر آخر أن يعلم من ذنوبهم وعيوبهم ما لا يعلمونه من نفوسهم فيأتيهم المكر من حيث لا يشعرون : وأمر آخر أن يمتحنهم ويستليهم بما لا صبر لهم عليه فيفتنون به وذلك مكر *

فصل

السنة شجرة والشهور فروعها والأيام أغصانها والساعات أوراقها والأفئدة ثمرها : فمن كانت أنفاسه في طاعة فثمره شجرة طيبة : ومن كانت في معصية فثمره حنظل : وإنما يكون الجداد يوم المعاد فعند الجداد يتبين حلو أثمار من مرها والإخلاص : والتوحيد شجرة في القلب فروعها الأعمال وثمرها طيب الحياة في الدنيا والنعيم المقيم في الآخرة وكما أن ثمار الجنة لا مقطوعة ولا ممنوعة فثمره التوحيد والإخلاص في الدنيا كذلك * والشرك والكذب والرياء شجرة في القلب ثمرها في الدنيا الخوف والمم والنم وضيق الصدر وظلمة القلب وثمرها في الآخرة الزقوم والعذاب المقيم وقد ذكر الله هاتين الشجرتين في سورة إبراهيم *

فصل

إذا بلغ العبد أعطى عهده الذي عهده إليه خاقه وما له كما أخذ عهده بقوة وقبول

وعزم على تنفيذ ما فيه صلح المراتب والمناصب التي يصلح لها الموفون بعهودهم فاذا هز نفسه عند أخذ العهد واتحاهوا قال قد أهلت لعهد ربي فن أولي بقبوله وفهمه وتنفيذه منى فحرص أولا على فهم عهده وتدبره وتعرفه وصايا سيده له ثم وطن نفسه على امثال ما في عهده والعمل به وتنفيذه حسبما تضمنه عهده فأبصر بقلبه حقيقة العهد وما تضمنه فاستحدث همه أخرى وعزيمة غير العزيمة التي كان فيها وقت الصبا قبل وصول العهد فاستقال من ظلمة غرة الصبا والالتقياد للعادة والمنشأ وصبر على شرف المهمة وهتك ستر الظلمة الى نور اليقين فادرك بقدر صبره وصدق اجتهاده ما وهبه الله له من فضله : فاول مراتب سعاداته أن تكون له أذن واعية وقلب يعقل ما تعيه الأذن فاذا سمع وعقل واستبان له الجادة ورأى عليها تلك الأعلام ورأى أكثر الناس منحرفين عنها يمينا وشمالا فلزمها ولم ينحرف مع المنحرفين الذين كان سبب انحرافهم عدم قبول العهد أو قبوله بكره ولم يأخذوه بقوة ولا عزيمة ولا حدثوا أنفسهم بفهمه وتدبره والعمل بمافيه وتنفيذ وصايا به بل عرض عليهم العهد ومعهم ضراوة الصبا ودين العادة وما ألفوا عليه الآباء والأمهات فتلقوا العهد تلقى من هو مكتف بما وجد عليه آباءه وسلفه وعاداتهم لا تكفي من يجمع همه وقلبه على فهم العهد والعمل به حتي كأن ذلك العهد آتاه وحده وقيل له تأمل ما فيه ثم اعمل بموجبه فاذا لم يتلق عهده هذا التلقى اخذ الى سيرة القراية وما استمرت عليه عادة أهله وأصحابه وجيرانه وأهل بلده فان علت همته أخذ الى ما عليه سلفه ومن تقدمه من غير التفات الى تدبر العهد وفهمه فرضى لنفسه أن يكون دينه دين العادة فاذا شامه الشيطان ورأى هذا مبلغ همته وعزيمته رماه بالعصبية والحمية للآباء وسلفه وزين له أن هذا هو الحق وما خالفه باطل ومثل له الهدى في صورة الضلال والضلال في صورة الهدى بتلك العصبية والحمية التي أسست على غير علم فرضاه أن يكون مع عشيرته وقومه له ما لهم وعليه ما عليهم فخذل عن الهدى وولاه الله ما تولي فلو جاءه كل هدى يخالف قومه وعشيرته لم يره

الاضلالة واذا كانت همته أعلي من ذلك ونفسه أشرف وقدره أعلي أقبل على حفظ عهده وفهمه وتديره وعلم أن لصاحب العهد شأنًا ليس ك شأن غيره فأخذ نفسه بعرفته من نفس العهد فوجده قد تعرف اليه وعرفه نفسه وصفاته واسماؤه وأفعاله وأحكامه فعرف من ذلك العهد قيوما بنفسه مقيا لغيره غنيا عن كل ما سواه وكل ما سواه فقير اليه مستو على عرشه فوق جميع خلقه يرى ويسمع ويرضي ويغضب ويحب ويبغض ويدبر أمر مملكته وهو فوق عرشه متكلم آمر ناه يرسل رسلا الي أطوار مملكته بكلامه الذي يسمعه من يشاء من خلقه وأنه قائم بالقسط مجاز بالاحسان والاساءة وأنه حلیم غفور شكور جواد محسن موصوف بكل كمال مزمع عن كل عيب ونقص وأنه لا مثل له ويشهد حكمته في تدبير مملكته وكيف يقدر مقاديره بمشيئته غير مضادة لعدله وحكمته وتظاهر عنده العقل والشرع والفطرة فصدق كل منهما صاحبيه وفهم عن الله سبحانه ما وصف به نفسه في كتابه من حقائق أسمائه التي بها نزل الكتاب وبها نطق ولها أثبت وحقق وبها تعرف الى عبادته حتى أقرت به العقول وشهدت به الفطر فاذا عرف بقلبه وتيقن صفات صاحب العهد أشرفت أنوارها على قلبه فصارت له كالماينة فرأى حينئذ تعلقها بالخلق والأمر وارتباطهما بها وسريان آثارها في العالم الحسي والعالم الروحي ورأى تصرفها في الخلائق كيف عمت وخصت وقربت وأبعدت وأعطت ومنعت فشاهد بقلبه مواقع عدله سبحانه وقسطه وفضله ورحمته واجتمع له الايمان بلزوم حجتة مع نفوذ أفضيته وكمال قدرته مع كمال عدله وحكمته ونهاية علوه على جميع خلقه مع احاطته ومعينته وعظمته وجلاله وكبريائه وبطشه وانتقامه مع رحمته وبره ولطفه وجوده وعفوه وحلمه ورأى لزوم الحججة مع قهر المقادير التي لا خروج لخلق عنها وكيف اصطحاب الصفات وتوافقها وشهادة بعضها لبعض وانعطاف الحكمة التي هي نهاية وغاية على المقادير التي هي أول وبداية ورجوع فروعها الى أصولها ومبادئها الى

غاياتها حتي كأنه مشاهد مباديء الحكمة وتأسيس القضايا على وفق الحكمة والعدل والمصلحة والرحمة والاحسان لا تخرج قضية عن ذلك الى انقضاء الاكوان وانفصال الاحكام يوم الفصل بين العباد وظهور عدله وحكمته وصدق رسله وما أنجبرت به عنه لجميع الخليقة إنسا وجنها مؤمنها وكافرها وحينئذ يتبين من صفات جلاله ونعوت كماله للخلق ما لم يكونوا يعرفونه قبل ذلك حتي أن أعرف خلقه به في الدنيا يثني عليه يومئذ من صفات كماله ونعوت جلاله ما لم يكن يحسنه في الدنيا وكما يظهر ذلك لخلقهم تظهر لهم الأسباب التي بها زاغ الزائغون وضل الضالون وانقطع المنقطعون فيكون الفرق بين العلم يومئذ بحقائق الاسماء والصفات والعلم بها في الدنيا كالفرق بين العلم بالجنة والنار ومشاهدتهما وأعظم من ذلك وكذلك يفهم من العهد كيف اقتضت أسماؤه وصفاته لوجود النبوة والشرائع وأن لا يترك خلقه سدى وكيف اقتضت ما تضمنته من الأوامر والنواهي وكيف اقتضت وقوع الثواب والعقاب والمعاد وأن ذلك من موجبات أسماؤه وصفاته بحيث ينزهه عما زعم أعداؤه من إنكار ذلك ويرى شمول القدرة وإحاطتها بجميع الكائنات حتى لا يشذ عنها مثقال ذرة ويرى أنه لو كان معه آله آخر لفسد هذا العالم فكانت تفسد السموات والارض ومن فيهن وأنه سبحانه لوجاز عليه النوم أو الموت لتدكدك هذا العالم بأسره ولم يثبت طريقة عين ويرى مع ذلك الاسلام والايمان اللذين تعبد الله بهما جميع عباده كيف انبعثتهما من الصفات المقدسة وكيف اقتضيا الثواب والعقاب عاجلا وآجلا ويرى مع ذلك أنه لا يستقيم قبول هذا العهد والتزامه لمن جحد صفاته وانكر علوه علي خلقه وتكلمه بكتبه وعهوده كالا يستقيم قبوله لمن أنكر حقيقة سمعه وبصره وحياته وارادته وقدرته وأن هؤلاء هم الذين ردوا عهده وأبوا قبوله وان من قبله منهم لم يقبله بجميع ما فيه وبالله التوفيق *

فصل

خلق بدن ابن آدم من الأرض وروحه من ملكوت السماء وقرن بينهما
 فاذا أجاع بدنه وأسهره وأقامه في الخدمة وجدت روحه خفة وراحة فتاقت
 الي الموضع الذي خلقت منه واشتاقت الى عالمها العلوي وإذا أشبعه ونعمه ونومه
 واشتغل بخدمته وراحته أخذ البدن الي الموضع الذي خلق منه فانجذبت الروح
 معه فصارت في السجن فلولا أنها ألغت السجن لاستغاثت من ألم مفارقتها
 وانقطاعها عن عالمها الذي خلقت منه كما يستغيث المعذب»

وبالجملة فكما خف البدن لطف الروح وخفت وطلبت عالمها العلوي وكما
 ثقل وأخذ الى الشهوات والراحة ثقلت الروح وهبطت من عالمها وصارت
 أرضية سفلية فترى الرجل روحه في الرفيق الأعلى وبدنه عندك فيكون نائماً
 على فراشه وروحه عند سدة المنتهى تجول حول العرش وآخر واقف في الخدمة
 ببذنه وروحه في السفلى تجول حول السفليات فاذا فارقت الروح البدن التحقت
 برفيقها الأعلى أو الأدنى فعند الرفيق الأعلى كل قرّة عين وكل نعيم وسرور
 وبهجة ولذة وحياة طيبة وعند الرفيق الأسفل كل هم وغم وضيق وحزن
 وحياة نكدية ومعيشة ضنك : قال تعالى (ومن أعرض عن ذكري فإن له
 معيشة ضنكا) فذكره كلامه الذي أنزله على رسوله : والاعراض عنه ترك تدبره
 والعمل به : والمعيشة الضنك فأكثر ما جاء في التفسير أنها عذاب القبر قاله ابن
 مسعود وأبو هريرة وأبو سعيد الخدري وابن عباس : وفيه حديث مرفوع :
 وأصل الضنك في اللغة الضيق والشدة وكل ماضاق فهو ضنك يقال منزل ضنك وعيش
 ضنك فهذه المعيشة الضنك في مقابلة التوسيع على النفس والبدن بالشهوات واللذات
 والراحة فان النفس كلما وسعت عليها ضيق علي القلب حتي تصير معيشة ضنكا
 وكلما ضيق عليها وسعت علي القلب حتي ينشرح وينفسح فضنك المعيشة في

الدنيا بموجب التقوى سعتها في البرزخ والآخرة وسعة المعيشة في الدنيا بحكم الهوى ضنكها في البرزخ والآخرة فأثر أحسن المعيشتين وأطيبهما وأدومهما واشق البدن بنعيم الروح ولا تشق الروح بنعيم البدن فان نعيم الروح وشقاءها أعظم وأدوم: ونعيم البدن وشقاؤه أقصر وأهون والله المستعان *

العارف لا يأمر الناس بترك الدنيا فانهم لا يقدرُونَ علي تركها ولكن يأمرهم بترك الذنوب مع أقامتهم على دنياهم فترك الدنيا فضيلة وترك الذنوب فريضة فكيف يؤمر بالفضيلة من لم يقم الفريضة فان صعب عليهم ترك الذنوب فاجتهد أن تحبب الله اليهم بذكر آلائه وإنعامه وإحسانه وصفاته كماله ونعوت جلاله فان القلوب مقطورة على محبته فاذا تعلقت بحبه هان عليها ترك الذنوب والاستقلال منها والاصرار عليها: وقد قال يحيى بن معاذ طلب العاقل للدنيا خير من ترك الجاهل لها * العارف يدعو الناس الى الله من دنياهم فتسهل عليهم الاجابة والزاهد يدعوهم الى الله بترك الدنيا فتشق عليهم الاجابة فان الغطام عن الثدى الذى ما عقل الانسان نفسه إلا وهو يرتضع منه شديد ولكن شير من المرضعات أزكاهن وأفضلهن فان لبن تأثيرا فى طبيعة المرتضع ورضاع المرأة الحقي يعود بحمم الولد: وانفع الرضاعة ما كان من المجاعة فان قوت علي مرارة الغطام والا فارتضع بقدر فان من البشيم ما يقتل *

فصل

بين رعاية الحقوق مع الضر ورعايتها مع العافية بون بعيد * ان عبدى كل عبدى الذي يذكرني وهو ملاق قرنه (يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون) * ليس العجب من صحيح فارغ واقف مع الخدمة إنما العجب من ضعيف حقيم تغتوره الأشغال وتختاف عليه الأحوال وقلبه واقف فى الخدمة غير متخلف بما يقدر عليه *

فصل

معرفة الله سبحانه نوعان: معرفة اقرار وهي التي اشترك فيها الناس البر والفاجر والمطيع والعاصي: والثاني معرفة توجب الحياء منه والمحبة له وتعلق القلب به والشوق الى لقائه وخشيته والانابة اليه والانس به والفرار من الخلق اليه: وهذه هي المعرفة الخاصة الجارية على لسان القوم وتفاوتهم فيها لا يحصيه إلا الذي عرفهم بنفسه وكشف لقلوبهم من معرفته ما أخفاه عن سواهم وكل أشار الى هذه المعرفة بحسب مقامه وما كشف له منها: وقد قال اعرف الخلق به « لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » وأخبر أنه سبحانه يفتح عليه يوم القيامة من محامده بما لا يحسنه الآن *

ولهذه المعرفة بابان واسمان: باب التفكير والتأمل في آيات القرآن كلها والفهم الخاص عن الله ورسوله * والباب الثاني التفكير في آياته المشهودة وتأمل حكمته فيها وقدرته ولطفه وإحسانه وعدله وقيامه بالقسط على خلقه: وجماع ذلك الفقه في معاني أسمائه الحسنى وجلالها وكملها وتفرد به بذلك وتعلقها بالخلق والأمر فيكون فقيها في أوامره ونواهيه: فقيها في قضائه وقدره: فقيها في أسمائه وصفاته: فقيها في الحكم الديني الشرعي والحكم المكوني القدرى وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم *

فصل

الدرهم اربعة: درهم ا كتسب بطاعة الله وأخرج في حق الله فذاك خير الدرهم: ودرهم ا كتسب بمعصية الله وأخرج في معصية الله فذاك شر الدرهم: ودرهم ا كتسب باذى مسلم وأخرج في اذى مسلم فهو كذلك: ودرهم ا كتسب بمباح وانفق في شهوة مباحة فذاك لا له ولا عليه هذه أصول الدرهم ويتفرع

عليها دراهم آخر : منها درهم ا كتسب بحق وأنفق في باطل : ودرهم ا كتسب
بباطل وأنفق في حق فانفاقه كفارته : ودرهم ا كتسب من شبهة فكفارته أن
ينفق في طاعة: وكلما يتعلق الثواب والعقاب والمدح والذم باخراج الدرهم فكذلك
يتعلق باكتسابه: وكذلك يسأل عن مستخرجه ومصروفه من أين ا كتسبه
وفيما أنفقته *

فصل

المواساة للمؤمنين أنواع : مواساة بالمال ومواساة بالجاء : ومواساة بالبدن
والخدمة : ومواساة بالنصيحة والارشاد : ومواساة بالدعاء والاستغفار لهم : ومواساة
بالتوجه لهم وعلى قدر الايمان تكون هذه المواساة فكلما ضعف الايمان ضعفت
المواساة وكلما قوي قويت : وكان رسول الله ﷺ أعظم الناس مواساة لأصحابه
بذلك كله فلا تباعه من المواساة بحسب اتباعهم له * ودخلوا على بشر الخافي في
يوم شديد البرد وقد تجرد وهو ينتفض فقالوا ما هذا يا أبا نصر فقال ذكرت
الفقراء وبردم وليس لى ما أواسيهم به فاحبيت أن أواسيهم في بردم *

فصل

الجهل بالطريق وآفاتهما والمقصود يوجب التعب الكثير مع الفائدة القليلة
فان صاحبه إما أن يجتهد في نافلة مع إضاعة الفرض أو في عمل بالجوارح لم يواطئه عمل
القلب أو عمل بالباطن والظاهر لم يتقيد بالاعتداء أو همه الى عمل لم ترق بصاحبها إلى
ملاحظة المقصود أو عمل لم يجتهد من آفاته المفسدة له حال العمل وبعده أو عمل غفل
فيه عن مشاهدة المنة فلم يتجرد عن مشاركة النفس فيه أو عمل لم يشهد تقصيره
فيه فيقوم بعده في مقام الاعتذار منه أو عمل لم يوفه حقه من النصيح والاحسان
وهو يظن أنه وفاه فهذا كله مما ينقص الثمرة مع كثرة التعب والله الموفق *

فصل

إذا عزم العبد على السفر الى الله تعالى وإرادته عرضت له الخوادم والقواطع فينخدع أولاً بالشهوات والرياسات والملاذ والمناكح والملابس فان وقف معها انقطع وإن رفضها ولم يقف معها وصدق في طلبه ابتلى بوطء عقبه وتقبيل يده والتوسعة له في المجلس والاشارة اليه بالدعاء ورجاء بركته ونحو ذلك فان وقف معه انقطع به عن الله وكان حظه منه وإن قطعه ولم يقف معه ابتلى بالكرامات والكشوفات فان وقف معها انقطع بها عن الله وكانت حظه وإن لم يقف معها ابتلى بالتجريد والتخلي ولذة الجمعية وعزة الوحدة والفراغ من الدنيا فان وقف مع ذلك انقطع به عن المقصود وإن لم يقف معه وسار ناظراً لى مراد الله منه وما يحبه منه بحيث يكون عبده الموقوف على محابه ومراضيه أين كانت وكيف كانت تعب بها أو استراح تنعم أو تألم أخرجته الى الناس أو عزله عنهم لا يختار لنفسه غير ما يختاره له وليه وسيده واقف مع أمره ينفذه بحسب الامكان ونفسه عنده أهون عليه أن يقدم راحتها ولذتها على مرضاة سيده وأمره: فهذا هو العبد الذي قد وصل ونفذ ولم يقطعه عن سيده شيء البتة وبالله التوفيق *

فصل

النعم ثلاثة: نعمة حاصلة يعلم بها العبد: ونعمة منتظرة يرجوها: ونعمة هو فيها لا يشعر بها فاذا أراد الله إتمام نعمته على عبد عرفه نعمته الحاضرة وأعطاه من شكره قيداً يقيد بها حتى لا تشرذم فأنها تشرذم بالمعصية وتقيد بالشكر ورقه لعل يستجلب به النعمة المنتظرة وبصره بالطرق التي تسدها وتقطع طريقها ورقه لاجتنابها واذا بها قد وافق اليه على آتم الوجود وعرفه النعم التي

هو فيها ولا يشعر بها ﴿ويحكي﴾ أن أعراياً دخل على الرشيد فقال أمير المؤمنين
جبت الله عليك النعم التي أنت فيها بادامة شكرها وحقق لك النعم التي ترجوها
محسن الظن به ودوام طاعته وعرفك النعم التي أنت فيها ولا تعرفها لشكرها *
فأعجبه ذلك منه وقال ما أحسن تقسيمه *

قاعده جلية

مبدأ كل علم نظري وعمل اختياري هو الخواطر والأفكار فإنها توجب
التصورات والتصورات تدعو الى الارادات والارادات تقضي وقوع الفعل
وكثرة تكراره تعطى العادة فصلاح هذه المراتب بصلاح الخواطر والأفكار
وفسادها بفسادها فصلاح الخواطر بأن تكون مراقبة لوليها والمها صاعدة اليه
دائرة على مرضاته ومحابه فانه سبحانه به كل صلاح : ومن عنده كل هدى :
ومن توفيقه كل رشد : ومن توليه لعبده كل حفظ : ومن توليه وإعراضه عنه
كل ضلال وشقاء فيظفر العبد بكل خير وهدى ورشد بقدر اثبات عين فكرته
في آلائه ونعمه وتوحيده وطرق معرفته وطرق عبوديته وإنزاله إياه حاضراً
معه مشاهداً له ناظراً اليه رقيقاً عليه مطلعاً على خواطره وإراداته وهمه : فحينئذ
يستحي منه ويحمله أن يطلعه منه على عورة يكره أن يطلع عليها مخلوق مثله أو
يرى في نفسه خاطراً يمتقه عليه *

ففي أنزل ربه هذه المنزلة منه رفعه وقربه منه وأكرمه واجتبه ووالاه
وبقدر ذلك يبعد عن الأوساخ والدنات والخواطر الرديئة والأفكار
الدينئة كما أنه كلما بعد منه وأعرض عنه قرب من الأوساخ والدنات والأقذار
ويقطع عن جميع الكمالات ويتصل بجميع النقائص فلانسان خير المخلوقات
إذا قرب من بارئه والنزم أوامره ونواهي وعمل بمرضاته وآثره على هواه :

وشر المحلوقات اذا تباعد عنه ولم يتحرك قلبه لقربه وطاعته وابتغاء مرضاته فنتي اختيار التقرب اليه وآثره على نفسه وهواه فقد حكم قلبه وعقله وإيمانه على نفسه وشيطانه وحكم رشده على غيه وهواه علي هواه: ومتى اختار التباعد منه فقد حكم نفسه وهواه وشيطانه على عقله وقلبه ورشده»

واعلم أن الخطرات والوساوس تؤدي متعلقاتها الى الفكر فيأخذها الفكر فيؤديها الي التذكر فيأخذها الذكر فيؤديها الي الارادة فتأخذها الارادة فتؤديها الي الجوارح والعمل فتستحكم فتصير عادة فردها من مبادئها أسهل من قطعها بعد قوتها ونعماها ومعلوم أنه لم يعط الانسان امانة الخواطر ولا القوة على قطعها فانها تهجم عليه هجوم النفس إلا أن قوة الايمان والعقل تعينه علي قبول أحسنها ورضاء به ومساكنته له وعلي رفع أقبحها وكراهته له ونفرته منه كما قال الصحابة «يا رسول الله إن أحدنا يجد في نفسه ما لأن يحترق حتى يصير حمة (١) أحب اليه من أن يتكلم به فقال أو قد وجدتموه قالوا نعم قال ذاك صريح الايمان» وفي لفظ «الحمد لله الذي رد كيده الى الوسوسة» وفيه قولان أحدهما أن رده وكراهته صريح الايمان: والثاني أن وجوده والقاء الشيطان له في النفس صريح الايمان فانه انما القاء في النفس طلبا لمعارضة الايمان وإزالته به وقد خلق الله سبحانه النفس شبيهة بالرحا الدائرة التي لا تسكن ولا بد لها من شيء تطحنه فان وضع فيها حب طحنته وإن وضع فيها تراب أو حصا طحنته: فالأفكار والخواطر التي تجول في النفس هي بمنزلة الحب الذي يوضع في الرحا ولا تبقى تلك الرحا معطلة قط بل لا بد لها من شيء يوضع فيها فمن الناس من تطحن رحاه حبا يخرج دقيقا ينفع به نفسه وغيره وأكثرهم يطحن رملا وحصا وتبنا ونحو ذلك فاذا جاء وقت العجن والخبز تبين له حقيقة طحينه»

فصل

فاذا دفعت الخاطر الوارد عليك اندفع عنك مابعدہ وإن قبلته صار
 فكراً جوالاً فاستخدم الإرادة فتساعدت هي والفكر على استخدام الجوارح
 فان تعذر استخدامها رجعا الى القلب بالمني والشهوة وتوجهه الى جهة
 المراد : ومن المعلوم أن اصلاح الخواطر أسهل من اصلاح الأفكار واصلاح
 الأفكار أسهل من إصلاح الارادات وإصلاح الارادات أسهل من تدارك فساد
 العمل وتداركه أسهل من قطع العوائد فأنفع الدواء أن تشغل نفسك بالفكر
 فيما يعينك دون مالا يعينك فالفكر فيما لا يعنى باب كل شر ومن فكر فيما
 لا يعنيه فاته ما يعنيه واشتغل عن أنفع الأشياء له بما لا منفعة له فيه فالفكر والخواطر
 والإرادة والهمة أحق شيء باصلاحه من نفسك فان هذه خاصتك وحقيقتك
 التي تبتعد بها أو تقرب من الهلك ومعبودك الذي لا سعادة لك إلا في قربه
 ورضاه عنك وكل الشقاء في بعدك عنه وسخطه عليك ومن كان في خواطره
 ومجالات فكره دينياً خسيساً لم يكن في سائر أمره إلا كذلك وإياك أن تمكن
 الشيطان من بيت أفكارك وإرادتك فانه يفسدها عليك فساداً يصعب تداركه
 ويلقى اليك أنواع الوسوس والأفكار المضرة ويحول بينك وبين الفكر فيما
 ينفعك وأنت الذي أعنته على نفسك بتمكينه من قلبك وخواطرك فلكما عليك
 فتشالك معه مثال صاحب رحا يطحن فيها جيد الحبوب فأثابه شخص معه حمل
 تراب وبر وغم وغشاء ليطحنه في طاحوته فان طرده ولم يمكنه من القاء ما معه
 فيه الطاحون استمر على طحن ما ينفعه وإن مكنته في القاء ذلك في الطاحون
 أفسد ما فيها من الحب وخرج الطحين كله فاسداً والذي يليقه الشيطان
 في النفس لا يخرج عن الفكر فيما كان ودخل في الوجود لو كان على
 خلاف ذلك وفيما لم يكن لو كان كيف كان يكون أو فيما يملك الفكر فيه من أنواع

الفواحش والحرام أو في خيالات وهمية لا حقيقة لها وإما في باطل أو فيما لا سبيل الى إدراكه من أنواع ما طوى عنه علمه فيلقيه في تلك الخواطر التي لا يبلغ منها غاية ولا يقف منها علي نهاية فيجعل ذلك مجال فكره ومسرح وهمه *

﴿وجماع اصلاح ذلك﴾ أن تشغل فكرك في باب العلوم والتصورات بمعرفة ما يلزمك من التوحيد وحقوقه وفي الموت وما بعده الى دخول الجنة والنار وفي آفات الأعمال وطرق التحرز منها وفي باب الارادات والعزوم أن تشغل نفسك بارادة ما ينفك ارادته وطرح ارادة ما يضرك ارادته : وعند العارفين أن تمنى الحياة واشغال الفكر والقلب بها أضرب علي القلب من نفس الحياة ولا سيما اذا فرغ قلبه منها بعد مباشرتها فان تمنى يشغل القلب بها ويملؤه منها ويجعلها همه ومراده : وأنت تجد في الشاهد ان الملك من البشر اذا كان في بعض حاشيته وخدمه من هو متمن لحياته مشغول القلب والفكر بها ممتلئ منها وهو مع ذلك في خدمته وقضاء أشغاله فاذا اطلع علي سره وقصده مقتته غاية المقت وأبغضه وقابله بما يستحقه وكان أبغض اليه من رجل بعيد عنه جني بعض الجنيات وقلبه وسره مع الملك غير منطو علي تمنى الحياة ومحبتها والحرص عليها فالاول يتركها عجزا واشتغالا بما هو فيه وقلبه ممتلئ بها والثاني يفعلها وقلبه كاره لما ليس فيه اضرار الحياة ولا الاصرار عليها فهذا أحسن حالا وأسلم عاقبة من الأول *

﴿وبالجملة﴾ فالقلب لا يخلو قط من الفكر أما في واجب آخرته ومصالحها وأما في مصالح دنياه ومعاشه وإما في الوسوس والاماني الباطلة والمقدرات المفروضة وقد تقدم أن النفس مثلها كمثل رجا تدور بما يلتقي فيها فان القيت فيها جادارت به وان القيت فيها زجاجا وحصا وبعراً دارت به والله سبحانه هو قيم تلك الرجا ومالكها ومصرفها وقد أقام لها ملكا يلتقي فيها ما ينفعها فتدور به وشيطاننا يلتقي فيها ما يضرها فتدور به فالملك يلم بها مرة والشيطان يلم بها مرة فالحب الذي يلتقيه

الملك ابعاد بالخير وتصديق بالوعد والحب الذى يلقى الشيطان ابعاد بالشر
وتكذيب بالوعد: والطحين علي قدر الحب وصاحب الحب المضر لا يتمكن من
القائه الا اذا وجد الرحي فارغة من الحب النافع وقيمها قد أهملها واعرض عنها
فحينئذ يبادر الي لقاء مامعه فيها *

وبالجمله فقيم الرحا اذا تحلى عنها وعن إصلاحها والقائه الحب النافع فيها وجد
العدو والسبيل إلي إفسادها وإدارتها بما معه وأصل صلاح هذه الرحي بالاشتغال بما
يعنيك وفسادها كله في الاشتغال بما لا يعنيك وما أحسن ما قال بعض العقلاء لما
وجدت أنواع الذخائر منصوبة غرضا للمتألف ورأيت الزوال حاكما عليها مدركا
لها انصرفت عن جميعها الي ما لا ينازع فيه ذو الحجا أنه أنفع الذخائر وأفضل
المكاسب وأربح المتاجر والله المستعان *

قال شقيق بن ابراهيم اغلق باب التوفيق عن الخلق من ستة أشياء اشتغالهم
بالنعمة عن شكرها : ورغبتهم في العلم وتركهم العمل : والمسارعة الي الذنب وتأخير
التوبة والاعتذار بصحبة الصالحين وترك الاقتداء بهم : وادبار الدنيا عنهم
وهم يتبعونها واقبال الآخرة عليهم وهم معرضون عنها (قلت) وأصل ذلك
عدم الرغبة والرغبة وأصله ضعف اليقين وأصله ضعف البصيرة وأصله مهانة النفس
ودنائتها واستبدال الذي هو أدني بالذي هو خير والا فلو كانت النفس شريفة
كبيرة لم ترض بالدون : فأصل الخير كله بتوفيق الله ومشيتته وشرف النفس
ونبلها وكبرها : وأصل الشر خستها ودنائتها وصغرها قال تعالى (قد أفلح من
زكاهها وقد خاب من دساها) أي أفلح من كبرها وكثرها ونماها بطاعة الله
وخاب من صغرها وحقرها بمعاصي الله : فالنفوس الشريفة لا ترضي من الأشياء
الا بأعلاها وأفضلها وأحمدها عاقبة والنفوس الدنيئة يحوم حول الدنات وتقع
عليها كما يقع الذباب على الأقدار : فالنفس الشريفة العلية لا ترضي بالظلم ولا
بالفواحش ولا بالسرقة والخيانة لأنها أكبر من ذلك وأجل والنفس المهيئة
(م ٢٣ — فوائد)

الحقيرة الخسيسة بالضد من ذلك فكل نفس تميل الى ما يناسبها ويشاكلها وهذا معنى قوله تعالى (قل كل يعمل على شاكلته) أي على ما يشاكله ويناسبه فهو يعمل على طريقته التي تناسب أخلاقه وطبيعته وكل انسان يجرى على طريقته ومذهبه وعاداته التي ألفها وجبل عليها : فالفاجر يعمل بما يشبه طريقته من مقابلة النعم بالمعاصي والاعراض عن النعم : والمؤمن يعمل بما يشاكله من شكر النعم ومحبة والثناء عليه والتودد اليه والحياء منه والمراقبة له وتعظيمه وإجلاله * .

فصل

من لم يعرف نفسه كيف يعرف خالقه : فاعلم أن الله تعالى خلق في صدرك بيتا وهو القلب ووضع في صدره عرشا لمعرفته يستوى عليه المثل الأعلى فهو مستو على عرشه بذاته بائن من خلقه : والمثل الأعلى من معرفته ومحبه وتوحيده مستو على سرير القلب وعلى السرير بساط من الرضا ووضع عن يمينه وشماله مرافق شرائعه وأوامره وفتح اليه بابا من جنة رحمته والأنس به والشوق الى لقائه وأمطره من وابل كلامه ما أنبت فيه أصناف الرياحين والأشجار المثمرة من أنواع الطاعات والتهايل والتسبيح والتحميد والتقديس وجعل في وسط البستان شجرة معرفة فهي تؤتي أكلها كل حين باذن ربها من المحبة والانابة والخشية والفرح به والابتهاج بقربه وأجرى الى تلك الشجرة ما يسقيها من تدبر كلامه وفهمه والعمل بوصاياه وعلق في ذلك البيت قنديلا أسرجه بضياء معرفته والايمان به وتوحيده فهو يستمد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولولم تمسه نار ثم أحاط عليه حائطا يمنعه من دخول الآفات والمفسدين ومن يؤذي البستان فلا يلحقه اذاهم وأقام عليه حرسا من الملائكة يحفظونه في يقظته ومنامه ثم أعلم صاحب البيت والبستان بالسالكين فيه فهو دائما همهم إصلاح السكن ولم شعثه ليرضاء الساكن منزلا وإذا أحس بأذني شعث في السكن

بادر الي إصلاحه ولمه خشية انتقال الساكن منه فنعم الساكن ونعم المسكن
فسبحان الله رب العالمين كم بين هذا البيت وبيت قد استولى عليه الخراب وصار
مأوي للحشرات والهوام ومحلا لالقاء الأتتان والقاذورات فيه فمن أراد التخلي
وقضاء الحاجة وجد خربة لا ساكن فيها ولا حافظ لها وهي معدة لقضاء الحاجة
مظلمة الأرجاء منتنة الرائحة قد عمها الخراب وملأتها القاذورات فلا يأنس
بها ولا ينزل فيها إلا من يناسبه سكنها من الحشرات والديدان والهوام :
الشیطان جالس علي سريرها وعلى السرير بساط من الجبل وتخفق فيه الأهواء
وعن يمينه وشماله مرافق الشهوات وقد فتح اليه باب من حقل الخذلان والوحشة
والركون الي الدنيا والطمأنينة بها والزهد في الآخرة وأمطر من وابل الجبل والهوى
والشرك والبدع ما أنبت فيه أصناف الشوك والخنظل والأشجار المثمرة بأنواع
المعاصي والمخالفات من الزوائد والتنديبات والنوادر والمزليات والمضحكات
والأشعار الغزليات والخريات التي تهيج علي ارتكاب المحرمات وتزهد في
الطاعات وجعل في وسط الحقل شجرة الجبل به والاعراض عنه فهي تؤذي
أكلها كل حين من الفسوق والمعاصي والاهو واللعب والمجون والذهاب مع كل
ريح واتباع كل شهوة : ومن غمرها الهموم والغموم والأحزان والآلام ولكنها
متوارية باشتغال النفس بلهوها ولعبها فاذا أفاقت من سكرها أحضرت كل هم
وغم وحزن وقلق ومعيشة ضنك وأجري الي تلك الشجرة ما يسقيها من اتباع
الهوى وطول الأمل والغرور ثم ترك ذلك البيت وظلماته وخراب حيطانه بحيث
لا يمنع منه مفسد ولا حيوان ولا مؤذ ولا قدر فسبحان خالق هذا البيت وذلك البيت
فمن عرف بيته وقدر الساكن فيه وقدر ما فيه من الكنوز والدخائر والآلات انتفع
بجياته ونفسه ومن جهل ذلك جهل نفسه وأضاع سعادته وبالله التوفيق *

مثل سهل التسترى الرجل يأكل في اليوم أسكة : قال أكل الصديقين
قليل له فأكلتين قال أكل المؤمنين قليل له فثلاث أكلت فقال قل لأهله يبنوا

له معلفًا * قال الأسود بن سالم ركعتين أسلميهما لله أحب الى من الجنة بما فيها
فقليل له هذا خطأ فقال دعونا من كلامكم الجنة رضى نفسى والركعتان رضى
ربي ورضى ربي أحب الى من رضى نفسى * العارف فى الارض ربحانة من
رياحين الجنة إذا شمها المرید اشتاقت نفسه الى الجنة * قلب المحب موضوع بين جلال
محبوبه وجماله فإذا لاحظ جلاله هابه وعظمه وإذا لاحظ جماله أحبه واشتاق اليه *

فائدة

من الناس من يعرف الله بالجود والافضال والاحسان : ومنهم من يعرفه
بالعفو والحلم والتجاوز : ومنهم من يعرفه بالبطش والانتقام : ومنهم من يعرفه
بالمعلم والحكمة : ومنهم من يعرفه بالعزة والكبرياء : ومنهم من يعرفه بالرحمة والبر
واللطف : ومنهم من يعرفه بالقهر والملك : ومنهم من يعرفه باجابة دعوته واغاثة
لهفته وقضاء حاجته * وأعم هؤلاء معرفة من عرفه من كلامه فإنه يعرف ربا قد
اجتمعت له صفات الكمال ونعوت الجلال مزه عن امثال برىء من النقائص
والعيوب له كل اسم حسن وكل وصف كمال : فعال لما يريد فوق كل شيء ومع
كل شيء : وقادر على كل شيء : ومقيم لكل شيء آمرنا متكلم بكلماته الدينية
والكونية أكبر من كل شيء وأجل من كل شيء أرحم الراحمين وأقدر
القادرين وأحكم الحاكمين : فالقرآن أنزل لتعريف عباده به وبصراطه الموصل
اليه وبحال السالكين بعد الوصول اليه *

فائدة

من الآفات الخفية العامة أن يكون العبد فى نعمة أنعم الله بها عليه واختارها
له فيسلها العبد ويطلب الانتقال منها الى ما يزعم لجهله أنه خير له منها ورببه رحمته
لا يخرج من تلك النعمة ويعذره بجهله وسواختياره لنفسه حتى اذا ضاق ذرعا

بتلك النعمة وسخطها وتبرم بها واستحكم ملكه لها سلبه الله إياها فاذا انتقل إلى ماطلبه ورأي التفاوت بين ما كان فيه وما صار اليه اشتد قلقه وندمه وطلب العودة الى ما كان فيه فاذا أراد الله بعبد خيرا ورشدا أشهده ان ماهو فيه نعمة من نعمه عليه ورضاه به وأوزعه شكره عليه فاذا حدثته نفسه بالانتقال عنه استخار ربه استخارة جاهل بمصلحته عاجز عنها مفوض إلى الله طائب منه حسن اختياره له وليس علي العبد أضر من ملله لنعم الله فانه لا يراها نعمة ولا يشكره عليها ولا يفرح بها بل يسخطها ويشكوها ويعدها مصيبة: هذا وهي من أعظم نعم الله عليه فاكثر الناس أعداء نعم الله عليهم ولا يشعرون بفتح الله عليهم نعمه وهم مجتهدون في دفعها وردّها جهلا وظلما: فكم سعت إلى أحدهم من نعمة وهو ساع في ردها بجده وكم وصلت إليه وهو ساع في دفعها وزوالها بظلمه وجهله قال تعالى (ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها علي قوم حتي يغيروا ما بأنفسهم) وقال تعالى (إن الله لا يغير ما بقوم حتي يغيروا ما بأنفسهم) فليس للنعم أعدى من نفس العبد فهو مع عدوه ظهير على نفسه فعدوه يطرح النار في نعمه وهو ينفخ فيها فهو الذي يمكنه من طرح النار ثم أعانه بالنفخ فاذا اشتد ضرارها استغاث من الحريق وكان غايته معاتبة الأقدار *

وعاجز الرأي مضيع لفرصته * حتي اذا فات أمر عاتب القدرا

فصل

من أغز أنواع المعرفة معرفة الرب سبحانه بالجمال وهي معرفة خواص الخلق وكلهم عرفه بصفة من صفاته وآتهم معرفة من عرفه بكمال وجلاله وجماله سبحانه ليس كمثل شيء في سائر صفاته ولو فرضت الخلق كلهم على اجمالهم صورة وكلهم على تلك الصورة ونسبت جمالهم الظاهر والباطن الى جمال الرب سبحانه لكان أقل من نسبة سراج ضعيف الى قرص الشمس ويكفي في جماله أنه لو كشف الحجاب

عن وجهه لا حرقته سبحانه ما انتهى إليه بصره من خلقه : ويكفي في جماله أن كل جمال ظاهر وباطن في الدنيا والآخرة فمن آثار صنعته فما الظن بمن صدر عنه هذا الجمال : ويكفي في جماله أنه له العزة جميعاً والقوة جميعاً والجود كله والاحسان كله والعلم كله والفضل كله : ولنور وجهه أشرقت الظلمات كما قال النبي ﷺ في دعاء الطائف « أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلى عليه أمر الدنيا والآخرة » وقال عبد الله بن مسعود ليس عند ربكم ليل ولا نهار نور السموات والأرض من نور وجهه فهو سبحانه نور السموات والأرض ويوم القيامة إذا جاء لفصل القضاء تشرق الأرض بنوره : ومن أسمائه الحسنى الجميل : وفي الصحيح عنه ﷺ « إن الله جميل يحب الجمال » *

وجماله سبحانه على أربع مراتب جمال الذات : وجمال الصفات : وجمال الأفعال : وجمال الأسماء : فأسماءه كلها حسني وصفاته كلها صفات كمال وأفعاله كلها حكمة ومصلحة وعدل ورحمة . وأما جمال الذات وما هو عليه فأمر لا يدركه سواء ولا يعلمه غيره وليس عند المخلوقين منه إلا تهريفات تعرف بها إلى من أكرمهم من عباده فان ذلك الجمال مصون عن الأغيار محبوب بستر الرداء والازار كما قال رسوله ﷺ فيما يحكي عنه « الكبرياء ردائي والعظمة إزاري » ولما كانت الكبرياء أعظم وأوسع كانت أحق باسم الرداء فانه سبحانه الكبير المتعال فهو سبحانه العلي العظيم : قال ابن عباس حجب الذات بالصفات وحجب الصفات بالأفعال فما ظنك بجمال حجب بأوصاف الكمال وستر بنعوت العظمة والجلال *

ومن هذا المعنى يفهم بعض معاني جمال ذاته فان العبد يترقى من معرفة الأفعال إلى معرفة الصفات ومن معرفة الصفات إلى معرفة الذات فإذا شاهد شيئاً من جمال الأفعال استدل به على جمال الصفات ثم استدل بجمال الصفات على جمال الذات : ومن ههنا يتبين أنه سبحانه له الحمد كله وأن أحداً من خلقه لا يحصي ثناء

عليه بل هو كما أثني على نفسه وأنه يستحق أن يعبد لذاته ويحب لذاته ويشكر لذاته وأنه سبحانه يحب نفسه ويثني على نفسه ويحمد نفسه وأن محبته لنفسه وحده لنفسه وثناؤه على نفسه وتوحيده لنفسه هو في الحقيقة الحمد والثناء والحب والتوحيد فهو سبحانه كما أثني على نفسه وفوق ما يثنى به عليه خلقه وهو سبحانه كما يحب ذاته يحب صفاته وأفعاله فكل أفعاله حسن محبوب وإن كان في مفعولاته ما يفيضه ويكرهه فليس في أفعاله ما هو مكروه مسخوط وليس في الوجود ما يحب لذاته ويحمد لذاته إلا هو سبحانه وكل ما يحب سواء فإن كانت محبته نابعة لمحبة سبحانه بحيث يجب لأجله فمحبة صحيحة والا فهي محبة باطلة وهذا هو حقيقة الألوهية فإن الاله الحق هو الذي يحب لذاته ويحمد لذاته فكيف اذا انضاف الى ذلك إحسانه وإنعامه وحلمه وتجاوزه وعفوه وبره ورحمته فعلي العبد أن يعلم أنه لا إله الا الله فيحبه ويحمده لذاته وكاله : وأن يعلم انه لا محسن على الحقيقة بأصناف النعم الظاهرة والباطنة إلا هو فيحبه لاحسانه وانعامه ويحمده على ذلك فيحبه من الوجهين جميعا وكما أنه ليس كمثله شيء فليس كمحبته محبة والمحبة مع الخضوع هي العبودية التي خلق الخلق لاجلها فانها غاية الحب بغاية الذل ولا يصلح ذلك الا له سبحانه والاشراك به في هذا هو الشرك الذي لا يغفره الله ولا يقبل اصحابه عملا *

وحده يتضمن أصلين : الاخبار بمحامده وصفات كاله والمحبة له عليها فمن أخبر بمحاسن غيره من غير محبة له لم يكن حامداً ومن أحبه من غير إخبار بمحاسنه لم يكن حامداً حتى يجمع الأمرين وهو سبحانه يحمد نفسه بنفسه ويحمد نفسه بما يجريه على ألسنة الحامدين له من ملائكته وأنبيائه ورسله وعباده المؤمنين فهو الحامد لنفسه بهذا وهذا فإن حمدهم له بمشيئته وإذنه وتكوينه فانه هو الذي جعل الحامد حامداً والمسلم مسلماً والمصلئ مصلئاً والتائب تائباً فانه ابتدأت النعم واليه انتهت فابتدأت بحمده وانتهت الى حمده وهو الذي ألهم عبده التوبة وفرح

بها أعظم فرح وهى من فضله وجوده: وألهم عبده الطاعة وأعانها عليها ثم أثابه عليها وهى من فضله وجوده وهو سبحانه غنى عن كل ما سواه بكل وجه وما سواه فقير اليه بكل وجه والعبد مفتقر اليه لذاته فى الأسباب والغايات فان مالا يكون به لا يكون وما لا يكون له لا ينفع *

فصل

﴿وقوله فى الحديث﴾ « ان الله جميل يحب الجمال » يتناول جمال الثياب المسؤول عنه فى نفس الحديث ويدخل فيه بطريق العموم الجمال من كل شىء كما فى الحديث الآخر « إن الله نظيف يحب النظافة » وفى الصحيح « إن الله طيب لا يقبل الا طيباً » وفى السنن « ان الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده » وفيها عن أبي الأحوص الجشمى قال « رآني النبي ﷺ وعليّ أطمار فقال هل لك من مال قلت نعم قال من أى المال قلت من كل ما آتاني الله من الابل والشاء قال فلتبر نعمته وكرامته عليك » فهو سبحانه يحب ظهور أثر نعمته على عبده فانه من الجمال الذى يحبه وذلك من شكره على نعمه وهو جمال باطن فيحب أن يرى على عبده الجمال الظاهر بالنعمة والجمال الباطن بالشكر عليها ومحبة سبحانه للجمال أنزل على عباده لباساً وزينة تجمل ظواهرهم وتقوى تجمل بواطنهم (فقال يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوآتكم وريشاً ولباس التقوى ذلك خير) وقال فى أهل الجنة (ولقاهم نضرة وسرورا وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا) فجعل وجوههم بالنضرة وبواطنهم بالسرور وأبدانهم بالحريز وهو سبحانه كما يحب الجمال فى الأقوال والأفعال واللباس والهيئة يفيض القبيح من الأقوال والأفعال والثياب والهيئة فيفيض القبيح وأهله ومحب الجمال وأهله ولكن ضل فى هذا الموضوع فريقان : فريق قالوا كل ما خلقه جميل فهو يحب كل ما خلقه ونحن نحب جميع

ما خلقه فلا نبغض منه شيئاً قالوا ومن رأى الكائنات منه رآها كلها جميلة وأنشد منشدهم :

واذا رأيت الكائنات بعينهم * فجميع ما يحوي الوجود مليح
واحتجوا بقوله تعالى (الذى أحسن كل شيء خلقه) وقوله (صنع الله الذى أتقن كل شيء) وقوله (ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت) والعارف عندهم هو الذى يصرح باطلاق الجمال ولا يرى فى الوجود قبيحاً : وهؤلاء قد عدت الغيرة لله من قلوبهم والبغض فى الله والمعادة فيه وانكار المنكر والجهد فى سبيله وإقامة حدوده ويرى جمال الصور من الذكور والاناث من الجمال الذى يحبه الله فيتعبدون بفسقهم وربما غلا بعضهم حتى يزعم أن معبوده يظهر فى تلك الصورة ويحل فيها وإن كان اتحادياً قال هى مظاهر من مظاهر الحق ويسمئها المظاهر الجمالية *

فصل

﴿ وقابلهم الفريق الثانى ﴾ فقالوا قد ذم الله سبحانه جمال الصور وتما القامة والحلقة فقال عن المناققين (واذا رأيتم تعجبك أجسامهم) وقال (وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثاً ورثياً) أى أموالاً ومناظر : قال الحسن هو الصور : وفى صحيح مسلم عنه عليه السلام « ان الله لا ينظر الى صوركم وأموالكم وإنما ينظر الى قلوبكم وأعمالكم » قالوا ومعلوم أنه لم ينف نظر الإدراك وإنما نفى نظر المحبة قالوا وقد حرم علينا لباس الحرير والذهب وآنية الذهب والفضة وذلك من أعظم جمال الدنيا : وقال (ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه) وفى الحديث « البذاذة من الإيمان » وقد ذم الله المسرفين : والسرف كما يكون فى الطعام والشراب يكون فى اللباس *

﴿ وفصل النزاع ﴾ أن يقال الجمال فى الصورة واللباس والهيئة ثلاثة أنواع : منه ما يحمد : ومنه ما يذم : ومنه ما لا يتعلق به مدح ولا ذم : فالمحمود منه ما كان

(٢٤ م — فوائد)

لله وأعان على طاعة الله وتنفيذ أوامره والاستجابة له كما كان النبي ﷺ يتجمل للوفود وهو نظير لباس آلة الحرب للقتال ولباس الحرير في الحرب والخيلاء فيه فان ذلك محمود اذا تضمن اعلاء كلمة الله ونصر دينه وغيظ عدوه : والمذموم منه ما كان للدنيا والرياسة والفخر والخيلاء والتوسل الى الشهوات وأن يكون هو غاية العبد وأقصى مطلبه فان كثيراً من النفوس ليس لها همة في سوي ذلك : وأما مالا يحمد ولا يذم هو ما خلا عن هذين القصدين وتجرد عن الوصفين *

والمقصود أن هذا الحديث الشريف مشتمل على أصليين عظيمين : فأوله معرفة وآخره سلوك فيعرف الله سبحانه بالجمال الذي لا يماثله فيه شيء ، ويعبد بالجمال الذي يحبه من الأقوال والأعمال والأخلاق فيحب من عبده أن يجمل لسانه بالصدق وقلبه بالاخلاص والمحبة والانابة والتوكل وجوارحه بالطاعة وبدنه باظهار نعمه عليه في لباسه وتطهيره له من الاتنجاس والأحداث والأوساخ والشعور المكروهة والحتان وتقليم الأظفار فيعرفه بصفات الجمال ويتعرف اليه بالأفعال والأقوال والأخلاق الجميلة فيعرفه بالجمال الذي هو وصفه ويعبده بالجمال الذي هو شرعه ودينه فجمع الحديث قاعدتين المعرفة والسلوك *

فصل

ليس للعبد شيء انفع من صدقه ربه في جميع أموره مع صدق العزيمة في صدقه في عزمه وفي فعله : قال تعالى (فاذا عزم الأمر فلو صدقوا الله لكان خيراً لهم) فسعادته في صدق العزيمة وصدق الفعل فصدق العزيمة جمعها وجزمها وغدوم التردد فيها بل تكون عزيمة لا يشوبها تردد ولا تلوم : فاذا صدقت عزمته بقي عليه صدق الفعل وهو است فراغ الوسع وبذل الجهد فيه وأن لا يتخلف عنه بشيء من ظاهره وباطنه فعزيمة القصد تمنعه من ضعف الارادة والهمة وصدق الفعل يمنعه من الكسل والفتور ومن صدق الله في جميع اموره صنع الله له فوق ما يصنع لغيره

وهذا الصدق معنى يلتئم من صحة الاخلاص وصدق التوكل فاصدق الناس من
صح اخلاصه وتوكله *

فائدة جلية في القدر

رب ذو إرادة أمر عبداً ذا إرادة فان وفقه وأراد من نفسه
أن يعينه ويلهمه فعل ما أمر به وإن خذله وخلّاه وإرادته ونفسه وهو من
هذه الحيثية لا يختار الا ما تهواه نفسه وطبعه فهو من حيث هو انسان لا يريد
إلا ذلك ولذلك ذمه الله في كتابه من هذه الحيثية ولم يمدحه إلا بأمر زائد على
تلك الحيثية وهو كونه مسلماً ومؤمناً وصابراً ومحسناً وشكوراً وتقياً وبراً ونحو
ذلك وهذا أمر زائد علي مجرد كونه انساناً : وإرادته صالحة ولكن لا يكفي
مجرد صلاحيتها ان لم تؤيد بقدر زائد على ذلك وهو التوفيق كما انه لا يكفي
في الرؤية مجرد صلاحية العين للادراك ان لم يحصل سبب آخر من النور
المنفصل عنها *

فصل

من اعظم الظلم والجهل أن تطلب التعظيم والتوقير لك من الناس وقلبك
خال من تعظيم الله وتوقيره فانك توقر المخلوق وتجهله أن يراك في حال لا توقر
الله أن يراك عليها قال تعالى (ما لكم لا ترجون لله وقاراً) أى لا تعاملونه
معاملة من توقرونه والتوقير العظيمة : ومنه قوله تعالى (وتوقروه) قال الحسن
ما لكم لا تعرفون لله حقاً ولا تشكرونه : وقال مجاهد لا تبالون عظمة ربكم
وقال ابن زيد لا ترون لله طاعة : وقال ابن عباس لا تعرفون حق عظمتة وهذه
الاقوال ترجع إلى معنى واحد وهو أنهم لو عظموا الله وعرفوا حق عظمتة وحدوه
وأطاعوه وشكروه : فطاعته سبحانه واجتناب معاصيه والحياء منه بحسب وقاره

في القلب : ولهذا قال بعض السلف اعظم وقار الله في قلب أحدكم أن يذكره عند ما يستحي من ذكره فيقرن اسمه به كما تقول قبح الله الكلب والخنزير والنتن ونحو ذلك فهذا من وقار الله ومن وقاره أن لا تعدل به شيئاً من خلقه لا في اللفظ بحيث تقول والله وحياتك مالى إلا الله وأنت وما شاء الله وشئت ولا في الحب والتعظيم والاجلال ولا في الطاعة فتطيع المخلوق في أمره ونهيه كما تطيع الله بل أعظم كعليه أ كثر الظلمة والفجرة ولا في الخوف والرجاء ويجعله أهون الناظرين اليه ولا يستهين بحقه ويقول هو مبنى على المسامحة ولا يجعله على الفضلة ويقدم حق المخلوق عليه ولا يكون الله ورسوله في حد وناحية والناس في ناحية وحد فيكون في الحد والشق الذي فيه الناس دون الحد والشق الذي فيه الله ورسوله ولا يعطى المخلوق في مخاطبته قلبه ولبه ويعطى الله في خدمته بدنه ولسانه دون قلبه وروحه ولا يجعل مراد نفسه مقدماً على مراد ربه *

فهذا كله من عدم وقار الله في القلب ومن كان كذلك فإن الله لا يلتقى له في قلوب الناس وقاراً ولا هية بل يسقط وقاره وهيته من قلوبهم وإن وقروه مخافة شره فذاك وقار بغض لا وقار حب وتعظيم : ومن وقار الله أن يستحي من اطلاعه على سره وضميره فيري فيه ما يكره : ومن وقاره أن يستحي منه في الخلوة أعظم مما يستحي من اكابر الناس *

والمقصود أن من لا يوقر الله وكلامه وما آتاه من العلم والحكمة كيف يطلب من الناس توقيره وتعظيمه * القرآن والعلم وكلام الرسول ﷺ صلوات من الحق وتبهيته وروادع وزواجر وارادة اليك والشيب زاجر وراذع وموقظ قائم بك : فلا ما ورد اليك وعظك ولا ما قام بك نصحك ومع هذا تطلب التوقير والتعظيم من غيرك فأنت كصاب لم تؤثر فيه مصيبته وعظاً وانزجاراً وهو يطلب من غيره أن يتعظ وينزجر بالنظر إلى مصابه : فالضرب لم يؤثر فيه زجراً وهو يريد الانزجار ممن نظر إلى ضربه : من سمع بالثلاث والعقوبات

والآيات في حق غيره ليس كن رآها عيانا في غيره فكيف بمن وجدها في نفسه (سبرهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم) فأياته في الآفاق مسموعة معلومة وآياته في النفس مشهودة مرئية فعياذاً بالله من الخذلان: قال تعالى (ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءهم كل آية حتي يروا العذاب الأليم) وقال (ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلهم الموتى وحشرنا عليهم كل شي قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله) *

والعاقل المؤيد بالتوفيق يعتبر بدون هذا ويتمم نقائص خلقته بفضائل اخلاقه وأعماله فكلما امتحى من جمائه أثر زاد ايمانه أثر وكلما نقص من قوى بدنه زاد في قوة إيمانه و يقينه ورغبته في الله والدار الآخرة وإن لم يكن هكذا فالموت خير له لأنه يقف به على حد معين من الألم والفساد بخلاف العيوب والنقائص مع طول العمر فأنها زيادة في ألمه وهمه وغمه وحسرتة وإنما حسن طول العمر ونفع ليحصل التذكر والاستدراك واغتنام القرض والتوبة النصوح كما قال تعالى (أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر) فمن لم يورثه التعمير وطول البقاء اصلاح معائبه وتدارك فارطه واغتنام بقية أنفاسه فيعمل على حياة قلبه وحصول النعيم المقيم وإلا فلا خير له في حياته فإن العبد على جناح سفر اما الى الجنة واما إلى النار : فإذا طال عمره وحسن عمله كان طول سفره زيادة له في حصول النعيم واللذة فانه كلما طال السفر إليها كانت الصبابة أجمل وأفضل وإذا طال عمره وساء عمله كان طول سفره زيادة في ألمه وعذابه ونزولا له إلى أسفل: فالمسافر اما صاعد واما نازل * وفي الحديث المرفوع « خيركم من طال عمره وحسن عمله وشركم من طال عمره وقبح عمله » *

فالطاب الصادق في طلبه كما حرب شيء من ذاته جعله عمارة لقلبه وروحه وكلما نقص شيء من دنياه جعله زيادة في آخرته وكلما منع شيئاً من لذات دنياه جعله زيادة في لذات آخرته وكلما ناله هم أو حزن أو غم جعله في أفراح آخرته

ففقصان بدنه وديناه ولذته وجاهه ورثاسته ان زاد في حصول ذلك وتوفيره عليه في معاده كان رحمة به وخير آله وإلا كان حرمانا وعقوبة على ذنوب ظاهرة أو باطنة أو ترك واجب ظاهر أو باطن فان حرمان خير الدنيا والآخرة مرتب علي هذه الأربعة وبالله التوفيق *

فائدة

الناس منذ خلقوا لم يزالوا مسافرين وليس لهم حط عن رحالهم إلا في الجنة أو النار والعاقل يعلم أن السفر مبنى على المشقة وركوب الاخطار : ومن المحال عادة أن يطلب فيه نعيم ولذة وراحة إنما ذلك بعد انتهاء السفر : ومن المعلوم أن كل وطأة قدم أو كل آن من آتات السفر غير واقفة ولا المكلف واقف وقد ثبت أنه مسافر علي الحال التي يجب أن يكون المسافر عليها من تهيئة الزاد الموصل وإذا نزل أو نام أو استراح فعلي قدم الاستعداد للسير *

فائدة

عند العارفين أن الاشتغال بالمشاهدة عن (١) البر في السير في السر وقوف لآثته في زمن المشاهدة لو كان صاحب عمل ظاهر أو باطن أو ازدياد من معرفة وإيمان مفصل كان أولى به فان اللطيفة الانسانية تحشر علي صورة عملها ومعرفتها وهمتها وإرادتها والبدن يحشر علي صورة عمله الحسن أو القبيح وإذا انتقلت من هذه الدار شاهدت حقيقة ذلك : وعلى قدر قرب قلبك من الله تبعد من الانس بالناس ومساكنتهم: وعلي قدر صيانتك لسرك وإرادتك يكون حفظه * وملاك ذلك صحة التوحيد ثم صحة العلم بالطريق ثم صحة الارادة ثم صحة العمل والحذر

كل الحذر من قصد الناس لك واقبالهم عليك وأن يعثروا على موضع غرضك فانها الآفة العظمى *

فائدة

كل ذى لب يعلم أنه لا طريق للشيطان عليه إلا من ثلاث جهات : أحدها التزيد والاسراف فيزيد على قدر الحاجة فتصير فضلة وهي حظ الشيطان ومدخله الى القلب وطريق (١) الاحتراز من إعطاء النفس تمام مطلوبها من غذاء أو نوم أو لذة أو راحة فتمت أغلقت هذا الباب حصل الأمان من دخول العدو منه : الثانية الغفلة فان الذاك في حصن الذكر فتمت غفل فتح باب الحصن فولوج العدو فيمسر عليه أو يصعب اخراجه * الثالثة تكلف ما لا يعنيه من جميع الاشياء *

فائدة

طالب النفوذ الى الله والدار الآخرة بل والى كل علم وصناعة ورئاسة بحيث يكون رأساً في ذلك مقتدي به فيه يحتاج أن يكون شجاعاً مقداماً حاكماً على وهمه غير مقهور تحت سلطان تخيله زاهداً في كل ما سوي مطلوبه عاشقاً لما توجه اليه عارفاً بطريق الوصول اليه والطرق القواطع عنه مقدم الهمة ثابت الجأش لا يثنيه عن مطلوبه لوم لا تم ولا عذل عاذل كثير السكون دائم الفكر غير مائل مع لذة المدح ولا ألم الذم قائماً بما يحتاج اليه من أسباب معونته لا تستغزه المعارضات شعاره الصبر وراحته التعب محباً لمكارم الأخلاق حافظاً لوقته لا يتخاط الناس الا على حذر كالطائر الذي يلتقط الحب يدينهم قائماً على نفسه بالرغبة والرغبة طامعاً في نتائج الاختصاص على بنى جنسه غير مرسل شيئاً من حواسه عبثاً ولا مسرحاً

(١) هكذا الاصل وهو غير ظاهر ولعل في السلام سقلاً تقديره وطريق الخلاص

خواطره في مراتب السكون : وملاك ذلك هجر العوائد وقطع العلائق الخائلة بينك وبين المطلوب وعند العوام أن لزوم الأدب مع الحجاب خير من اطراح الأدب مع الكشف *

فائدة

من الذاكرين من يبتديء بذكر اللسان وان كان علي غفلة ثم لا يزال فيه حتى يحضر قلبه فيتواطأ على الذكر : ومنهم من لا يرى ذلك ولا يبتديء على غفلة بل يسكن حتى يحضر قلبه فيشرع في الذكر بقلبه فاذا قوى استتبع لسانه فتواطأ جميعا : فالاول ينتقل الذكر من لسانه الى قلبه : والثاني ينتقل من قلبه الى لسانه من غير أن يخلو قلبه منه بل يسكن أولا حتى يحس بظهور الناطق فيه فاذا أحس بذلك نطق قلبه ثم انتقل النطق القلبي الى الذكر اللساني ثم يستغرق في ذلك حتى يجد كل شيء منه ذا كرا : وأفضل الذكر وأنفعه ما واطأ فيه القلب اللسان وكان من الأذكار النبوية وشهد الذاكر معانيه ومقاصده *

فصل

أنفع الناس لك رجل مكنك من نفسه حتى تزرع فيه خيراً أو تصنع اليه معروفا فانه نعم العون لك على منفعتك وكما لك : فانتفاعك به في الحقيقة مثل انتفاعه بك أو أكثر : وأضر الناس عليك من مكن نفسه منك حتى تعصى الله فيه فانه عون لك على مضرتك ونقصك *

فصل

اللذة المحرمة ممزوجة بالقبح حال تناولها مشمرة للألم بعد انقضائها فاذا اشتدت الداعية منك اليها ففكر في انقطاعها وبها قبحها وألمها ثم وازن بين الأمرين

وانظر ما بينهما من التفاوت : والتعب بالطاعة ممزوج بالحسن مشمر للذة والراحة
فاذا ثقلت على النفس ففكر في انقطاع تعبها وبقا، حسنها ولذتها وسرورها ووازن
بين الأمرين وآثر الراجح على المرجوح فان تأملت بالسبب فانظر الى ما في
المسبب من الفرحة والسرور والالذة يهن عليك مقاسانه وإن تأملت بترك اللذة
المحرمة فانظر الى الألم الذي يعقبه ووازن بين الألمين وخاصة العقل تحصيل
أعظم المنفعتين بتفويت أدناها واحتمال أصغر الألمين لدفع أعلاهما *
وهذا يحتاج الى علم بالاسباب ومقتضياتها والى عقل يختار به الاولي والانفع له
منها فمن وفر قسمه من العقل والعلم اختار الافضل وآثره ومن نقص حظه منها
أومن أحدهما اختار، خلافه ومن فكر في الدنيا والآخرة علم أنه لا ينال واحداً
منها الا بمشقة فليتحمل المشقة لخيرها وأبقاها *

فصل

لله على العبد في كل عضو من أعضائه أمر وله عليه فيه نهى وله فيه نعمة وله
به منفعة ولذة فان قام لله في ذلك العضو بأمره واجتنب فيه نهيه فقد أدى شكر
نعمته عليه وسعى في تكميل انتفاعه ولذته به وان عطل أمر الله ونهيه فيه عطله
الله من انتفاعه بذلك العضو وجعله من أكبر أسباب ألمه ومضرته : وله عليه في
كل وقت من أوقاته عبودية تقدمه اليه وتقربه منه فان شغل وقته بعبودية الوقت
تقدم الي ربه وان شغله بهوى أو راحة وبطالة تأخر فالعبد لا يزال في تقدم أو تأخر
ولا وقوف في الطريق البتة : قال تعالى (لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر) *

فصل

أقام الله سبحانه هذا الخلق بين الأمر والنهى والعطاء والمنع فاقترقوا فرقتين
فرقة قابلت أمره بالترك ونهيه بالارتكاب وعطاءه بالغفلة عن الشكر ومنعه
(م ٢٥ — فوائد)

بالسخط وهؤلاء أعداؤه وفيهم من العداوة بحسب ما فيهم من ذلك : وقسم قالوا إنما نحن عبيدك فإن أمرتنا سارعنا إلى الإجابة وإن نهيتنا أمسكنا نفوسنا وكفناها عما نهيته عنه وإن أعطينا حمدناك وشكرناك وإن منعنا تضرعنا إليك وذكرناك فليس بين هؤلاء وبين الجنة إلا ستر الحياة الدنيا فإذا مرزقه عليهم الموت صاروا إلى النعيم المقيم وقرة الأعين كأن أولئك ليس بينهم وبين النار إلا ستر الحياة فإذا مرزقه الموت صاروا إلى الحسرة والالتم *

فإذا تصادمت جيوش الدنيا والآخرة في قلبك وأردت أن تعلم من أى الفريقين أنت فانظر مع من تميل منهما ومع من تقايل اذلا يمكنك الوقوف بين الجيشين فأنت مع أحدهما لا محالة فالفريق الأول استغشوا الهوى فخالفوه واستنصحو العقل فشاؤروه وفرغوا قلوبهم للفكر فيما خلقوا له وجوارحهم للعمل بما أمروا به وأوقاتهم لعمارتها بما يعمر منازلهم في الآخرة واستظهروا على سرعة الأجل بالمبادرة إلى الأعمال وسكنوا الدنيا وقلوبهم مسافرة عنها واستوطنوا الآخرة قبل انتقالهم إليها واهتموا بالله وطاعته على قدر حاجتهم إليه وزودوا للآخرة على قدر مقامهم فيها ففعل لهم سبحانه من نعيم الجنة وروحها أن آسهم بنفسه وأقبل بقلوبهم إليه وجمعها على محبته وشوقهم إلى لقائه ونعمهم بقربه وفرغ قلوبهم ماملأ قلوب غيرهم من محبة الدنيا والهوى والحزن على فوتها والغم من خوف ذهابها فاستلأنوا ما استوعره المترفون وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون صحبوا الدنيا بأبدانهم والملا الأعلى بأرواحهم *

فصل

التوحيد أصل (١) شيء وأنزهه وأنظفه وأصفاه فأدني شيء بخدشه ويدنسه ويؤثر فيه فهو كايض ثوب يكون يؤثر فيه أدني أثر وكلمة الصافية جدا أدني شيء يؤثر فيها ولهذا تشوش اللحظة واللفظة والشهوة الخفية فإن بادر صاحبه

(١) هكذا الأصل وهو غير ظاهر ولعله محرف عن أشف

وقلغ ذلك الاثر بضده والا استحكم وصار طبعها يتعسر عليه قاعه *
وهذه الآثار والطبوع التي تحصل فيه منها ما يكون سريع الحصول سريع
الزوال: ومنها ما يكون سريع الحصول بطيء الزوال: ومنها ما يكون بطيء
الحصول سريع الزوال: ومنها ما يكون بطيء الحصول بطيء الزوال ولكن
من الناس من يكون توحيد كبراً عظيماً ينغمر فيه كثير من تلك الآثار
ويستحيل فيه بمنزلة الماء الكثير الذي يخالطه أدنى نجاسة أو وسخ فيغتر به
صاحب التوحيد الذي هو دونه فيخلط توحيد الضعيف بخلط به صاحب التوحيد
العظيم الكثير توحيد فيظهر تأثيره فيه مالم يظهر في التوحيد الكثير: وأيضاً فإن
الحل الصافي جداً يظهر لصاحبه مما يدنس مالا يظهر في الحل الذي لم يبلغ في
الصفاء مبلغه فيتداركه بالازالة دون هذا فانه لا يشعر به: وأيضاً فإن قوة الإيمان
والتوحيد اذا كانت قوية جداً أحوال المواد الرديئة وقهرتها بخلاف القوة الضعيفة:
وأيضاً فإن صاحب المحاسن الكثيرة والغامرة للسمات ليسامح بمالا يسامح به من
آتي مثل تلك السمات وليست له مثل تلك المحاسن كما قيل *

واذا الحبيب آتي بذنب واحد * جاءت محاسنه بألف شنيع
وأيضاً فإن صدق الطاب وقوة الارادة وكمال الانقياد يحيل تلك العوارض
والغواشي الغربية الى مقتضاه وموجه كما أن الكذب وفساد القصد وضعف
الانقياد يحيل الاقوال والافعال الممدوحة الى مقتضاه وموجه كما يشاهد ذلك
في الاخلاط الغالبة واحالها لصالح الأغذية الى طبعها *

فائدة

ترك الشهوات لله وإن أنجى من عذاب الله وأوجب الفوز برحمته فذخائر
الله وكنوز للبر ولذة الانس والشوق اليه والفرح والابتهاج به لا يحصل في قلب
فيه غيره وإن كان من أهل العبادة والزهد والعلم فإن الله سبحانه أبي أن يجعل

ذخائره في قلب فيه سواد وهمته متعاقسة بغيره وانما يودع ذخائره في قلب يرى
الفقر غنى مع الله والغنى فقراً دون الله والعز ذلادونه والذل عزاً معه والنعيم عذاباً
دونه والعذاب نعيماً معه : وبالحلة فلا يرى الحياة الا به ومعه والموت والألم والهم
والغم والحزن اذا لم يكن معه فهذا له جنتان جنة في الدنيا معجلة
وجنة يوم القيامة *

فائدة

الانابة هي عكوف القلب على الله عز وجل كاعتكاف البدن في المسجد
لا يفارقه: وحقيقة ذلك عكوف القلب على محبته وذكره بالاجلال والتعظيم
وعكوف الجوارح على طاعته بالاخلاص له والمتابعة لرسوله ومن لم يعكف قلبه
على الله وحده عكف على التماثيل المتنوعة كما قال إمام الحنفاء لقومه (ما هذه
التماثيل التي أنتم لها عاكفون) فاقسم هو وقومه حقيقة العكوف فكان حظ
قومه العكوف على التماثيل وكان حظه العكوف على الرب الجليل : والتماثيل جمع
تمثال وهي الصور الممثلة فتعلق القلب بغير الله واشتغاله به والركون إليه عكوف
منه على التماثيل التي قامت بقلبه وهو نظير العكوف على تماثيل الأصنام ولهذا
كان شرك عباد الاصنام بالعكوف بقلوبهم وهمهم وإراداتهم على تماثيلهم فاذا
كان في القلب تماثيل قد ملكته واستعبده بحيث يكون عاكفاً عليها فهو نظير
عكوف الاصنام عليها ولهذا سماه النبي ﷺ عبداً لها ودعا عليه بالتعس والنكس
فقال تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس وانتكس واذا شيك
فلا انتكش *

الناس في هذه الدار على جناح سفر كلهم وكل مسافر فهو ظاعن الى مقصده
ونازل على من يسر بالتزول عليه وطالب الله والدار والآخرة انما هو ظاعن
الى الله في حال سفره ونازل عليه عند القدوم عليه فهذه همته في سفره وفي

انقضائه (يا أيها النفس المطمئنة ارجعي الي ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي) وقالت امرأة فرعون (رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة) فطلبت كون البيت عنده قبل طلبها أن يكون في الجنة فان الجار قبل الدار *

من كلام الشيخ على

قيل لي في نوم كاليقظة أو يقظة كالنوم لا تبذ فاقة الى غيرى فأضاعها عليك مكافأة لخروجك عن حدك في عبوديتك ابتليتك بالفقر لتصير ذهباً خالصاً فلا تزيفن بعد السبك حكمت لك بالفقر ولنفسى بالغنى فان وصلتها بي وصلتك بالغنى وان وصلتها بغيرى حسمت عنك مواد معوتي طرداً لك عن بابي لا تركزن الى شيء دوننا فانه وبال عليك وقاتل لك: ان ركنت الى العمل رددناه عليك: وان ركنت الى المعرفة نسكرناها عليك: وان ركنت الى الوجد استدرجناك فيه: وان ركنت الى العلم أوقفناك معه: وان ركنت الى المخلوقين وكلناك اليهم ارضنا لك رباً نرضاك لنا عبداً *

فائدة

الشبهة التي تعرض عند سماع القرآن أو غيره لها اسباب: أحدها ان يلوح له عند السماع درجة ليست له فيرتاح اليها فتحدث له الشبهة فهذه شبهة شوق: وثانيها أن يلوح له ذنب ارتكبه فيشوق خوفاً وحزناً على نفسه وهذه شبهة خشية: وثالثها أن يلوح له نقص فيه لا يقدر على دفعه عنه فيحدث له ذلك حزناً فيشوق شبهة حزن * ورابعها ان يلوح له كمال محبوبه ويرى الطريق اليه مسدودة عنه فيحدث ذلك شبهة أسف، وحزن * وخامسها ان يكون قد توارى عنه محبوبه واشتغل بغيره فذكره السماع محبوبه فلاح له جماله ورأى الباب مفتوحاً والطريق ظاهرة فشوق فرحاً وسروراً بما لاح له وبكل حال: فسبب الشبهة قوة الوارد وضعف

الحل عن الاحتمال والقوة أن يعمل ذلك الوارد عمله داخلا ولا يظهر عليه وذلك أقوى له وأدوم فانه اذا اظهره ضعف أثره وأوشك انقطاعه هذا حكم الشهقة من الصادق فان الشاهق اما صادق واما سارق واما منافق *

قاعدة نافعة

أصل الخير والشر من قبل التفكير فان الفكر مبدأ الارادة والطلب في الزهد والترك والحب والبغض : وأنفع الفكر الفكر في مصالح المعاد وفي طرق اجتلابها وفي دفع مفاسد المعاد وفي طرق اجتنابها فهذه أربعة أفكار هي أجل الافكار : ويليهما أربعة : فكر في مصالح الدنيا وطرق تحصيلها : وفكر في مفاسد الدنيا وطرق الاحتراس منها فعلي هذه الأقسام الثمانية دارت أفكار العقلاء ورأس القسم الأول الفكر في آلاء الله ونعمه وأمره وهيبه وطرق العلم به وبأسماؤه وصفاته من كتابه وسنة نبيه وبما والاها وهذا الفكر يشمر لصاحبه المحبة والمعرفة فاذا فكر في الآخرة وشرفها ودوامها وفي الدنيا وخستها وفنائها آثر له ذلك الرغبة في الآخرة والزهد في الدنيا وكلما فكر في قصر الأمل وضيق الوقت أورثه ذلك الجهد والاجتهاد وبذل الوسع في اغتنام الوقت : وهذه الافكار تعلي همته وتحببها بعد موتها وسفولها وتجعله في واد والناس في واد : وبإزاء هذه الأفكار الافكار الرديئة التي تجول في قلوب أكثر هذا الخلق كالفكر فيما لم يكلف الفكر فيه ولا أعطى الاحاطة به من فضول العلم الذي لا ينفع كالفكر في كيفية ذات الرب وصفاته مما لا سبيل للعقول الي إدراكه : ومنها الفكر في الصناعات الدقيقة التي لا تنفع بل تضر كالفكر في الشطرنج والموسيقى وأنواع الأشكال والتصاوير : ومنها الفكر في العلوم التي لو كانت صحيحة لم يعط الفكر فيها النفس كمالا ولا شرفا كالفكر في دقائق المنطق والعلم الرياضي والطبيعي وأكثر علوم الفلاسفة التي لو بلغ الانسان غاياتها لم يكمل بذلك ولم يترك نفسه : ومنها الفكر في الشهوات

واللذات وطرق تحصيلها وهذا وإن كان للنفس فيه لذة لكن لا عاقبة له ومضرته في عاقبة الدنيا قبل الآخرة أضعاف مئتيه : ومنها الفكر فيما لم يكن لو كان كيف كان يكون كالفكر فيما اذا صار ملكاً أو وجد كنزاً أو ملك ضيعة ماذا يصنع وكيف يتصرف ويأخذ ويعطى وينتقم ونحو ذلك من أفكار السفلى : ومنها الفكر في جزئيات أحوال الناس وما جريا ياتهم ومداخلهم ومخارجهم وتوابع ذلك من فكر النفوس المبطلّة الفارغة من الله ورسوله والدار الآخرة : ومنها الفكر في دقائق الحيل والمكر التي يتوصل بها الى اغراضه وهواه مباحة كانت أو محرمة : ومنها الفكر في أنواع الشعر وصروفه وأفانينه في المدح والهجاء والغزل والمراثي ونحوها فانه يشغل الانسان عن الفكر فيما فيه سعادته وحياته الدائمة : ومنها الفكر في المقدرات الذهنية التي لا وجود لها في الخارج ولا بالناس حاجة اليها البتة وذلك موجود في كل علم حتى في علم الفقه والاصول والطب فكل هذه الافكار مضرتها أرجح من منفعتها ويكفي في مضرتها شغلها عن الفكر فيما هو أولى به وأعود عليه بالنفع عاجلاً وآجلاً *

قاعدّة

الطلب لقاح الإيمان فاذا اجتمع الإيمان والطلب أثمر العمل الصالح * وحسن الظن بالله لقاح الافتقار والاضطرار اليه فاذا اجتمعا أثمر اجابة الدعاء * والخشية لقاح المحبة فاذا اجتمعا أثمر امتثال الأوامر واجتناب النواهي * والصبر لقاح اليقين فاذا اجتمعا أورثا الامامة في الدين : قال تعالى (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون) وصحة الاقتداء بالرسول لقاح الاخلاص فاذا اجتمعا أثمر قبول العمل والاعتداده * والعمل لقاح العلم فاذا اجتمعا كان الفلاح والسعادة وإن انفرد أحدهما عن الآخر لم يقد شيئاً * والحلم لقاح العلم فاذا اجتمعا حصلت سيادة الدنيا والآخرة وحصل الانتفاع بعلم العالم وإن انفرد

أحدهما عن صاحبه فات النفع والانتفاع والعزيمة لقاح البصيرة فاذا اجتمعا نال صاحبهما خير الدنيا والآخرة وبلغت به همته من العلياء كل مكان : فتخلف السمكالات إما من عدم البصيرة وإما من عدم العزيمة وحسن القصد لقاح لصحة الذهن فاذا فقد فقد الخير كله وإذا اجتمعا أتموا أنواع الخيرات وصحة الرأي لقاح الشجاعة فاذا اجتمعا كان النصر والظفر وإن قعدا فالخذلان والخيبة وإن وجد الرأي بلا شجاعة فالجبن والعجز وإن حصلت الشجاعة بلا رأى فالتهور والعطب * والصبر لقاح البصيرة فاذا اجتمعا فالخير في اجتماعهما: قال الحسن إذا شئت أن ترى بصيرا لا صبرا رأيت له رأيت وإذا شئت أن ترى صابرا لا بصيرا رأيت له رأيت صابرا بصيرا فذاك * والنصيحة لقاح العقل فكلما قويت النصيحة قوى العقل واستدار * والتذكر والتفكير كل منهما لقاح الآخر إذا اجتمعا انتج الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة * والتقوى لقاح التوكل فاذا اجتمعا أستقام القلب * ولقاح أخذ أهبة الاستعداد للقاء قصر الأمل فاذا اجتمعا فالخير كله في اجتماعهما والشر في فرقتهما * ولقاح الهمة العالية النية الصحيحة فاذا اجتمعا بلغ العبد غاية المراد *

قاعدہ

للعبد بين يدي الله موقفان : موقف بين يديه في الصلاة : وموقف بين يديه يوم لقائه : فمن قام بحق الموقف الأول هون عليه الموقف الآخر ومن استهان بهذا الموقف ولم يوفه حقه شدد عليه ذلك الموقف : قال تعالى (ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا إن هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا) *

قاعدہ

اللذة من حيث هي مطلوبة للانسان بل ولكل حي فلا تدم من جهة كونها لذة وانما تدم ويكون تركها خيرا من نيلها وأنفع اذا تضمنت فوات لذة

أعظم منها وأكمل أو أعقبت لما حصوله أعظم من ألم فواتها فهبنا يظهر الفرق بين العاقل الغطن والاحق الجاهل: فتي عرف العقل التفاوت بين اللذين والأمين وانه لا نسبة لاحدهما الى الآخر هان عليه ترك أدني اللذين لتحصيل أعلاهما واحتمال أسير الأمين لدفع أعلاهما * وإذا تقررت هذه القاعدة فلذة الآخرة أعظم وأدوم ولذة الدنيا أصغر وأقصر وكذلك ألم الآخرة وألم الدنيا والمعول في ذلك على الايمان واليقين فاذا قوي اليقين وباشر القلب أثر الأعلى على الأدنى في جانب اللذة واحتمل الألم الأسهل علي الأصب والله المستعان *

فائدة

قوله تعالى (وأيوب اذ نادى ربه انى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين) جمع في هذا الدعاء بين حقيقة التوحيد وإظهار الفقر والفاقة الى ربه ووجود طعم المحبة في التملق له والاقرار له بصفة الرحمة وانه ارحم الراحمين والتوسل اليه بصفاته سبحانه وشدة حاجته هو وفقره ومتي وجد المبلى هذا كشفت عنه بلواه وقد جرب أنه من قالها سبع مرات ولا سيما مع هذه المعرفة كشف الله ضره *

فائدة

قوله تعالى عن يوسف نبيه أنه قال (أنت واني في الدنيا والآخرة توفى مسلما وألحقني بالصالحين) جمعت هذه الدعوة الاقرار بالتوحيد والاستسلام للرب وإظهار الافتقار اليه والبراءة من موالاة غيره سبحانه وكون الوفاة على الاسلام أجل غايات العبد وأن ذلك بيد الله لا بيد العبد والاعتراف بالمعاد وطلب مرافقة السعداء *

فائدة

قول الله تعالى (وإن من شيء الا عندنا خزائنه) متضمن لكنز من الكنوز وهو أن كل شيء لا يطلب الا من عنده خزائنه ومفاتيح تلك الخزائن بيديه وأن طلبه من غيره طلب ممن ليس عنده ولا يقدر عليه : وقوله (وإن الى ربك المنتهى) متضمن لكنز عظيم وهو أن كل مراد ان لم يرد لاجله ويتصل به والا فهو مضمحل منقطع فانه ليس اليه المنتهى وليس المنتهى الا الى الذى انتهت اليه الأمور كلها فانتهدت الى خلقه ومشيئته وحكمته وعلمه فهو غاية كل مطلوب وكل محبوب لا يجب لاجله فمحجته عناء وعذاب : وكل عمل لا يبراد لاجله فهو ضائع وباطل : وكل قلب لا يصل اليه فهو شقي محجوب عن سعادته وفلاحه فاجتمع ما يبراد منه كله فى قوله (وإن من شيء الا عندنا خزائنه) واجتمع ما يبراد له كله فى قوله (وإن الى ربك المنتهى) فليس وراءه سبحانه غاية تطلب وليس دونه غاية اليها المنتهى *

ونحت هذا سر عظيم من أسرار التوحيد وهو أن القلب لا يستقر ولا يطمئن ويسكن الا بالوصول اليه وكل ما سواه مما يجب ويراد فمراد لغيره وليس المراد المحبوب لذاته إلا واحد اليه المنتهى ويستحيل أن يكون المنتهى الى اثنين كما يستحيل أن يكون ابتداء المخلوقات من اثنين فمن كان انتهاء محبته ورغبته وارادته وطاعته الى غيره بطل عليه ذلك وزال عنه وفارقه أحوج ما كان اليه : ومن كان انتهاء محبته ورغبته ورهبته وطلبه هو سبحانه ظفر بنعيمه ولذته وبهجته وسعادته أبد الآباد *

العبد دائماً متقلب بين أحكام الأوامر وأحكام النوازل فهو محتاج بل مضطر الى العون عند الأوامر والى اللطف عند النوازل وعلى قدر قيامه بالأوامر يحصل له من اللطف عند النوازل فان كل القيام بالأوامر وظاهره وباطنه ناله اللطف

ظاهراً وباطناً وإن قام بصورها دون حقائقها وبواطنها ناله اللطف في الظاهر وقل نصيبه من اللطف في الباطن ﴿فإن قلت﴾ وما اللطف بالباطن (١) فهو ما يحصل للقلب عند النوازل من السكينة والطمأنينة وزوال القلق والاضطراب والجزع فيستخذي بين يدي سيده ذليلاً له مستكيناً ناظراً إليه بقلبه ساكناً إليه بروحه وسره قد شغله مشاهدة لطفه به عن شدة ما هو فيه من الألم وقد غيبه عن شهود ذلك معرفته بحسن اختياره له وأنه عبد محض يجرى عليه سيده أحكامه رضى أو سخط فإن رضى نال الرضاوان سخط فحظه السخط فهذا اللطف بالباطن عمرة تلك المعاملة الباطنة يزيد بزيادتها وينقص بنقصانها *

فائدة جلية

لا يزال العبد منقطعاً عن الله حتى تتصل إرادته ومحبه بوجهه الأعلى : والمراد بهذا الاتصال أن تفضي المحبة إليه و تتعلق به وحده فلا يحجبها شيء دونه وأن تتصل المعرفة بأسمائه وصفاته وأفعاله فلا يطمس نورها ظلمة التعطيل كما لا يطمس نور المحبة ظلمة الشرك وأن يتصل ذكره به سبحانه فيزول بين الذكر والمذكور حجاب الغفلة والتفاته في حال الذكر الي غير المذكوره فحينئذ يتصل الذكر به ويتصل العمل بأوامره ونواهيه فيفعل الطاعة لأنه أمر بها وأحبها ويترك المناهي لكونه نهى عنها وأبغضها : فهذا معنى اتصال العمل بأمره ونهيه وحقيقة زوال العلل الباعثة على الفعل والترك من الأغراض والحظوظ العاجلة ويتصل التوكل والحب به بحيث يصير وثقاً به سبحانه مطمئناً إليه راضياً بحسن تديره له غير متهم له في حال من الأحوال ويتصل فقره وفاقه به سبحانه دون من سواه ويتصل خوفه ورجاؤه وفرحه وسروره وابتهاجه به وحده فلا يخاف غيره ولا يرجوه ولا يفرح به كل الفرح ولا يسر به غاية السرور وإن ناله بالخلق بعض الفرح والسرور فليس الفرح التام والسرور الكامل والابتهاج والنعيم وقرة العين وسكون

(١) هكذا الأصل ولعل الجواب محذوف تقديره : قلت هو ما الخ

القلب إلا به سبحانه وما سواه أن أعان على هذا المطلوب فرح به وسر به وإن حجب عنه فهو بالحزن به والوحشة منه واضطراب القلب بحصوله أحق منه بأن يفرح به فلا فرحة ولا سرور إلا به أو بما أوصل إليه وأعان على مرضاته وقد أخبر سبحانه أنه لا يحب الفرحين بالدنيا وزينتها وأمر بالفرح بفضلِهِ ورحمته وهو الاسلام والایمان والقرآن كما فسره الصحابة والتابعون: والمقصود أن من اتصلت له هذه الأمور بالله سبحانه فقد وصل والا فهو مقطوع عن ربه متصل بحظه ونفسه ملبس عليه في معرفته وإرادته وسلوكه *

قاعدة جليلة

قد فكرت في هذا الأمر فإذا أصله أن تعلم أن النعم كلها من الله ومحمد نعم الطاعات ونعم اللذات فترغب إليه أن يلممك ذكرها ويوزعك شكرها قال تعالى (وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فآليه تجأرون) وقال (فاذكروا آلاء الله لعلكم تتلحون) وقال (واشكروا نعمة الله إن كنتم إياه تعبدون) وكما أن تلك النعم منه ومن مجرد فضله فذكرها وشكرها لا ينال إلا بتوقيفه: والذنوب من خذلانه وتخليه عن عبده وتخليته بينه وبين نفسه وإن لم يكشف ذلك عن عبده فلا سبيل له إلى كشفه عن نفسه فإذا هو مضطر إلى التضرع والابتهال إليه أن يدفع عنه أسبابها حتى لا تصدر منه وإذا وقعت بحكم المقادير ومقتضى البشرية فهو مضطر إلى التضرع والدعاء أن يدفع عنه موجباتها وعقوباتها فلا ينفك العبد عن ضرورته إلى هذه الأصول الثلاثة ولا فلاح له إلا بها الشكر وطلب العافية والتوبة النصوح : ثم فكرت فإذا مدار ذلك على الرغبة والرهبة وليس بيد العبد بل بيد مقلب القلوب ومصرفها كيف يشاء فان وفق عبده أقبل بقلبه إليه وملاه رغبة ورهبة وان خذل نفسه ولم يأخذ بقلبه إليه ولم يسأله ذلك وما شاء الله كان وما لم يشاء لم يكن *

ثم فكرت هل للتوفيق والخذلان سبب أم هما بمجرد المشيئة لا سبب لهما
 فاذا سببها أهلية المحل وعدمها فهو سبحانه خالق المحال متفاوتة في الاستعداد
 والقبول أعظم تفاوت فالجمادات لا تقبل ما يقبله الحيوان وكذلك النوعات
 كل منها متفاوت في القبول فالحيوان الناطق يقبل ما لا يقبله البهيم وهو متفاوت
 في الذبول أعظم تفاوت: وكذلك الحيوان البهيم متفاوت في القبول لكن ليس
 بين النوع الواحد من التفاوت كما بين النوع الانساني فاذا كان المحل قابلا
 للنعمة بحيث يعرفها ويعرف قدرها وخطرها ويشكر المنعم بها ويثني عليه بها
 ويعظمه عايتها ويعلم أنها من محض الجود وعين المنّة من غير أن يكون هو مستحقا
 لها ولا هي له ولا به وإنما هي لله وحده وبه وحده: فوحده بنعمته اخلاصا
 وصرفها في محبته شكرا: وشهدها من محض جوده منّة: وعرف قصوره وتقصيره
 في شكرها عجزا او ضعفا وتفريطا: وعلم انه ان ادامها عليه فذلك محض صدقته
 وفضله واحسانه وان سلبه اياها فهو اهل لذلك مستحق له: وكلما زاده من
 نعمه ازداد زلاله وانكسارا وخضوعا بين يديه وقياما بشكره وخشيته له
 سبحانه أن يسلبه اياها لعدم توفيقه شكرها كما سلب نعمته عن لم يعرفها ولم يرعها
 حق رعايتها فان لم يشكر نعمته وقابلها بضد ما يليق أن يقابل به سلبه اياها ولا بد
 قال تعالى (وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا
 أليس الله باعلم بالشاكرين) وهم الذين عرفوا قدر النعمة وقبلوها وأحبوها وأثنوا
 علي المنعم بها وأحبهه وقاموا بشكره: وقال تعالى (واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن
 حتى نؤتي مثل ما أوتي رسل الله الله اعلم حيث يجعل رسالته) *

فصل

وسبب الخذلان عدم صلاحية المحل وأهليته وقبوله للنعمة بحيث لو وافته النعم
 لقال هذا لي وإنما أوتيته لاني أهله ومستحقه كما قال تعالى (قال إنما أوتيته على
 علم عندي) أي على علم علمه الله عندي استحق به ذلك وأستوجه واستأمله قال

الفراء اى على فضل عندي اني كنت أهله ومستحقا له اذ اعطيته : وقال مقاتل يقول علي خير علمه الله عندي : وذكر عبد الله بن الحارث بن نوفل سليمان بن داود فيما أوتي من الملك ثم قرأ قوله تعالى (هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أ كفر) ولم يقل هذا من كرامتي ثم ذكر قارون وقوله (انما أوتيته على علم عندي) يعني أن سليمان رأى ما أوتيته من فضل الله عليه ومته وأنه ابتلي به شكره وقارون رأى ذلك من نفسه واستحقاقه وكذلك قوله سبحانه (ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي) أي أنا أهله وحقيق به باختصاصي به كاختصاص المالك بملكه والمؤمن يري ذلك ملكا لربه وفضلا منه من به على عبده من غير استحقاق منه بل صدقة تصدق بها علي عبده وله أن لا يتصدق بها فلو منعه اياها لم يكن قد منعه شيئا هو له يستحقه عليه فاذا لم يشهد ذلك رأي فيه أهلا ومستحقا فاعجبه نفسه وطلعت بالنعمة وعلت بها واستطاعت على غيرها فكان حظها منها الفرح والفخر : كما قال تعالى (ولئن اذقنا الانسان منا رحمة نزعناها منه انه ليؤس كفور ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني انه لفرح فخور) فذمه باليأس والكفر عند الامتحان بالبلاء وبالفرح والفخر عند الابتلاء بالنعماء : واستبدل بحمد الله وشكره والثناء عليه اذ كشف عنه البلاء قوله ذهب السيئات عني ولو انه قال اذهب الله السيئات عني برحمته ومنه لما ذم على ذلك بل كان محمودا عليه ولكنه غفل عن المنعم بكشفها ونسب الذهاب اليها وفرح وافتخر فاذا علم الله سبحانه هذا من قلب عبد فذلك من أعظم أسباب خذلانه وتخليه عنه فان محله لا تناسبه النعمة المطلقة التامة كما قال تعالى (ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون) فأخبر سبحانه أن محلمهم غير قابل لنعمة ومع عدم القبول فهم مانع آخر بمنع وصولها اليهم وهو توليهم واعراضهم اذا عرفوها وتحققوها *

ومما ينبغي أن يعلم أن أسباب الخذلان من بقاء النفس على ما خلقت عليه في الأصل وإهمالها وتخليتها فأسباب الخذلان منها وفيها وأسباب التوفيق من جعل الله سبحانه لها قابلة للنعمة : فأسباب التوفيق منه ومن فضله وهو الخالق لهذه وهذه كما خلق أجزاء الأرض هذه قابلة للنبات وهذه غير قابلة له وخلق الشجر هذه تقبل الثمرة وهذه لا تقبلها وخلق النحلة قابلة لأن يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه والزنبور غير قابل لذلك : وخلق الأرواح الطيبة قابلة لذكره وشكره وحبته وإجلاله وتعظيمه وتوحيده ونصيحة عباده وخلق الأرواح الخبيثة غير قابلة لذلك بل لضده وهو الحكيم العليم *

قال شيخ الإسلام ببحر العلوم مفتي الفرق

أبو العباس أحمد بن تيمية رحمه الله

فصل

قال الله تعالى (ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون * ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين * أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا ساء ما يحكمون * من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآت وهو السميع العليم * ومن جاهد فإنا نجاهد لنفسه إن الله لغني عن العالمين * والذين آمنوا و عملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون * ووصينا الإنسان بوالديه حسنا وإن جاهدك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما إلى مرجعكم فأنتبئكم بما كنتم تعملون * والذين آمنوا و عملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين * ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أؤذى في الله جعل فتنة الناس كذاب الله ولئن جاء نصر من ربك ليقولن أنا كنا معكم أو ليس الله بأعلم بما في صدور العالمين * وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين) * وقال الله تعالى (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأنكم مثل

الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا ان نصر الله قريب) وقال الله تعالى لما ذكر المرتد والمكره بقوله (من كفر بالله من بعد ايمانه) قال بعد ذلك (ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم) * قالنا ان اذا ارسل اليهم الرسل بين أمرين إما أن يقول احدهم آمنا وإما ان لا يقول آمنا بل يستمر على عمل السيئات فمن قال آمنا امتحنه الرب عز وجل وابتلاء وألبسه الابتلاء والاختبار ليعين المصدق من الكاذب ومن لم يقل آمنا فلا يحسب انه يسبق الرب لتجربته فان أحداً لن يعجز الله تعالى هذه سنته تعالى يرسل الرسل الى الخلق فيكذبهم الناس ويؤذونهم قال تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الانس والجن) وقال تعالى (كذلك ما آتي الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر أو مجنون) وقال تعالى (ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك) ومن آمن بالرسول وأطاعهم عادوه وآذوه فابتلي بما يؤلمه وان لم يؤمن بهم عوقب فحصل ما يؤلمه أعظم وأدوم فلا بد من حصول الألم لكل نفس سواء آمنت أم كفرت لكن المؤمن يحصل له الألم في الدنيا ابتداء ثم تكون له العاقبة في الدنيا والآخرة والكافر تحصل له النعمة ابتداء ثم يصير في الألم (سأل رجل الشافعي) فقال يا أبا عبد الله أيما أفضل للرجل أن يمكن أو يبتلي فقال الشافعي لا يمكن حتى يبتلي فان الله ابتلي نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمداً صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فلما صبروا مكنتهم فلا يظن أحد أنه يخلص من الألم البتة : وهذا أصل عظيم فينبغي للعاقل أن يعرفه وهذا يحصل لكل أحد فان الانسان مدني بالطبع لا بد له من أن يعيش مع الناس والناس لهم ارادات وتصورات يطلبون منه أن يوافقهم عليها ولن لم يوافقهم آذوه وعذبوه وان وافقهم حصل له الاذى والعذاب تارة منهم وتارة من غيرهم ومن اختبر أحواله وأحوال الناس وجد من هذا شيئاً كثيراً كقوم يريدون الفواحش والظلم

ولم أقوال باطلة في الدين أو شرك فهم مرتكبون بعض ما ذكره الله من المحرمات في قوله تعالى (قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والآنم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) وهم في مكان مشترك كدار جامعة أو خان أو قيسرية أو مدرسة أو رباط أو قرية أو درب أو مدينة فيها غيرهم وهم لا يتمكنون مما يريدون إلا بموافقة أولئك أو بسكوتهم عن الإنكار عليهم فيطلبون من أولئك الموافقة أو السكوت فإن وافقوهم أو سكتوا سمعوا من شرهم في الابتلاء ثم قد يتسلطون هم أنفسهم على أولئك يهينونهم ويعاقبونهم أضعاف ما كان أولئك يخافونه ابتداءً كمن يطلب منه شهادة الزور أو الكلام في الدين بالباطل إماماً في الخبر وإماماً في الأمر أو المعاونة على الفاحشة والظلم فإن لم يجهم آذوه وعادوه وإن أجابهم فهم أنفسهم يتسلطون عليه فيهينونه ويؤذونه أضعاف ما كان يخافه وإلا عذب بغيرهم فالواجب ما في حديث عائشة الذي بعثت به إلى معاوية ويروي موقوفاً ومرفوعاً « من أرضي الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس » وفي لفظ « رضى الله عنه وأرضي عنه الناس ومن أرضي الناس بسخط الله لم يغنوا عنه من الله شيئاً » وفي لفظ « عاد حامده من الناس ذاماً »

وهذا يجري فيمن يعين الملوك والرؤساء على أغراضهم الفاسدة * وفيمن يعين أهل البدع المنتسبين إلى العلم والدين على بدعهم فمن هداه الله وأرشده امتنع من فعل المحرم وصبر على أذاهم وعداوتهم ثم تكون له العاقبة في الدنيا والآخرة كما جرى للرسول وأتباعه مع من آذاهم وعاداهم مثل المهاجرين في هذه الأمة ومن ابتلى من علمائها وعبادها وتجارها وولاها : وقد يجوز في بعض الأمور إظهار الموافقة وإبطان المخالفة كالمكره على الكفر كما هو مبسوط في غير هذا الموضع إذ المقصود هنا أنه لا بد من الابتلاء بما يؤذى الناس فلا خلاص لأحد مما يؤذيه البتة : ولذا ذكر الله تعالى في غير موضع (٢٧ م — فوائد)

أنه لا بد أن يبتلي الناس والابتلاء يكون بالسراء والضراء ولا بد أن يبتلي
الانسان بما يسره وما بسوؤه فهو محتاج الى أن يكون صابراً شكوراً قال تعالى
(إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً) وقال تعالى
(وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون) وقال تعالى (فلما يأتينكم مني
هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة
ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى) وقال تعالى (أم حسبكم أن تدخلوا الجنة ولما
يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) هذا في آل عمران: وقد قال
قبل ذلك في البقرة فان البقرة نزل أكثرها قبل آل عمران (أم حسبكم أن
تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والنضراء وزلزلوا
حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متي نصر الله الا إن نصر الله قريب)
وذلك أن النفس لا تزكو وتصلح حتى تمحص بالبلاء كالذهب الذي لا يخلص
جيده من رديته حتى يفتن في كبر الامتحان إذ كانت النفس جاهلة ظالمة وهي
منشأ كل شر يحصل للعبد فلا يحصل له شر الا منها : قال تعالى (ما أصابك
من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك) وقال تعالى (أو لما أصابكم
مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أني هذا قل هو من عند أنفسكم) وقال (وما أصابكم
من مصيبة فيما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير) وقال تعالى (ذلك بأن الله لم
يلك مغيراً نعمة أنعمها علي قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءاً
فلا مرد له وما لهم من دونه من وال) وقد ذكر عقوبات الأثم من آدم الى
آخر وقت : وفي كل ذلك يقول إنهم ظلموا أنفسهم فهم الظالمون لا المظلومون
وأول من اعترف بذلك ابواهم قالوا (ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا
لنكونن من الخاسرين) وقال لا بليلس (لا ملأن جهم منك ومن تبعك منهم
أجمعين) وإبليلس إنما اتبعه الغواة منهم كما قال (فبما أغويتني لأزينن لهم في
الأرض ولا أغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين) وقال تعالى (إن عبادي

ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين) والغي اتباع هوى النفس وما زال السلف معترفون بذلك كقول أبي بكر وعمر وابن مسعود أقول فيها برأيي فان يكن صوابا فمن الله وان يكن خطأ فني ومن الشيطان والله ورسوله بريئان منه : وفي الحديث الالهى حديث ابي ذر الذى يرويه الرسول عن ربه عز وجل « يا عبادى انما هى اعمالكم أحصيتها لكم ثم أوفيكم اياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه » وفي الحديث الصحيح حديث « سيد الاستغفار أن يقول العبد اللهم أنت ربى لا آله الا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبي فاغفر لى انه لا يغفر الذنوب الا أنت من قالها اذا أصبح موقنا بها فمات من يومه دخل الجنة ومن قالها اذا أمسى موقنا بها فمات من ليته دخل الجنة » وفي حديث أبي بكر الصديق من طريق أبي هريرة وعبد الله بن عمرو « أن رسول الله ﷺ علمه ما يقوله اذا أصبح واذا أمسى واذا أخذ مضجعه اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة رب كل شيء ومليكه أشهد أن لا اله الا أنت أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه وأن أقترف على نفسى سوءا أو أجره الى مسلم قله اذا أصبحت واذا أمسيت واذا أخذت مضجعتك » وكان النبي ﷺ يقول فى خطبته « الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا » وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « إني آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تنهاقون نهافت الفراش » شبههم بالفراش لجهله وخفة حركته وهى صغيرة النفس فانها جاهلة سريعة الحركة : وفي الحديث « مثل القلب مثل ريشة ملقاة بأرض فلاة » وفي حديث آخر « للقلب أشد تقلبا من القدر اذا استجمعت غليانا » ومعلوم سرعة حركة الريشة والقدر مع الجهل ولهذا يقال لمن أطاع من يغويه أنه استخفه قال عن فرعون انه استخف قومه فأطاعوه : وقال تعالى (فاصبر ان وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون)

فان الخفيف لا يثبت بل يطيش وصاحب اليقين ثابت يقال آتقن إذا كان مستقرا واليقين استقرارا لايمان في القلب علما وعملا فقد يكون علم العبد جيدا لكن نفسه لا تصبر عند المصائب بل تطيش: قال الحسن البصري إذا شئت أن ترى بصيرا لا صبر له رأيتك وإذا شئت أن ترى صابرا لا بصيرة له رأيتك فإذا رأيت بصيرا صابرا فذاك: قال تعالى (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون) ولهذا تشبه النفس بالنار في سرعة حركتها وإفسادها وغيظها وشهوتها من النار والشيطان من النار «وفي السنن عن النبي ﷺ أنه قال «الغضب من الشيطان والشيطان من النار وإنما تطفأ النار بالماء» فإذا غضب أحدكم فليتوضأ» وفي الحديث الآخر «الغضب جرة تؤد في جوف ابن آدم» ألا ترى إلى جرة عينيه وانتفاخ أوداجه وهو غلبان دم القلب لطلب الانتقام: وفي الحديث المتفق علي صحته «ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم» وفي الصحيحين «أن رجلا استبأ عند النبي ﷺ وقد اشتد غضب أحدهما فقال النبي ﷺ أي لا أعلم كلفا لها لذهب عنه ما يجد لو قال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» وقد قال تعالى (ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم واما ينزغنيك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم) وقال تعالى (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين واما ينزغنيك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم) وقال تعالى (ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون وقل رب أعوذ بك من هزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون) *



تم الكتاب والحمد لله أولا وآخرا وصلي الله على رسولنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وتابعيه والمتقين بآثارهم إلى يوم الدين: وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين *

فهرس كتاب الفوائد لابن القيم

الموضوع	الصحيفة	الموضوع	الصحيفة
١٢ اتصاف أهل الجنة بصفات أربع		٢ كلمة لناشر الكتاب	
١٤ (فائدة) في شرح حديث أهل بدر		٣ قاعدة جلية في بيان كيفية الانتفاع بالقرآن وتفسير قوله تعالى (ان في ذلك لاية لمن كان له قلب) الآية	
١٥ الجواب عن حديث اعملوا ما شئتم وانه لم يرد منه إباحة المعاصي لهم		٤ السر في الاتيان بأو التي هي لأحد الشئئين بدلا من الواو في قوله (أو القى السمع وهو شهيد)	
١٦ من أوجب الواجبات التوبة بعد الذنب		٤ عين اليقين نوعان	
١٧ (قاعدة جلية) في تفسير قوله (هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها) الآية		٥ فصل - في بيان اشتمال سورة ق على أصول الايمان والتوحيد والنبوة وتقرير المبدأ والمعاد الخ	
١٨ بيان ما تضمنته الآية من الدلالة على ربوبية الله ووحدانيته وقدرته وحكمته ولطفه الخ		٥ بعث اجساد الطائعين والعصاة جميعا مع الارواح وتنعيمهم أو تعذيبهم	
١٩ بيان ان سورة الفاتحة اشتملت على سعادة الانسان وعزه وكماله		٦ بيان انحصار شبه منكري المعاد في ثلاثة أنواع	
٢٠ (فائدة) فيها ان الله تعالى دعا عباده لمعرفة من طريقين التبصر في الموجودات والتفكر في الآيات		٧ الصواب أن المعاد معلوم عقلا وشرعا	
٢١ (فائدة) فيها حديث دفع الهم والحزن		٨ تفسير معنى العي بيسط	
		١٠ من يشهد على الانسان يوم القيامة	
		١١ ست صفات لمن يلتقى في جهنم	

الموضوع	الصحيفة	الموضوع	الصحيفة
٣٣ فصل فيه نفائس		٢٢ بيان ما انضمته الحديث من القواعد	
٣٣ فائدة الغيرة نوعان		والاصول العظيمة	
٣٤ مواظ وحكم		٢٤ معنى قضاء الله وانه تعالى عدل	
٣٥ فصل فيه نفائس		في قضائه	
٣٦ ترجمة سلمان الفارسي رحمه الله		٢٦ سؤال - اذا كانت المعصية بقضاء	
ورضى عنه		الله تعالى وقدره فاي عدل في	
٣٨ تراجم بعض الصحابة رضي الله		قضائها والجواب عنه ومعنى	
عنهم أجمعين		العدل والظلم	
٤٠ بعض نصائح ومواظ		٢٦ جواب التوسل باسماء الله تعالى	
٤٢ ذكر بعض ما وقع للأنبياء		وصفاته	
للتسلية بأحوالهم		٢٧ القلوب محل لمعرفة الخالق ومحبه	
٤٣ فائدة فيها نصائح		٢٨ فائدة - خطاب القرآن وما شتمل	
٤٤ ترجمة قس بن ساعدة		عليه من الحكم والمصالح	
٤٥ ترجمة ذو الجادين رضي الله عنه		٢٩ فائدة - قبول المحل لما يوضع فيه	
٤٦ فصل في استنهاض الهمم الى ذرا		مشروط بتخليته عن ضده	
المجد وعدم الركون للدنيا		٣٠ تفسير قوله تعالى (الهاكم التكاثر)	
٤٧ فصل فيه بعض ما يقرب الى الله		٣١ سرد حكم بالغة	
٤٧ فائدة نفيسة وذكر ما لا يرد به		٣١ مراتب القتوي	
الدعاء		٣٢ اذا اجري علي العبد مقدور	
٤٨ عظات بالغات		يكرهه فله فيه ستة مشاهد	
٤٨ عدم تحكيم الكتاب والسنة سبب		٣٢ المعاصي سبب الشقاء والطاعة	
الهلاك والقطيعة		سبب العز والرحمة	

الموضوع	الصحيحة	الموضوع	الصحيحة
الشك ومن الذين يتبعون الشهوات	٤٩	ان ظلم الفجرة تقشعر منه الارض	٤٩
معمورة بأهل التعيين والصبر	٥٠	وتظلم منه السماء	٥٠
٥٥ (قاعدة جلية) لشهادة لا اله الا	٥١	حكم ومواعظ	٥١
الله تأثير عظيم عند الموت في	٥٢	اجتماع الاخوان قسمان	٥٢
تكفير السيئات وبيان ذلك	٥٣	قاعدة ليس في الوجود الممكن	٥٣
٥٦ نصائح	٥٣	سبب واحد مستقل بالتأثير	٥٣
٥٧ اذا سد الله عليك طريقا بحكمته	٥٤	التوحيد مفرغ اعداء الله وأوليائه	٥٤
فتح لك أنفع منه برحمته انظر	٥٥	وبيان ذلك	٥٥
حال الجنين في بطن امه	٥٦	٥٣ (فائدة) اللذة تابعة للمحبة تقوى	٥٦
٥٨ دخول الناس النار من ثلاث	٥٧	بقوتها وتضعف بضعفها	٥٧
٥٨ أصول الخطايا ثلاثة	٥٨	٥٤ (قاعدة) طاب الله والدار الآخرة	٥٨
٥٨ جعل الله بحكمته كل جزء من	٥٩	لا يستقيم أمره إلا بحسبين حبس	٥٩
اجزاء ابن آدم الظاهرة والباطنة	٥٩	عن المعاصي وحبس على الطاعة	٥٩
آلة لشيء اذا استعمل فيه فهو كماله	٥٩	وبيان ذلك	٥٩
٥٨ من اخسر الناس ؟	٥٩	٥٤ تبذره من حكم سليمان بن داود	٥٩
٥٩ (فصل) جمع النبي ﷺ بين	٥٩	عليهما السلام	٥٩
مصالح الدنيا والآخرة في قوله	٥٩	٥٤ فائدة جمع النبي ﷺ بين التقوي	٥٩
فاتقوا الله راجعوا في الطلب	٥٩	وحسن الخلق	٥٩
٥٩ (فائدة) في ذكر السبب في جمع	٥٩	٥٥ (قاعدة جلية) بين العبد وربّه	٥٩
النبي ﷺ بين المغموم والمائم في	٥٩	قنطرة تقطع بخطوتين خطوة عن	٥٩
تعوزه	٥٩	نفسه وخطوة عن الخلق	٥٩
(فائدة) في قوله تعالى (والذين	٥٩	٥٥ الطريق الى الله خالية من أهل	٥٩

الموضوع	الصحيفة	الموضوع	الصحيفة
عنه ودخولها الغار وتعشيش العنكبوت عليهما		جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا)	
٧٢ بعض مناقب أبي بكر الصديق		وتعليق الهداية بالجهاد وأنه أربعة أصناف	
رضى الله عنه وأرضاه		٦٠ فصل - اتى الله العداوة بين	
٧٤ تنبيه في اجتناب من يعادي أهل السنة وسببه		الشیطان والملک والهوى والعقل	
.. تنبيه آخر وفيه مواظ		٦١ أعلى الهمم في طلب العلم طلب علم الكتاب والسنة وأحسنها فيه من	
٧٥ قصيدة قيمة		قصرهمته على تتبع شواذ المسائل	
٧٧ عظات بالغة وحكم نافعة		وأعلى الهمم في باب الارادة	
٧٩ تفسير قوله تعالى (وكان الكافر على ربه ظهيرا)		وبيان ذلك	
٨٠ تفسير قوله تعالى (والذين إذا		علماء السوء وبيان حالهم وبيان أنهم أدلاء على الخير مقالا وقطاع	
ذكروا بآيات ربهم لم ينحروا عليها صا وعميانا)		عنه حالا	
٨١ أصول المعاصي وفروعها وبيان ما به اجتنابها		٦٢ نبذة كبيرة من سيرة المصطفى ﷺ	
٨٢ فائدة : هجر القرآن أنواع كما أن الحرج الذي في الصدور منه أنواع		٦٣ فصل فيه تنبيه بليغ المغرورين	
٨٣ فائدة : كمال النفس ما تضمن أمرين وبيان أن الفضائل المنفصلة		٦٤ فصل في بيان الحكمة في جعل القلم أول المخلوقات وأدم آخرها	
عنها عارية يرجع فيها المعبر		٦٥ حال ابليس مع آدم قبل وبعد خلقه	
٨٤ بيان حال من جعل الله تعالى هم		٦٦ فصل فيه حكم نفيسة ومواعظ رقيقة	
		٦٩ فصل فيه تجلي الرب	
		٧١ فصل فيه قصة خروج النبي ﷺ	
		من مكة ومعه أبو بكر رضي الله	

الموضوع	الصحيفة	الموضوع	الصحيفة
فرض ما فيه صلاح العبد وان		ومن جعل همه الدنيا	
كانت المشقة ظاهره		.. بيان العلم والعمل وأنواع العلوم	
٩٣ بيان معرفة العبد الحقيقية		وما ينفع منها وما يضر	
٩٤ لا تتم الرغبة في الآخرة الا بعد		٨٥ ظاهر الايمان وباطنه بمعنى ما يكون	
نظرين		منه علي الحقيقة وما لا يكون	
٩٥ زهد العارفين في الدنيا		٨٦ أنواع التوكل علي الله تعالى	
٩٦ وعيد الله تعالى لمن رضي بالحياة		واختلاف الدرجات فيه	
الدنيا واطمان بها		٨٧ سر التوكل وحقيقته	
٩٧ أساس كل خير أن تعلم أن ماشاء		.. شكوى الجاهل وشكوي العارفين	
الله كان وما لم يشأ لم يكن وبيان		٨٨ بيان قوله تعالى (بأيتها الذين	
أنه علي قدر نية العبد وهمة يكون		آمنوا استجبوا) الآية وما	
توفيق الله سبحانه له وإعائه		تضمنته من الأمور النافعة	
٩٨ حكم بالغات وفوائد حسان		٩٠ تفسير قوله تعالى (وجعلناه نوراً	
١٠٠ من آثر الدنيا من العلماء وقال		يمشي به في الناس)	
علي الله غير الحق ، ومثل عالم		.. تفسير قوله تعالى (واعلموا أن	
السوء الذي يعمل بخلاف علمه		الله يحول بين المرء وقلبه)	
١٠١ ماتضمنه قوله تعالى (وائل عليهم		٩١ تفسير قوله تعالى (كتب عليكم	
نبأ الذي آتينا آياتنا فانسلك منها)		القتال وهو كره لكم)	
الآية من ذم عالم السوء		٩٢ بيان أن مصلحة النفس في مكروها	
١٠٢ حال العابد الجاهل وآفته		والتمثيل له بمين يغرس وهو عالم	
١٠٣ العلم والايمان أفضل ما اكتسبته		بالفلاحة فيفصل بعض ما غرس	
النفوس وحصلته القلوب		.. مثال ثان للدلالة علي أن الله تعالى	

الموضوع	الصحيفة	الموضوع	الصحيفة
ونقمة وله عليه عبودية في هذه		١٠٤ بيان غلط الناس في حقيقة العلم	
المراتب كلها		والايمان اللذين بهما تحصل السعادة	
١١٣ بيان من أقرب الخلق الى الله		والرفعة وبيان أن العلم بمعزل عن	
ومن أبعدهم منه		الكلام والجدال والمقدرات	
— عبودية النعم معرفتها والاعتراف بها		الذهنية	
١١٤ من ترك الاختيار والندير فما		١٠٥ بيان أن ايمان العامة من الناس	
أطيب عيشه وما أنعم قلبه		اجمالى وتفسير الايمان واختلاف	
١١٥ أهل الآخرة ثلاثة عابد وزاهد		الفرق فيه	
وصديق وحال من صدق مع الله		١٠٧ حقيقة الايمان عند أهل الايمان	
في العبادة		... من ترك المألوفات لغير الله وجد	
١١٦ استعانة العبد بالتجرد الى الله		مشقة ومن تركها صادقا مخلصا	
بالتوحيد والتوكل والثقة		هان عليه أمرها	
— نصيحة للدخول الى الله ومجاورته		١٠٨ سبيل المؤمنين وسبيل المجرمين	
في دار السلام من أقرب الطرق		وبيان أن العارفين بالله يدركونها	
وأسهلها		بالتفصيل	
١١٧ علامة صحة الارادة أن يكون		١٠٩ الناس في معرفة السبيلين أربع	
رضا الرب غاية هم المرید		فرق وبيان أن الله تعالى يحب	
١١٨ نصائح ووصايا		أن تعرف سبيل أعدائه لتجتنب	
— أقسام الزهد وحكم كل قسم		كما يحب أن تعرف سبيل أوليائه	
١١٩ ترك الأمر أعظم عند الله من		لتسلك	
ارتكاب النهي والاستدلال لهذه		١١١ عشرة أشياء ضائعة لا ينتفع بها	
المسألة بقصة أينما آدم وامتناع		١١٢ لله سبحانه على عبده أمر وقضاء	

الموضوع	الصحيفة	الموضوع	الصحيفة
التقي والاثبات في باب الخير		أبليس عن السجود	
١٢٥ جعل الله سبحانه جزاء فعل		١٢٠ فعل المأمور مقصود لذاته وترك	
المأمورات عشرة أمثالها وجزاء		المنهى لتكليف فعل المأمور	
ارتكب المنهيات مثلاً واحداً		— فعل المأمور من باب حفظ قوة	
المقصود في المنهى عنه اعدامه	—	الايان	
وفي المأمور به كونه واجبا		— فعل المأمورات حياة القلب وغذاؤه	
فعل ما يحبه والاعانة عليه وجزاؤه	—	١٢١ من فعل المأمورات والمنهيات ينجو	
انما هو من رحمة الله وفعل ما يكرهه		إذا غلبت حسناته والا أخذ منه	
والعقاب عليه انما هو من غضبه		الحق ثم نجا	
١٢٦ آثار ما يكرهه أسرع زوالا بما		— من دعى الى الايمان فقال لا أصدق	
يحب من زوال آثار ما يحبه بما		ولا أ كذب فهو كافر	
يكرهه		— الطاعة والمعصية يتعلقان بالأمر	
— بيان ان الله سبحانه أفرح بتوبة		أصلا وبالنهي تبعا	
عبده من الفائد الواحد		— المقصود من ارسال الرسل طاعة	
١٢٧ بيان أن المأمور به اذا فات فقد		المرسل	
فاتت الحياة المطلوبة للعبد		١٢٢ امتثال الأمر عبودية وتقرب	
١٢٨ بيان ان المنهيات شرور تفضى		— المطلوب بالنهي عدم الفعل	
الى شرور والمأمورات خير تؤدي		والمطلوب بالأمر إيجاد الفعل	
الى خيرات		واختلاف العلماء في المطلوب بالنهي	
مبنى الدين علي قاعدتين الذكر		١٢٣ تحقيق ان المطلوب نوعان	
والشكر	—	١٢٤ الأمر بالشئ نهى عن ضده	
١٢٩ بيان ان الاعمال القائمة بالقلب		— الأمر والنهى في باب الطلب نظير	

الموضوع	الصحيفة	الموضوع	الصحيفة
المعلومات وتصويرها للناس		والجوارح سبب الهداية والاضلال	
بعض الاسرار التي يتضمنها قوله	١٣٦	١٣٠ بيان أن الله يهدي بالكتاب	
تعالى (وعسى أن تكرهوا شيئا		من اتقى مساخطه قبل نزوله	
وهو خير لكم) الآية		— اذا آمن العبد بالكتاب واهتدى	
من عرف نفسه ولم يجاوز بها	١٣٨	به مجالا كان ذلك سببا لهداية	
قدرها انتفع بنعمة الايمان		أخرى تحصل على التفصيل	
الصبر عن الشهوة أسهل من الصبر	١٣٩	١٣١ ينبني الايمان على الصبر والشكر	
على ما توجه		— الفجور والكبر والكذب	
بيان أن الخلق وسط بين رذيلين	—	تقتضي الضلال وبيان ذلك في	
العدوان والنقص		كتاب الله تعالى	
١٤١ بيان أن العبد انما يقطع منازل		١٣٣ الفرق بين الهدى والرحمة وبين	
السير الى الله بقلبه وهمة لا يبدنه		الضلال والشقاء في كتاب الله	
١٤٢ خير الهدى وأكمل هدى الرسول		وبيان اختلاف عبارات السلف	
الصادقون السائرون الى الله تعالى	—	في تفسير الفضل والرحمة	
والدار الآخرة قسما		١٣٤ بيان أن الهدى والفضل والنعمة	
١٤٣ جماع فضائل الاخلاق وتقائصها		والرحمة متلازمات وأن الشقاء	
١٤٤ الهمة العالية والنية الصحيحة		والضلال متلازمان	
يتوقف على حصولهما الوصول الى		— الهدى والرحمة ولوازمهما من	
المطلب الأعلى		صفات العطاء والاضلال ولوازمه	
١٤٥ حكم بالغات من كلام ابن مسعود		حكمة	
رضى الله تعالى عنه		١٣٥ بيان أنه يحسن بالانسان أن يترك	
١٤٩ من أحب أن يمدحه الناس وطمع		النفوس المبجلة الفارغة	
فيما عندهم لم يكن مخلصا		— بيان أن الكذب يفسد تصور	

الموضوع	الصحيفة	الموضوع	الصحيفة
والاشراك		١٤٩ علاج الطمع	
١٦٥ مراتب سعادة العبد والاسباب		١٥٠ علي قدر همه المروء وشرف نفسه	
التي يصلح لمراتب الموفين .		تكون لذته ويان درجات الناس	
ويان ما يقعد به عنها ومداخل		في ذلك	
الشیطان اليه		١٥٣ ورع عمر بن عبد العزيز رضي الله	
١٦٨ بيان من أي شيء خلق بدن ابن		عنه ويان منشأ العجب في الانسان	
آده وروحه والاسرار التي بها		١٥٣ من هجر العوائد وقطع العوائق	
تكون الروح سامية الى العالم		وصل الى مطلوبه	
العلوي أو في انقطاع عنه		١٥٤ العلائق أنواع	
١٦٩ موعظة العارف للناس والفرق		— كيف يقطع الانسان العلائق	
بين مواعظ العارفين وعظمت		١٥٥ علامات السعادة والشقاوة	
الزهاد		— كل بناء على غير أساس متين	
— البون البعيد الذي بين رعاية		فانه ينهار	
الحقوق مع الضرر ورعايتها مع		١٥٧ أركان الكفر أربعة	
العانية		١٥٩ من جهل الله بغضه الي خلقه	
١٧٠ معرفة الله تعالى نوعان ولها		وأمثلة من ذلك	
بابان واسعان وجامع ذلك الفقه		١٦٣ معنى المكر الذي وصف الله	
في معاني اسمائه الحسنی وجلالها		تعالى به نفسه	
— اكتساب العبد ماله على أنواع		— معنى قوله تعالى (اني أعلم ما لا	
بعضها نافع له وبعضها ضرر عليه		تعلمون)	
ولهذه الانواع فروع كذلك		١٦٤ خوف أولياء الله تعالى من مكره	
١٧١ مواسة المؤمنين أنواع كلها راجع		ومعنى هذا المكر الذي يخافونه	
الي مقدار الايمان		— بيان أن السنة شجرة والشهور	
— مضیعة السالكين الى الله في الجهل		فروعها مع بيان شجرتي التوحيد	

الموضوع	الصحيفة	الموضوع	الصحيفة
فساد النفس في الاشتغال بما لا يعنى	١٧٧	بالطريق وآفاتهما وانقسام هذا	
وصلاحها بالعمل فيما بهم		الجهل الي أنواع	
حواجز التوفيق وموانه ستة أشياء	—	١٧٢ الخواضع التي تعرض للعاظم على	
معرفة الانسان نفسه طريق من	١٧٨	السفر الى الله وكيف ينجو منها	
طرائق معرفة الله تعالى		— نعم الله تعالى على عبده أنواع	
مثال بيت الطائعين والعصاة	١٧٩	ثلاثة وبيان النعمة السابعة	
جواب سهل التسري عن رجل	—	١٧٣ الخواطر والافكار مبدأ كل علم	
يا كل مرة أو مرتين أو ثلاثا في		نظري وعمل اختياري وبيان أن	
اليوم وكيف أن الجشع من		صلاح العلوم والاعمال في صلاح	
صفات الحيوان		الخواطر والافكار	
أنواع معرفة الناس برهم وأرقى	١٨٠	١٧٤ كيف تكون الخطرات والوساوس	
مثال المعرفة الحقيقية		عادة	
— طلب الانتقال من النعمة الى		١٧٥ نتائج الخواطر وبيان أن التخلص	
ما قد يظن العبد أنه خير له آفة		منها في مدتها أسهل من الخلاص	
من الآفات الخفية		منها بعد تكوينها وصبرورتها	
١٨١ معرفة الرب سبحانه بالجمال من		ارادات	
معرفة خواص الخلق ومن أعز		١٧٦ جماع اصلاح الخواطر الامتناع	
أنواع المعرفة		بالعلوم والتصورات في التوحيد	
١٨٢ جمال الله سبحانه الذي يمكن ان		وحقوقه وآفات الاعمال وطرق	
يدركه العبد علي مراتب اربعة		التحرز منها	
ليس منها جمال الذات الذي لا		— بيان ان القلب لا يخلو قط من الفكر	
يدركه سواه		وان النفس كالرحا لا بد أن تدور	
— بيان انه يتأني الاستدلال من طريق		ودورائها راجع الي ما يلتقى فيها	
هذه الانواع على جمال الذات			

الموضوع	الصحيفة	الموضوع	الصحيفة
١٩١ فائدة في بيان أن لا طريق للشيطان علي الانسان الا من ثلاث جهات	١٨٣ حمد الله الذي منه ابتدأت النعم وأليه انتهت علي أصلين .	١٨٤ بيان قوله عليه الصلاة والسلام ان الله جميل يحب الجمال وما يؤخذ منه وأنه يحب علي العبد أن يظهر نعم الله عليه	
١٩١ فائدة في أن طالب النفوذ الي الله ورسوله والي كل علم وصناعة ورياسة لا بد أن يكون شجاعا مقداما حاكما علي وهمه	١٨٥ مذهب من يرى كل شيء حسنا وحجة من يخالفه وبيان الحق في هذه المسألة وفيه تقسيم الجمال في الصورة واللباس والهيئة الي ثلاثة اقسام	١٨٦ بيان كيف ان الله تعالى يعبد بالجمال ... سعادة العبد في صدق العزيمة وصدق الفعل	
١٩٢ فائدة في بيان ذكر اللسان وذكر القلب : وبيان انفع الناس لك فصل في بيان ان لله علي العبد في كل عضو أمر وله عليه فيه نهى : اقامة الله الخلق بين بين الامر والنهي والعطاء والمنع فافترق الخلق فرقتين	١٨٧ فائدة جلية في القدر ... بيان انه من الجبل والظلم ان يطلب العبد من الناس التوقير والأجلال وهو لا يوقر الله تعالى ويبان ان طاعته وحياته بحسب وقاره	١٨٨ وقار الله في القلب اقسام ... روادع من لا يوقر الله كثيرة	
١٩٤ ماذا يصنع الانسان اذا تصادم جيش الدنيا والآخرة ... التوحيد انزه شيء واصفاه ولذلك أقل شيء يدنسها	١٩٦ فائدة في تفسير الانابة وما يتعلق بها	١٩٠ فائدة بيان أن الناس لم يزوالوا مسافرين	
١٩٧ حكم في كلام الشيخ علي ... فائدة في بيان اسباب الشبهة التي تعرض عن سماع القرآن وغيره	١٩٨ قاعدة نافعة في أنواع الفكر وانفعها		

الموضوع	الصحيفة	الموضوع	الصحيفة
شيء الا عندنا خزائنه (وما تضمنه من الاسرار والكنوز	٢٠٣	١٩٩ قاعدة فيما ينشأ عن الإيمان وحسن الظن والافتداء بالرسول والحلم والعزيمة وصحة الرأي وغير ذلك	
فائدة جليلة في بيان أن العبد لا يزال منقطعا عن الله حتي تتصل ارادته ومحبته بوجهه الأعلى	٢٠٤	٢٠٠ قاعدة في بيان أن للعبد بين يدي الله موقفين	
قاعدة جليلة في التفكير بنعم الله كلها وعلى الانسان ان يطلب من الله الهام ذكرها وايزاع شكرها وهو مبحث مهم جدا	٢٠٥	... قاعدة في بيان أن اللذة لا تنم من جهة كونها لذة وانما تنم الخ	
فصل في بيان سبب الخذلان	٢٠٧	٢٠١ فائدة في أن قوله تعالى (وأيوب إذ نادى) جمع بين حقيقة التوحيد و اظهار الفقر والفاقة الى ربه	
فصل كلام شيخ الاسلام ابن تيمية في تفسير أول سورة العنكبوت		... فائدة في بيان ما اشتملت عليه آية (أنت ولي في الدنيا والآخرة)	
		٢٠٢ فائدة بيان قوله تعالى (وان من	

